همومٌ إسلاميّةٌ في نظامٍ عالميّ جديدٍ

تأليف

دكتور/ محمد عبد القادر أحمد
عضو هيئة التدريس بكلية التربية
جامعة البحرين

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يتألم كل مسلم لما يصيب المسلمين فى العالم . ففى كل مكان يعيش فيه مسلمون يضطهدهم أبناء الديانات الأخرى ، ويتخذ الاضطهاد أشكالا شتى من قتل ، وتعذيب ، وسجن ، وطرد ، واغتصاب النساء والفتيات المسلمات ، يحدث ذلك فى الفلبين ، وفى الهند ، وفى بورما ، وفى البوسنة والهرسك .

أما فى المانيا وفرنسا فنجد عنصرية بغيضة ، ونزعات عرقية متطرفة بدأت تطل برأسها فى هاتين الدولتين وتتعداهما الى دول أخرى فى أوروبا تنادى بطرد المسلمين ، ولم يقف الأمر فى ألمانيا عند حد المطالبة بالطرد انما تعدى إلى اعتداء وهجوم النازيين الجدد ذوى الرؤوس الحليقة على الاحياء التركية المسلمة فى المانيا مما أسفر عن سقوط قتلى وجرحى مسلمين أبرياء .

ومن المؤسف أن يحدث كل ذلك للمسلمين فى وقت تنادى فيه الولايات المتحدة الأمريكية بولادة نظام عالمى جديد أعلنه الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش ابان أزمة الخليج طالب فيه بخضوع القوى للمساءلة اذا اعتدى على الضعيف ، ونادى فيه برعاية حقوق الانسان ، وحمايته من الاضطهاد .

لكن هذا النظام العالمى الجديد تطبقه الولايات المتحدة عندما تكون لها مصلحة فى تطبيقه ، فها هى امريكا تغض الطرف عما يفعله الصربيون بالمسلمين فى البوسنة ، وتقف موقف المتفرج مما جعل الصرب يستمرون فى تنفيذ سياستهم العرقية والاستيلاء على أراضى المسلمين وفرض سياسة الأمر الواقع تمهيدا لقيام دولة صربيا الكبرى .

ويتعجب الانسان عندما يجد رد الفعل عند الدول العربية والاسلامية تجاه ما يصيب المسلمين ضعيفا جدا ، بل وتركهم دون دفاع عنهم ليلتهمهم أعداء الاسلام .

انهم يقولون – على حد عبارة الأستاذ أحمد بهجت – ان مأساة البوسنة والهرسك شهادة بوفاة الضمير العالمى ، وهذا صحيح ، وأصح منه انها شهادة بوفاة الضمير العربى وأضيف الى الضمير العربى الضمير الاسلامى .

المؤلف

محمد عبد القادر احمد

القاهرة فى ٨ من يوليه سنة ١٩٩٣ م

البَـاب الأول

الفصل الأول : كشمير المأساة المزمنة بين باكستان والهند •

الفصل الثاني : أبعاد هدم المسجد البـابرى وصـــداه علي المسلمين •

الفصل الثالث : مأساة مسلمى بورما •

الفصل الرابع : الجهاد الاسلامي فى أفغانستان •

الفصل الخامس : مـاذا يجـرى في الجمهوريات الاسـلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتى السابق ؟

الفصل السادس : موقف مؤتمر دول عدم الانحياز العـاشر من القضـايا الاسـلامية (جاكـرتا أول سـبتمبر ١٩٩٢م) •

الفصل السابع : دخول القوات الأمريكية الى الصومال بين الغبطـة والخوف •

الفصل الثامن : عنصرية أوروبا ضد المسلمين •

الفصل الأول

كشمير المأساة المزمنة
بين باكستان والهند

كشمير المأساة المزمنة بين باكستان والهنـــد

تمهيـــــد

تعد قضية كشمير من أعقد المشاكل التى عرفتها المنظمات العالمية والرأى العام لأن كل دولة من الدولتين المتنازعتين عليها تتمسك بوجهة نظرها ، وتحشد كل الأدلة لاثباتها ، وكل يوم يمر يزيد المسألة تعقيدا حتى أصبح من العسير الوصول الى حكم يرضى الطرفين لاصـرار كل فريق على رأيه واعتبار التنازل مسألة كرامة لا يمكن التهاون فيها .

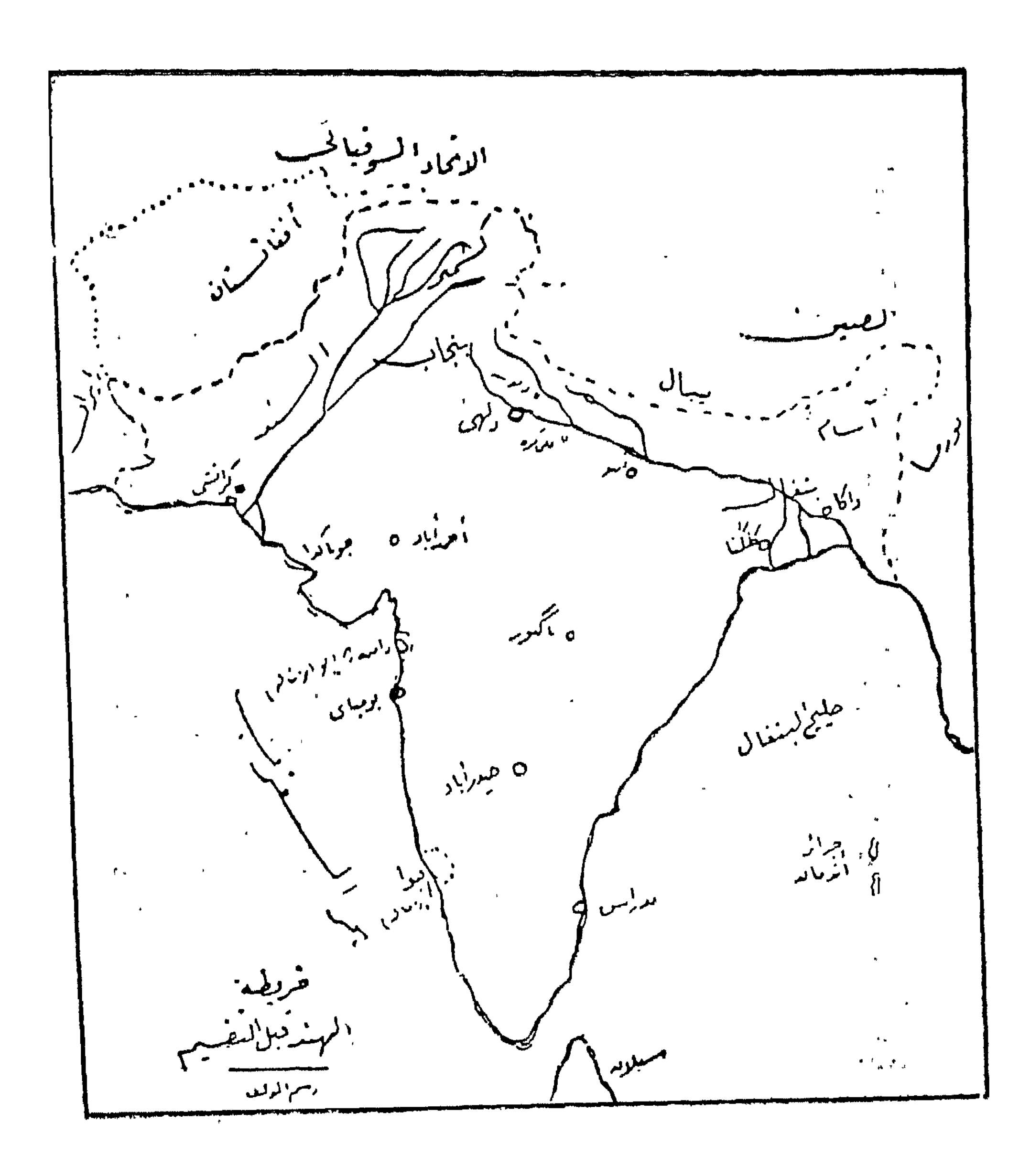
وقد أدت الأحداث المؤسفة التى ترتبت على المسيرة التى قام بها سكان كشمير الحرة من باكستان فى اتجـاه كشمير فى الهند يـوم ١٩٩٢/٢/١١ وما أعقبها من تعرض جيش باكستان للمسيرة ، واستخدام القوة لمنع المتظاهرين من عبور الخط الفاصل بين شطرى كشمير الى سقوط عدد من القتلى والجرحى . وقد أعقبت هذه الأحـداث المؤلمـة دعـوة نواز شريف رئيس وزراء باكستان والهند الى اجراء مفاوضات عاجلة لتسوية النزاع بين البلدين حـول كشمير .

فقد خاضت كل من أسلام اباد ونيودلهى ثلاث حروب من قبـل الأمر الذى جعل كل دولة تحاول من ناحيتها تجنب خوض حرب رابعة مع جارتها بسبب كشمير .

وذكر نواز شريف فى دعوته الهند لاجراء المفاوضات أنه يأسف لاستخدام القوة فى منع المتظاهرين من عبور الحدود بين البلدين غير أنه أشـار إلى أن قواته لا يمكنها الاستمرار فى استخدام القوة لمنـع المتظاهرين من محـاولات أخرى فى المستقبل .

ففى سنة ١٩٤٨ : تدخـل القوات الهندية ولاية كشمير وتستولى عليها وتضمها الى أراضيها ، وتعتبرها ولاية من ولاياتها دون النظر الى حـق سكانها المسلمين فى تقرير مصيرهم ورغبتهم فى الانضمام الى جارتهم الاسلامية الباكستان - وتعلن الباكستان معارضتها القوية للهند وتتمسك بحقها .

وفى سنة ١٩٥٦ تجرى الهند انتخابا صوريا وتشكل جمعيـــة تأسيسية من الهندوس تعلن نيابة عن أهالى كشمير انضمام الولايـة رسميا الى الهند . وتعد حكومة الهند كلام الجمعية التأسيسية تعبيرا عن رأى الأهالى . وسارت منذ ذلك التاريخ فى كل خطواتها بشأن كشمير على أنها جزء من أرض الهند ، لا يجرؤ سياسى هندى على التخلى عنه ، ولا يجرؤ أى فرد من الشعب حتى ولو كان مسلما على الجهر بما يخالف رغبة الحكومة وسياستها وإلا اعتبر خائنا لوطنه .



خريطة
الهند قبل التقسيم
رسم المؤلف

مشـكلة كشمير وتطورها :

كشمير ولاية اسلامية تقع فى الطرف الشمالى الغربى من شـبه القـارة الهندية ، وتشتمـل على ثلاث مناطـق ادارية هى : كشمير ، وحجو ، ومنطقة الحدود ، وتبلغ نسبة المسلمين بها ما يقرب من ٨٠٪ من السكان تبعا للاحصاءات الهندية وهى بطبيعة الحال احصـاءات مغرضة • ويبلغ عدد المسلمين فى كشمير حوالى ١٢ مليون مسلم •

وتعد كشمير الامتداد الطبيعى لباكستان إذ يربطهما نهـر السند ، والترع والقنوات التى تغذى اقليم البنجاب الباكستانى وتزيد مساحتها على ٨٢ ألف ميل مربع ، معظمها خال من السكان وغالبيتهم من المسلمين ، والأقلية من الهنـادك •

وارتباط كشمير الاقتصادى بالباكستان أقوى من ارتباطهما بالهند فالترع والقنوات التى تغذى البنجاب بمياه الرى تعتمـد على كشمير حيث تجرى روافد السند وحيث توجد مصادر القوى المـائية •

وظل سكان كشمير طيلة قرن من الزمان يخضعون لحكام طغاة الى أن أعلن : تقسيم الهند فى عام ١٩٤٧ ، وطالب حاكم البلاد الهندوسى الانضمام للهند ، بينما طالب السكان المسلمون الانضمام لباكستان ، وأمام عنـاد الحاكم الهندى للامارة قامت ثورة فى كشمير وتمكن الثوار من انشاء حكومة فى جزء من كشمير هى حكومة « أزاد كشمير » أو كشمير الحرة • فلجأ المهراجا الهندوسى الى الهند وأعلن رغبته فى الانضمام إليها •

وتشمل كشمير الحرة مقاطعة بونش وهى جزء كبير من كشمير الغربية متاخم لحدود باكستان • وكان أول رئيس لحكومة كشمير الحرة « السردار محمد ابراهيم » واستطاع الثوار فى كشمير الحرة طـرد قوات الولاية •

وكان رد المهراجا الهندى حاكم كشمير فى الحدود الهندية أن أتخذ اجراءا مماثلا فامـر قواته بطرد آلاف المسلمين من مقاطعة جامو الى غرب البنجاب ، وأعملوا فى كثير من سكان البلاد المسلمين القتل والذبح والتعذيب • وقد قامت بكل هذه الأعمال البربرية عصابات السـيخ المسلحة •

وفى ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٨م تصل الأخبار الى « جناح » الحاكم العام لباكستان تفيد بأن خمسة آلاف مسلم من رجال قبائل الحدود الشمالية الغربية وأفغانستان قد عبروا حدود كشمير للوقوف بجانب اخوانهـم المسلمين فى كشمير الهندية •

وفى ٢٦ من أكتوبر طار جناح الى « لاهـور » ليكون على مقربة من كشمير ويرقب تطورات الموقف عن كثب ٠

وفى هذه الأثناء كان الجيش الهندى فى كشمير الواقعة فى الأراضى الهندية يعمل القتل والطرد فى السكان المسلمين الأمر الذى جعل القائد والحاكم العام لباكستان يفكر فى ان يقتحم بقواته حدود المقاطعة ليحمى المسلمين ولكن الفيلد مارشال « كلو أوكنلك » ينصحه بخطورة الاقدام على ذلك ويذكر له بأن دخول القوات الهندية لاغبارعليه لأنها دخلت بناء على طلب المهراجا وقراره الانضمام الى الهند ؛ وحذره بانه اذا تقابل الجيشان فانه سيضطر الى سحب جميع الضباط الانجليز من القـوات الهندية والباكستانية على السواء ٠ وأمـام هذه النصيحة الانجليزيـة أوقف « جناح » تحـرك الجيش الباكستانى وأكتفى بامداد الموالين من أهل كشمير لحكومة باكستان بالسلاح والعتاد فى الخفاء ٠

ولكن امام الحاح الرأى العام الباكستانى دخلت قوات الباكستان النظامية ، ورجال قبائلها المسلمين حـدود كشمير ٠ ولكن رغبة فى حقن الدماء اقترح « جناح » و « لياقت على خان » على الهند ايقاف القتال واصـدار بلاغ مشـترك من الحاكمين العـامين للحكومتين ينوه باجـراء استفتاء تحت رعاية الحكومتين ، لكن حكومة الهند رأت أن « كشمير » أصبحت جزءا لا يتجـزأ من بلادها ، وليست من حق باكستان فى شىء فاذا أجرى استفتاء فالهند هى التى تقوم به وحدها ٠

وفى يناير سنة ١٩٤٩ رفعت الهند الأمر الى مجلس الأمن تشكو من تشجيع الباكستان رجال القبائل لاثارة الفوضى فى بلادها ٠

وفى ابريل ارتضى الفريقان حلا للمشكلة بأن تسحب الباكستان قواتها الوطنية ، ورجال قبائلها من كشمير ، وتسـرح الهند قـواتها فيها على أن يجرى الاستفتاء تحت اشراف رئيس تعينه الأمم المتحدة ، وتوافق عليه حكومة كشمير وجامو ٠

ويرسل مجلس الأمن مندوبين عنه لحل المشكلة ولكن لم ينجح أحد منهم فى حلها لأن كل فريق يصـر على وجهـة نظره فى المشكلة ، ولأن الهند لا تريد أن تتخلى عن كشمير مهما تكن رغبـات أهلها ، معتمـدة فى ذلك على رغبة حاكم كشمير ٠

لقد أعطى قرار الأمم المتحدة ومجلس الأمن منذ أكثر من ٤٠ عاما أهل كشمير حق تقـرير المصير لكن الهند تصـر على أن يجرى الاستفتاء تحت اشرافها ٠ بل واستعملت الهند سلاحا جديدا ففى سنة ١٩٥٧ عندما أعيد عرض الموضوع على مجلس الأمن أشـار مندوب الهند « كريشنا

منون » فى خطبته الرسمية فى المجلس الى مصـير المسلمين فى الهند وما يمكن أن يتعرضوا له من الشعب الهندوسى لو ضمت كشمير لباكستان، وكان كلامه يحمل تهديدا أو تلويحا بالتهديد ــ أمام أكبر هيئة دوليـة فى العالم ــ لمصـير المسلمين فى الهند ٠

لقد كان لهـذا التلويح أثره على نفوس المسلمين فى الهنـد فقد أحسوا أنهم معرضون لحملة انتقام بشعة من الهندوس والسيخ لو اتخذ مجلس الأمن قرارا بضم كشمير لباكستان وتمنوا ألا يجىء هـذا اليوم لاسيما وأن هذا التحريض والتهديد جاء على لسـان مسئول كبيـر فى حكومة الهند ٠ لقد كان هذا التهديد آخـر الوسـائل فى جعبة الهند تتذرع به لابقاء كشمير تحت يدها ٠

لقد كان هذا التهديد ايعـازا حكوميا للهندوس والسيخ أن يشنوا حمـلة ابادة وانتقام من مسلمى الهند المسـاكين الذين اختاروا الاقامة فيها لو ضمت كشمير لباكستان ، وهكذا تتصيد الهند كل يوم جديدا من الحجج لتبقى فى كشمير ٠

لقد وضعت بريطانيا أساسا قبل جلاء قواتها عن الهند بأن تصبح الولاية حـرة فى تقرير مصـيرها ، وأمـر انضمامها اما الى الهند ، واما الى باكستان حسب رغبتها فى ذلك وقد أسدى الحاكم العام « لورد مونتباتن » النصح للحكام بأن يراعوا عند تقرير مسـألة انضمامهم هذه مسـألة التقسيم الطـائفى بين السـكان ، ورغبات الشعب ، والوضع الجغرافى لهذه الولايات ٠

وكان من المفروض تمشيا مع الأساس الذى قام عليه التقسيم أن تنضم الولايات ذات الأغلبية المسلمة والمتاخمة للباكستان الى الباكستان ٠ وعلى هذا الأساس كان وضع قضية كشمير ظاهرا واضحا ، فعلى الرغم من أن حاكم كشمير كان هندوكيا الا أن ٨٠٪ من سكانها من المسلمين ، ولمـا كانت أرض هذه الولاية تتاخم باكستان ، فان كل الاعتبارات الأخرى السياسية ، والاقتصـادية ، والاستراتيجية جعلت انضمام كشمـير الى الباكستان أمـرا طبيعيـا ٠

لقد وقفت الهند موقفا متناقضا ففى الوقت الذى رفضت فيه رأى الأغلبية المسلمة فى كشمير والتى ترفض الانضمام للهند وقبلت رأى أمير كشمـير الهندوسى الذى يطلب الانضمام للهند تجـدها تعـامل ولاية « جوناكدا » على الحدود الجنوبية الغربية من الهند وباكستان معاملة مختلفـة فقد كان أمير هذه الولاية مسلما وكان أغلبية سكانها هندوس وأعلن هذا الأمير المسلم انضمامه لباكستان ولكن الأغلبية الهندوسية ثارت ضـده لأنها تريد الانضمام للهند فأرسلت الهند قواتها النظامية تلبيـة

لرغبة الشعب واقتحمت الولاية ، وأجـرت استفتاء شعبيا ، وكان من الطبيعى أن تكون النتيجة انضمامها للهند بأغلبية ٩٠٪ .

فالهند قبلت رأى الأمير الهندوسى حاكم كشمير ولم تبال برأى أغلبيــة الشعب المسلم فى كشمير ولا بثورته وأرسلت قواتها لاخماده ، ومعــاونة الأمير والوقوف بجانبه ، ولم تعتمد رأى الأمير المسلم حاكم « جوناكدا » وأرسلت قواتها لتنجد الشعب الهندوسى اعتمادا على رأى أغلبيــة الهندوس فى الولاية .

وما حدث فى « جوناكدا » حدث فى امارة « حيدر أباد » فقد كان يحكم هذه الامارة حاكم مسلم وقد نجح المسلمون فى هذه الامارة رغم أقليتهم مقارنة بالهندوس فى اقامة نهضة عمرانية طيبة . وقد رغب أميرها فى أن يبقى على حــاله مستقــلا ، لكن الهند رفضت وهجمت بقواتها النظامية عليــه واستولت على الولاية بعد أن أعمــل الجيش الهندوسى والشعب الهندوسى فى سكانها من المسلمين القتل والحرق ، وتدمير ممتلكاتهم ، وطردهم من جميع نواحى الامــارة .

وهكذا لم تعبــأ الهند مرة ثانية برأى الأمير ، واعتمدت على أن أغلبية الشعب فى الامارة من الهندوس ، واستعملت القوة فى ضمها .

لقد ظهر التناقض واضحا جليــا فى تصرفات الهند وموقفها ازاء الامارات الثلاث فلو كانت العبرة فى الضم برأى أغلبيــة الشعب ، وموقع الولاية الجغرافى ، ومصالحها المشتركة لفقدت الهند حجتها فى كشمير ، وكان موقفها موقف اعتداء وتجن ، بينما تجد الحجة فى جوناكدا ، وحيــدر أباد .

ولو كانت العبرة برأى الأمير ، دون مراعاة رأى الشعب فى الولاية لوجدت الحجة فى كشمير وفقدتها فى جوناكدا ، وفى حيدر أباد .

وهكذا لم تتصرف الهند تصــرفا مقبولا ، ولا معقولا ، ولا متسقا فى الاستيلاء على الولايات الثلاث واستعملت القوة فى ضمها جميعــا مستعملة حجة هنا ونقيضها هناك ، مما يعيد الى ذاكراتنا تصــرفات المستعمرين المتناقضة .

والأمر الآخــر الملفت للنظر أننا عرفنا الهند لا تستعمل القوة فى حل المشــاكل وكانت هذه سياستها حتى مع الاستعمار ، فكيف يخــرج الهنود عن هذا المبدأ ويستعملون القوة مع المسلمين العــزل . وكان من العجيب أن تستعمــل الهند القوة للاستيلاء على الولايات الثــلاث بينما لم تستعمل القوة لانقاذ الشعب الهندوسى الذى كان يقع تحت حكم فرنسا

فى عدة مناطق ساحلية أو تحت حكم البرتغال فى مناطق « جـوا ، ودامان ، وديو » وتقع هذه الجيوب على الساحل الغربى للهند ٠

ان كل عربى وكل مسلم يتمنى أن تحـل قضية كشمير وأن يغلق هذا الملف الدامى ٠ اننى آمل أن تستجيب الهند لنداء الباكستان باللقاء والبحث عن حـل ٠

ان الهند تتهم باكستان بأنهـا تعرقل اجـراء الاستفتاء لأن قواتها موجودة فى كشمير الحـرة ٠ وباكستان ترى أن بقاء الجيش الهندى فى كشمير الموجودة داخل الحدود الهندية يعرقل الاستفتاء فلو حدث الاستفتاء فان نتائجه معروفة من الآن ٠ ويرفض نهرو فى المـاضى أن يجلس هو ورئيس وزراء باكستان مع وسيط الأمم المتحدة لأنه فى نظـره يضـع الهند على قدم المساواة مع باكستان ، وهى معتدية والهند معتدى عليها ٠

فالى متى تترك هـذه المسـألة معلقة لتزيد الهـوة بين الدولتين الأختين ، وتباعد بين الشعبين ، وتخلق الضغائن بينهما ؟



كشمير المأساة المزمنة بين باكستان والهند

اضطهاد الكشميريين وابادتهم :

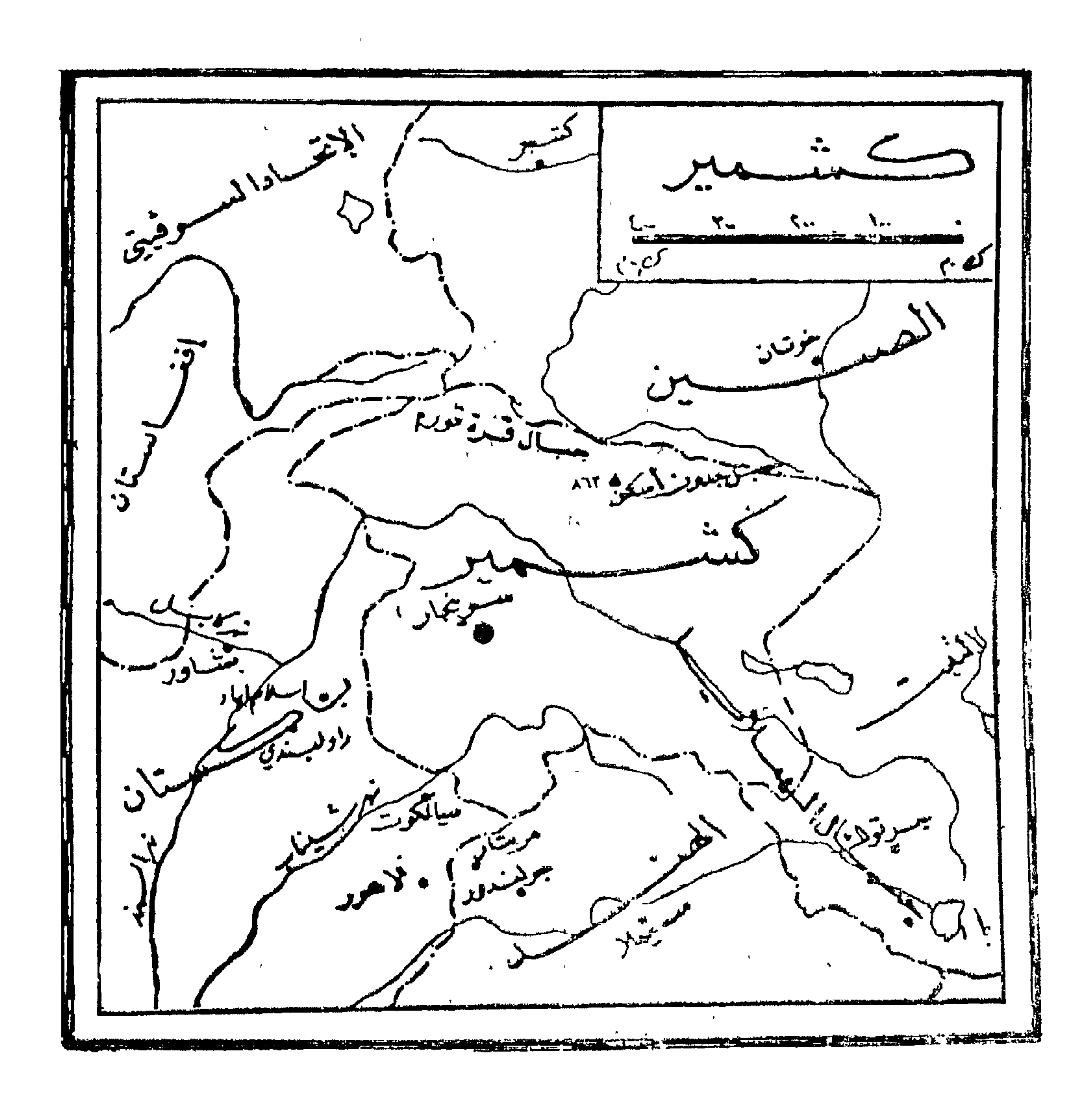
لقد تضافرت عوامل كثيرة بعضها قديم وبعضها جديد على تفجير مشكلة كشمير من جديد وكانت وراء المسيرة التى بدأت من مظفر أباد عاصمة كشمير الحرة يوم الثلاثاء الموافق ١١ من فبراير ١٩٩٢ متجهة الى الحدود بين باكستان والهند وأهم هذه العوامل القديمة ما عاناه المسلمون فى كشمير على يد الهندوس · فقد قصر الهندوس على أنفسهم الوظائف المرموقة وعملوا على أن يظل المسلمون فقراء ويصف البنديت « بريم ناث بزاز » المسلمين فى كتابه « تاريخ الكفاح من أجل الحرية فى كشمير » فيقول : « ان فقر الجماهير المسلمين كان مدقعا ، فهم يرتدون أسمالا بالية ، لا تكاد تخفى أجسادهم ، وتدل مظاهرهم على أنهم شحاذون محرومون ، ولا يلقون عطفا من الدولة » ·

لقد كان اسم المسلم مرادفا لأسقى الحطاب أو السقاء ، وقد كان يعهد اليه بكل نوع من الأنواع الحقيرة القذرة وكان ينظر اليه نظرة ازدراء واحتقار بينما كان الهندوسى محترما فى نظر المجتمع والناس ·

ان تاريخ المسلمين فى كشمير يذكر مذابح عديدة راح ضحيتها كثير من المسلمين على يد الهندوس · وقد كانت هذه المأساة واضحة فى اقليمى البنجاب وكشمير فقد ذبح الهندوس ٦٥٠ ألف مسلم ، وأرغموا اكثر من خمسة ملايين على النزوح الى الباكستان ·

وتشير كثير من تقارير منظمات حقوق الانسان بأن انتهاكات القوات الهندية لحقوق الانسان فى كشمير المحتلة قد بلغت حدا خطيرا · ففى عام ١٩٩١ انتهكت أعراض ٢٩٠٠ سيدة وفتاة تحت ارهاب السلاح على يد الجنود الهندوس · وقد ألقى بالمسلمات الكشميريات أحياء فى نهر جلم ، وبين الحين والآخر تطفو جثثهن فى عرض النهر ، كما قتلت القوات الهندوسية أكثر من ٢٢ ألف كشميرى أكثرهم بالحرق أحياء ، كما جرح ما يقرب من ٥٠٫٠٠٠ خمسين ألف من الشباب خصوصا ، وأصيب أغلبهم بعاهات مستديمة ، وسجن ٦٧ ألف كشميرى حيث يتعرضون فى السجون لعمليات تعذيب وحشية على يد قوات الهندوس ·

وقد بلغت وحشية هذه القوات حدا بعيدا فى تعاملهم مع النساء بالسجون حيث تنتهك الأعراض ، وتبقر بطون الحوامل · وقد أقدمت العديد من الفتيات فى السجون على الانتحار بعد اغتصابهن ·


كشمير
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠
كم
الاتحاد السوفيتي
الصين
خوتان
افغانستان
جبال قرة قورم
كشمير
بشاور
راولبندي
باكستان
نهر شيناب
سيالكوت
لاهور
الهند
التبت

وتقوم القوات الهندية في الوقت الحاضر بحرق عشرات المنازل المجاورة لبعضها البعض اذا شكت في وجود مجاهدين في هذه المنازل .. وهي تمارس نفس السياسة التي يمارسها اليهود في فلسطين بل أبشع منها . وقد بلغ عدد المنازل التي أحرقت في كشمير المحتلة ما يزيد على ٢٠ ألف منزل . كما تقوم القوات الهندية بحرق البساتين وحقول الكشميريين ، وقد بلغت المساحة المحروقة ما يزيد على آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية بما يقدر بمئات الملايين من الدولارات . .

ان ما يتحمله المسلمون من الهندوس والسيخ يجاوز الحد .. ولا توجد طائفة أخرى تتعرض لمثل ما يتعرض له المسلمون من ظلم وهوان وقتل في محاولة جادة لابادة المسلمين وتحطيمهم اقتصاديا والعمل على تخلفهم في مجال التعليم .

ان قيام دولة باكستان جعل الهندوس يرغبون في طرد كل المسلمين في الهند للرحيل الى الباكستان وجعل الهند خالصة للهندوس ، فهم يعدون قيام باكستان خيانة وعندما تندلع أعمال العنف يطلقون شعارا يعد من أكثر الشعارات شيوعا وهو « على المسلمين أن يذهبوا الى الباكستان طوعا أو كرها » .

ومن المؤسف وجود قوات كوماندوز اسرائيلية تدرب الهندوس على كيفية قتل المسلمين في كشمير والتمثيل بهم ، وحرق منازلهم وحقولهم مثلما يفعلون في فلسطين المحتلة .

الجهـــاد :

لم يكن جهاد المسلمين ضد الهندوس والسيخ وليد اليوم انما بدأ منذ بداية تفجر المشكلة ، فبعد أن وقع مهراجا كشمير معاهدة مع الهند ، وأعلن عن رغبته في الانضمام اليها ، وأخذ في تقوية حامياته العسكرية المكونة من السيخ والهندوس في المناطق الاسلامية ، وأصدر أمرا في أواخر شهر يوليه ١٩٤٧ يقضي بأن يسلم المسلمون أسلحتهم للبوليس منذ ذلك الوقت بدأ المسلمون في تنظيم صفوفهم استعدادا لحرب العصابات ، واتخذوا مقرهم في تلال (بونش) الغربية ، وكان قائد الحركة كشميرى شاب هو السيردار « محمد ابراهيم خان » الذي شرع في تنظيم المقاومة ، وأخذ يستثير الروح الوطنية في نفوس مواطنيه . وفي مدينة « مسوري » وضع أساس حركة تحرير البلاد وهي الحركة التي تمخضت بعد ذلك عن مولد « آزد كشمير » أو « كشمير الحرة » .

ولم يكن امام المسلمين سوى الجهاد خاصة وقد بدأ السيخ والهندوس

فى القضاء عليهم بالجملة ، وارهابهم حتى يضطر للهجرة من يفلت منهم من القتـل والابادة ، وكأنهم أرادوا بذلك تحويل كشمير الى أغلبيـة هندوسية حتى لا تكون لباكستان حجة فى كشمير ومن ثم ضم الولاية نهائيـا للهنـد .

ان المجاهدين فى كشمير ليسوا متمردين ، أو خارجين على حـق ليس لهم ، وانما هم أصحاب حق أقرت به الأمم المتحدة ، عدة مرات فى عدة قـرارات ، رفضت وترفض الهند تطبيقها منذ عام ١٩٤٧ م ، وأبسط هذه القرارات هو حق تقرير المصـير لهذا الشعب المسلم لذا أجبر المسلمون فى كشمير على أن يسعوا لأخذ حقوقهم بأيديهم ، وأصبحوا الآن بشهادة الجميع أصحاب اليد العليـا فى بلادهم .

لقد أيقن المجاهدون فى كشمير أن طريق الخلاص لا يمر عبر طرق الاستجداء والاستعطاف ، وموائد المفـاوضات ، ومؤتمرات التنازلات ، وانما للحق طريق واحد لا تستقيم حياة الناس الا به . خاصة وان المغتصب الهندوسى يواصل سياسته القمعية ضد الشعب الكشميرى . ولقد كان مسلك المجاهدين الأفغان وهم جيران وأبناء عمومة لهم وقد نجحوا فى تحدى وهزيمة أعتى قوة عسكرية فى ذلك الوقت نموذجا حيا رائعـا وضعوه نصب أعينهم لذا جاءت انتفاضة كشمير المباركة فى يناير ١٩٨٩ ، أطلقها شباب حزب المجاهدين الكشميريين .

ففى الرابع والعشـرين من شهر يناير ١٩٩٢ يتحدى المجـاهدون ١٤٠٫٠٠٠ جندى هندوسى ويهجمون على قيادة قوات الشرطة فى مدينة سرنجر عاصمة الاقليم المحتل .

ولم يكن هذا الهجوم الا ردا على قوات الشرطة التى تؤيد الهندوس والسيخ فى كل ما يفعـلونه بالمسلمين كما كان ردا على قـرار حـزب « بهاريتا جناتا » الهندوسى المتطرف الذى قرر تنظيم مسيرة حاشدة تضم أكثر من ٥٠٫٠٠٠ شخص هندى بالسيارات والعربات والدراجات البخارية من الهند وحتى مدينة سرنجر حتى مسافة ٩٥ كيلو متر بهدف رفع العلم الهندى هناك احتفـالا بيوم اعـلان الدستور الهندى والذى يوافق يوم السادس والعشرين من يناير .

وعندما علم مجاهدو كشمير بقرار حزب «بهاريتا جناتا» الهندوسى بالتوجه نحو سرنجر أصدروا بيانا عاما حذروا فيـه النظام العسكرى الحاكم فى كشمير المحتلة من مغبة الاقدام على رفع العلم الهندى بمدينة سرنجر الا أن « أوفانى » رئيس حزب (بهاريتا جناتا) لم يعـر نداء المجاهدين التفاتا وأصـر على مواصلة المسيرة الى سرنجر عاصمة الاقليم المحتل مارا بالعديد من المدن الهندية حاشدا من خلفه المئات من السيارات

والحافلات ، والدراجات البخارية المحملة بالمتطرفين الهندوس الذين ينادون بقتل المسلمين وطردهم الى الباكستان وأن تكون الهند للهندوس.

وأمام وقوف الشرطة موقف التأييد للمسيرة ، وما يجره هذا التأييد من متاعب للمسلمين اتخذ المجاهدون قرارهم بتدمير القيادة العامة لقوات الشرطة والتى تتكون من ثلاثة طوابق وسط العاصمة سرنجر الذى أسفر عن مقتل ثمانية من كبار ضباط الشرطة بالاضافة الى اصابة كل من « اشول باتيل » رئيس قوات البوليس و « سلسينا » رئيس قيادة الأمن بالاقليم المحتل .

لقد أعلن المجاهدون أنهم لن يسمحوا للمسيرة بالوصول الى مدينة سرنجر ، وأن من يغامر من المغتصبين ويواصل السير نحو المدينة لرفع العلم هناك سوف يلقى حتفه لا محالة . وأمام هذه التهديدات خاصة بعد تدمير مقر قيادة الشرطة فى كشمير المحتلة عادت المسيرة أدراجها ، واكتفى حزب « بهاريتا جناتا » بارسال « مورلى بوشى » أحد قيادات الحزب بطائرة هليوكبتر يرافقه عدد قليل من أعضاء الحزب حيث كان فى انتظاره فى سرنجر عشرة آلاف من قوات الشرطة التى قامت باخلاء السكان من المناطق المحيطة بالميدان الرئيسى الذى سيقوم فيه برفع العلم ، كما قامت القوات بفرض حظر التجول فى جميع أنحاء المدينة .

ولم يتركه المجاهدون يرفع العلم ففى أثناء رفعه فى حراسة الآلاف من رجال الشرطة يطلق المجاهدون الصواريخ فتسقط ساريته على رأسه مما جعل « مورلى بوشى » ومن معه يصابون بهلع شديد خوفا على أنفسهم .

ان حزب « بهاريتا جاناتا » الذى قاد المسيرة هو من أكثر الأحزاب الهندية تعصبا ضد المسلمين ، وتطرفا فى الهند .

والملفت للنظر أن هذا الحزب اتسعت شعبيته بصورة واضحة فى السنوات الأخيرة ، وهذا الحزب يدعو الى شن حرب ابادة ضد المسلمين فى كشمير ، ويرى أن هذا هو الحل الأمثل للقضاء على انتفاضة الشعب فى كشمير ، وهو يعتقد أن ١٢ مليون مسلم فى كشمير لا يمثلون شيئا بالنسبة الى ٨٥٠ مليون هندى فى الهند ، فالقضاء عليهم لا يشكل أى خلل أو ضرر بالمجتمع الهندى .

وقد قاد هذا الحزب مسيرة مماثلة فى العام الماضى باتجاه مدينة « ايوديا » شمال شرق الهند لتدمير المسجد « البابرى » .

لقد فشلت المسيرة التى ضمت خمسين الف هندوسى تحت قيادة « ماوهار جوشى » فى أن تدخل الى سرينجار بفضل يقظة المجاهدين . وكان زعماء المسيرة قد قطعوا على أنفسهم جهدا حينما تحركوا فى الحادى عشر من ديسمبر ١٩٩١ أن يجوبوا جميع أنحاء الهند لاثبات السيطرة الهندوسية ، وتأصيل الهوية الهندية للبلاد لاسيما على كشمير والبنجـاب .

وقد نجحت هذه المسيرة التى دعمتها الحكومة الهندية دعما كاملا فى رفع العلم الهندوسى على جميع أنحـاء الولايات التى مرت بهـا إلا كشمير التى رفضت دخـول المسيرة الى سرينجار عاصمـة الولاية . وذلك بفضل مجاهديها وبفضل وقفة سكانها من المدنيين العـزل من النساء والأطفال والعجائز الذين خرجوا الى الشوارع رافعين الشعارات الاسلامية ينـددون بالظلم ويهتفون للإسلام متمثلين ما ذاقـوه من ظـلم واضطهاد وعنت وتشريد وتعذيب منذ عـدة عقـود دون أن يلتفـت اليهم أحـد .

لقد فرضوا أنفسهم على أرض كشمير بالقوة بعدما وقفت الدنيا أكثر من أربعين عاما تشاهد مآسيهم دون حراك وأجبروا العـالم أن ينظر اليهم بل ويتعاطف معهم بعدما أثبتـوا أن دبابات وطائـرات ومدرعات وصواريخ وأسلحة اكثر من مائة وأربعين الف جندى هندوسى يوجدون فى ولاية كشمير الآن لا ترهب الطفل المسلم الذى خرج يهتف لا الـه الا الله محمد رسول الله وهو أعـزل ليتلقى رصاصات حاقـدة تلحقه بركب الشهداء ، ولا المرأة ، ولا الشيخ ولا العجوز الذين يخرجون الى الشوارع متحدين الهندوس بهتافاتهم وشعاراتهم الاسلامية لينضم كل يوم منهم عدد يسير فى مواكب الشهداء .

تعـدد الأحـزاب :

عرفت هذه المنطقه منذ وقت مبكر من تاريخها الأحزاب التى تكونت للدفاع عن المقهورين والمظلومين من أبنائها فكان « المؤتمر الاسلامى لعموم جمو وكشمير » وكان زعيمه البارز الشيخ محمد عبدالله ، وشودرى غلام عباس» فى سنة ١٩٤٢م . وشيئا فشيئا بدأ نشاط المؤتمر يتسع ، ونفوذه يزداد وبرزت مطالبه فى ايجاد هيئة تشريعية شعبية تنظر فى مصالح الشعب .. ثم تطورت الى الجمعية التشريعية التى تتألف من خمسة وسبعين عضوا ، بينهم ثلاثة وثلاثون ينتخبهم الشعب . وقد زاد نفوذ هذا المؤتمر واتخذ موقف النقد المر للحكومة لاهمالها مصالح الشـعب وطالب بايجاد حكومة مسئولة .

كما عرفت هذه المنطقة فى سنة ١٩٣٩ هيئة جديدة سميت باسم « حزب المؤتمر الوطنى » انضم اليه بعض زعماء المسلمين تحت شعار « خدمة مصالح الشعب ، وبالتالى خدمة المسلمين » .

وعلى الرغم من أن الحزبين يعلنان أنهما يعملان على تحقيق مصالح المسلمين إلا أن الخلاف دب بينهما مما جعلهما يحكمان محمد جناح رئيس الرابطة الاسلامية ليقوم بحل الخلاف الموجود بينهما ، ويأتى جناح الى كشمير وينصح الحزبين بوجوب الاتحاد والتضامن لخدمة الشعب ويبذل جهودا مضنية للتوفيق بين الحزبين .

ويظهر بعد ذلك تقارب واضح بين حزب المؤتمر الاسلامى فى كشمير ، وحزب الرابطة الاسلامية فى عموم الهند .

وتزيد الاحزاب الموجودة فى كشمير فى الوقت الحاضر فيصل الى ١٦ حزبا تخضع لقيادة موحدة عسكريا وسياسيا بعد ان شكلت فيما بينها ما يعرف بالمجلس القيادى الموحد الذى يضم هذه الاحزاب .

ويعمل هذا المجلس على التقريب بين وجهات نظر الأحزاب وتوحيد الصف وعدم استئثار حزب بالقيادة دون آخر . وهناك وضوح فى العمل العسكرى والسياسى على مستوى التحالف . ويعود ذلك فى الأساس الى حرص الجميع على مصلحة البلاد العليا وهى تخليص الوطن من الغاصب الهندوسى .

ويعمل هذا المجلس فى الوقت الحاضر على تضييق شقة الخلاف بين أكبر حزبين فى كشمير حزب المجاهدين ، وحزب جبهة تحرير كشمير التى تتخذ موقفا مستقلا من القضية . ويأمل المجلس القيادى الموحد أن ينجح فى المستقبل فى أن يجعل الحزبين يعملان معا تحت قيادة موحدة .

ويشكل حزب المجاهدين داخل هذا التحالف النصيب الأكبر فقوته تصل الى ٦٠٪ من اجمالى قوة مختلف القوى فى كشمير المحتلة .

أما حزب جبهة تحرير كشمير فان المرتكزات الفكرية والسياسية له تتنافى الى حد كبير مع حزب المجاهدين مما يعرقل فرص التقارب ، فهم ينادون مثلا باستقلال كشمير دون الانضمام لباكستان . وهم يريدون وطنا قوميا على أساس علمانى .

ولا شك فى أن فى هذا الاتجاه بعدا عن قرار مجلس الأمن الصادر فى عام ١٩٤٩ الذى يدعو الى اجراء استفتاء عام لتقرير مصير الشعب

الكشميرى اما بالانضمام الى باكستان أو الهند على أساس نظـــرية التقسـيم ٠

وقد أدى هذا الموقف الذى تتبناه جبهة تحرير كشمير الى جعـــل الهند تفرض خطرا على نشاط جميع الأحزاب فى كشمير باستثناء جبهة التحرير ٠

ورغم كل ذلك فان جميع الأحزاب على اختلاف اتجاهاتها حريصة على التقارب والتفاهم فالجميع أصحاب قضية واحدة وهدف واحد هـو تحرير البلاد من المحتل الهندوسى اما بالانضمام الى باكستان أو تشكيل دولة مستقلة ٠ وهذا أمر سابق لأوانه ٠

وهناك وضوح تام بين الأحزاب فى العمل العسكرى والسياسى على مستوى التحالف ، وهذا يعود فى الاساس الى حرص الجميـــع على مصلحة البلاد العليا وهى تخليص الوطن من الغاصب الهندوسى ٠

مسيرة « الحرية » الثلاثاء ١١ من فبراير ١٩٩٢ :

نظمتها الجبهة الوطنية لتحرير كشمير ، وتحركت يوم الثلاثاء الموافق ١١ من فبراير ١٩٩٢ من مظفر أباد عاصمة كشمير الحرة باتجاه خط الهدنة الذى يفصل كشمير الحرة عن كشمير المحتلة ٠

وقد سار فيها ما يقرب من ١٥ ألف كشميرى حشدتهم الجبهة الوطنية لتحرير كشمير واتجهت بهم سيرا على الاقدام لمسافة ٢٠٠ كيلو متر ٠

ولم تستطع المسيرة مواصلة تقدمها الى النهاية اذ أن استمرارها كما يؤكد العديد من المراقبين يعنى تصعيد الموقف بصورة خطيرة مما قـد يؤدى فى النهاية الى نشوب حرب بين باكستان والهند ٠

ومن أجل ذلك توجه رئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف الى مظفر ابـاد للتشاور مع قـادة الجيش الباكستانى والمســئولين فـى كشمير الحرة بشأن المسيرة بعد أن أصر أمان الله زعيم الجبهة الوطنية على مواصلة السير الى كشمير حتى لو أدى ذلك الى قتله ٠

إلا أن قوات الجيش والشرطة الباكستانية عرقلت تقدم المسـيرة بهجوم على المشاركين فى المسيرة استخدمت فيه الذخيرة الحيـة ، والغازات المسيلة للدموع والهروات مما أدى الى سقوط ١٦ قتيلا ونحو ٣٥٠ جريحا ، بينهم ٦٦ حالتهم خطيرة ٠ وقالت بعض المصادر حسب ما ورد فى « الجارديان » ان اثنين على الأقـل من رجـال الشـرطة الباكستانية لقوا حتفهم أثناء الاشتباكات العنيفة ٠ غير أن هذا التقرير نفتـه سلطات ازد كشمير (كشمير الحرة) التى تسيطر عليها الحكومة الباكستانية حيث أفادت بأن الضحايا لايتعدون أربعة قتلى و١٩ جريحاً ٠

وواصلت قوات الجيش والشرطة الباكستانية اغلاق كافة الطـرق والممرات المؤدية الى خط الهدنة ، وقد فجرت أحـد الكبارى الرئيسية الموصلة الى خـط الهدنة .

من ناحية أخرى ناشد سردار عبد القيوم رئيس وزراء كشـمير المحتلة الجبهة الوطنية بزعامة أمان الله أن تعيد النظر فى موقفهـا وقال : إن هذا ليس هو الوقت المناسب للبـدء فى المسيرة ، وحذر رئيس الوزراء الأحـد ١٩٩٢/٢/١٦ من أنه لن يسمح لأحد أن يلعب بأرواح الأبرياء ، ويصف موقف الجبهة الوطنية بأنه يضـر بمصالح الشـعب الكشميرى ، وأعرب غلام اسحاق رئيس الدولة الباكستانى عن قلقه العميق من تدهور الموقف على الحدود بين كشمير الحرة والمحتلة . وأكـدت الخارجية الباكستانية معارضة الباكستان التامة للمسيرة واشارت الخارجية الباكستانية الى أن الجيش والشرطة سيبذلان كافة الجهود لمنع المسيرة من الوصول الى خط الهدنة وقال مسئول الخارجية الباكستانية إنه تم اطلاع سفراء الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن على حقيقة الموقف الباكستانى ، وأضاف مسئول الخارجية الباكستانى ان الجنرال « جامشيد مالك » من الجانب الباكستانى على اتصال بنظيره الهندى فى الـوادى المحتل لتهدئة الموقف على الحدود . وأضاف أن جنود الجيش الباكستانى سوف يطلقون النار على أى شخص يحاول اختراق « الخط العسكرى الأحمـر » .

أما على الجانب الهندى فقد نشرت الهند ٥٠٠ ألف من قواتهـا العسكرية فى كشمير المحتلة من بينهم ١٥٠ ألف جندى يتمركزون بطول خط الهدنة ، وتقوم هذه القوات بدوريات مستمرة على طول خط الهدنة .

وأمام الموقف المتشدد من باكستان والهند فى مواجهة المسيرة ومنعها بدأت جبهة تحرير كشمير منظمة المسيرة فى التراجع خاصة بعد مسيرة ٢٥ ميـلا وقد بدأ الطقس يتغير وكذلك تكتيكات الحكومة حيث وقعت معركة شرسة عند جسر « باندى سايدان » بين المشاركين فى المسيرة وهم عزل من أى سلاح ورجال الشرطة الذين أمطروهم بوابل من الذخيرة الحية ، والقنابل المسيلة للدموع بالاضافة الى الحجارة المتدحرجة من أعلى الجبل وبدأ المشاركون فى المسيرة يتراجعون ويتناقصون شـيئا فشيئا الى أن وصلوا الى ١٥٠٠ من المتشددين الذين أصبحوا على مسافة ٣ أميال من الخط الذى آلوا على أنفسهم اجتيازه .

وبدا تراجع زعماء جبهة تحرير كشمير من الاستمرار فى المسيرة واضحا فى قول رئيس تحرير الجبهة أمين الله خان عندما قال : « لقـد كان اعتقادى انه ليس من الحكمة فى شىء ، كما أنه لا يمت الى الانسانية

أيضا أن أضحى بأرواح العديدين ، ولهذا ذهبنا الى شيناري (قاعدة انطلاق المشاركين فى المسيرة) ، وعقدنا اجتماعا مع المسئولين وأخيرا قررنا تأجيل المسيرة » .

كما ساعدت **مؤسسة « أدهى الخيرية المستقلة »** على وقف المسيرة بقيام أحد مسئوليها بترتيب لقـاء فى سيارة اسعاف توسل فيه الدكتور « ارشاد غوزى » أحد كبار المسئولين فى المؤسسة الى أمان الله خـان . وبكى بين يديه كى يوافق على وقف المسيرة .

ويبدو أن هذا الالتماس بعد الاحداث الدامية جعل امان الله يوازن الأمور ويتراجع ويعدل من تفكيره .

ويعود امان الله الى مظفر أبـاد مع اثنين من معاونيه فى سيارة بيكب مكشوفة . ويصرح بأن المسيرة نجحت فى لفت انظار العالم الى كشمير ، وأنها وجدت وجهات النظر على جانب خط وقف اطلاق النار ، وأنها كذلك أجبرت الهند التى كانت تعتبر كشمير شأنا داخليا على السعى لاحصول على تأييد من مجلس الأمن الدولى . وقال أمان الله خـان « لقد أصبح شباب كشمير معدين فكريا ونفسيا للموت من أجل حريتهم » .

ان هذا الموقف الذى اتخذته الجبهة الوطنية أكسبها شعبية كبيرة على مستوى الداخل والخارج وجعلت هذه المسيرة من « أمان الله » بطـلا قوميا بغض النظر انه لم يعبر خط الهدنة كما وعـد .

ولكن على الرغم من كل ذلك فلا يزال حزب المجاهدين يلقـى تأييـدا كبيرا فى كشمير لأنه ينادى باجراء الاسفتاء وفقـا لقـــرارات الامم المتحدة ومجلس الأمن حتى اذا ما جاءت نتيجة الاستفتاء الموافقة على انضمام كشمير لباكستان تم ذلك . ولكن حزب جبهة تحرير كشمير يرفض الاستفتاء ، ويرفض الانضمام الى باكستان وينادى باستقلال كشمير وادارتها بسياسة الفكر العلمانى .

وهذه الدعوة من الحزب جعلته يحظى بتأييد الغرب وأمريكا بل والصين خوفا من سيطرة المجاهدين على مقاليد الحكم وظهور الحـكم الأصـولى .

ومن الملفت للنظر أن الجبهة الوطنية لتحرير كشمير كثيرا ما تسيير مظاهرات داخل كشمير المحتلة تهاجم فيها باكستان فى الوقت الذى لا تتعرض فيه مكاتبها وأعضاؤها لأى خطر من جانب القوات الهندية فى كشمير المحتلة .

ان الهند تتعاطف مع جبهة تحرير كشمير فهى أفضل الخيـارات بعد أن فشلت دلهى عسكريا وسياسيا فى اخضاع كشمير لسيطرتهـــا ، وبالتالى فإن وجود نظام علمانى ضعيف لا تربطه بباكستان صـــلة أفضل بديل للهند فى كشمير المحتلة ، .

ورغم كل هذا التأييد من الهند والغرب للجبهة الا أن حزب المجاهدين لايزال يشكل القوة الضاربة ويحظى بتأييد كبير من جميع الكشميريين .



الفصل الثاني

أبعاد هدم المسجد البابرى
وصداه على المسلمين

أبعــاد هدم المسجد البابرى وصــداه على المسلمين

مدخـــــل :

فى السادس من شهر ديسمبر ١٩٩٢م قام متطرفون هندوس يقــدر عددهم بمائتى ألف بهدم المسجد التاريخى الأثرى وهو مسجد بابرى فى بلدة ايوديا ٠ ويعد هذا المسجد الذى بنى منذ قرابة الخمسمائة عام أثرا ونموذجا فريدا لهندسة العمــارة الاســلامية ٠

ان ما حدث من جريمة بشعة وعمل اجرامى ترفضه أديــان الأرض كلها جــزء من مخطط هندوسى تقوم على تنفيذه الحركة الهندوسـية المتطرفة فى الهند لمسح هوية الانسان المسلم ولطرده من أرضه، ولامتهان مقدساته الاسلامية ٠

ان هدم هذا المسجد ليس فقط اســاءة الى مشاعر المسلمين فى جميع أنحاء العالم ولكنه فى نفس الوقت يعرض الاستقرار السياسى فى الهند لأزمات وقلاقل لا يعلم الا الله ما ستنتهى اليه ٠

وعلى الرغم من أن المسلمين فى الهند تعرضوا فى تاريخ تعاملهم مع الهندوس لكوارث كثيرة الا أن هذه الكارثة تعــد أكبر كارثة هزت مشاعرهم من أى شىء آخر ، منذ أن لقى آلاف الأشخاص مصرعهم فى أعمال الشغب التى رافقت تقسيم الهند عام ١٩٤٧ ، فقد لقى أكثر من ١٢٠٠ ما يزيد على الف ومائتى شخص مصرعهم على الأقل منذ تدمير هذا المسجد ، معظمهم من المسلمين ، قتلوا برصاص الشرطة ٠

إن غضب المسلمين ليس فقط من الهندوس الذين هدموا المسجد الذى يعود بناؤه الى القرن السادس عشر الميلادى ، وانما أيضــا الى الحكومة التى سمحت بحدوث عملية الهدم ، فى وقت ينص فيه دستورها على أنها دولة علمانية ، ومفهوم العلمانية يعنى أن الدولة بهذا المفهوم لن يكون لها ديــن ، ولكنها ستراعى عدم التفرقة فى رعايتها مختلف الأديان فى الهنــــد ٠

ويصل تعداد المسلمين فى الهند إلى ٢٠٠ مليون مسلم وهم بذلك يعدون أكبر تجمع اسلامى فى العــالم بعد اندونيسيا لكن يتفوق الهندوس عليهم عدديا حيث يوجد سبعة هندوس مقابل كل مسلم واحد فى الهند ٠ وعلى الرغم من ذلك فان معدل نمو تعداد المسلمين يسجل أعلى معدل فى تعداد الهند ٠ ويعد المسلمون فى الهند أكبر طائفة فى العدد بعد الهندوس ، فهم يشكلون نسبة ٢٠٪ تقريبا ويتركز المسلمون بشكل كبير فى ولايات أوترا برادش ، وغرب البنجــال ، وبهار ، ومهار شترا ، وكيرالا ، واندهرا برادش ، وآســام التى يشكل المسلمون فيها ثلاثة أرباع السكان ، وتعتبر كارا نتاكا ، وجامو ، وكشمير من بين المراكز الرئيسية للسكان المسلمين ٠

نيـة الهـدم منذ وقت مبكر :

لقد كان بقاء مسجد أيوديا قبـل هدمه يمثل أدنى حد لرمز السلطة العلمـانية المتعارضة مع التعصب الهندوسى ، والآن وقد تم تدمير ذلك الرمز فقد اهتز اتجاه العلمانية من أساسه ٠

ومنذ وقت مبكر ويخطط الهندوس المتطرفون للاستيلاء على المسجد بحجة أن مكانه هو مولد ربهم والاههم راما ، لذلك انتهكوا حرمته أكثر من مرة فى المـاضى ، وقاموا بوضع التماثيل الهندوسية بداخله، وحولوه من موضع مقدس الى موضع مدنس يعج بالأصنام ٠ ان الذين دمروه قد حطموا أربابهم وأصنامهم وما يخص ديانتهم من مواد ورمـوز مقدسة قبـل أن يدمروا البنيان الذى كان مقدسا بالنسبة للديانة الاسلامية ٠

وقد حدث اعتداء قبل عامين على المسجد من قبل هندوس متعصبين أعقبه أعمـال شغب ، لكنها كانت على نطـاق محدود ٠ ومما يوضح ويكشف نيتهم المبيتـة للقيـام بهذه الأعمال ما ذكرته صحيفة (الاوبزرفـر ٠) لسـان حال حزب (بهارتيا جاناتا) المتعصب فقد ذكرت فى مقال لها ظهر مؤخرا : ان قضية مسجد بابرى ومعبد رام لا تختلف عن المسجد الأقصى وهيكل سليمان ، ومثلما نجح اليهود فى استعادة هيكلهم فعلى الهندوس أن يستخدموا القوة كما فعـل اليهود لاستعادة معبدهم ٠ وقد صدق زعيمهم فى وعده ٠

وتتضح خطـورة الموقف اذا عرفنا أن الهند تضم عددا كبيرا من المسـاجد والأبنية الأثرية التى شيدها ملوك المسلمين ابان حكمهم للهند مثل « تاج محل » و « ريد فورت » أى القلعـة و « قطب منيـار » أى المنـارة المشهورة ، اضافة الى المسجد الجامع فى دلهى ، وبجانب هذه المسـاجد الكبيرة المشهورة هنـاك ما يزيد على ثلاثة آلاف مسجد أخرى يزعم الهندوس أنها بنيت على أنقاض معابد هندوسية ، وهـذا يعنى أن مصـيرها لن يختلف عما آل اليـه مسجد بابرى من تدمير ٠ وقد حدث بالفعل فقد هدم الهندوس ٣٠ مسجدا فى « عليكرة » و ١٠ مساجد فى « حيدر أباد » حدث ذلك منذ أشهر قليلة ٠

ان المتبع للدعاوى التى رفعها الهندوس مطالبين بالحكم لصالحهم فى الاستيلاء على المسجد يتأكد من نيتهم المبيتة بشـأن المسجد ففى يناير ١٨٨٥ م يطلب أحد كهانهم التصـريح من قاضى دائرة فيض أباد لبنـاء معبد فى المقـر الواقع خارج المسجد ٠ ويرفض القـاضى هذا الطلب ٠ وتتكرر المحـاولة فى مارس ١٨٨٦ م ، ومارس ١٩٤٦ ولكن القـاضى المدنى يرفض ويؤكد أن المسجد من عقارات الوقف للمسلمين ٠

وفى سنة ١٩٣٤ يهاجمون المسجد ويهدمون السور الخارجى والمنارة وتتدخل الحكومة البريطانية آنذاك وتعيد بناء ما تهدم من المسجد ونضع المسجد تحت حراسة الشرطة .

وفى ديسمبر ١٩٤٩ قام الهندوس بتنصيب تمثال « راما » داخل المسجد بينما تظاهر الحراس بالنوم وفى يوم تال هاجموا المسجد ودخلوه عنوة وقاموا بأداء طقوسهم الوثنية ، ويومها يأمر نهرو بازالة التمثال واغلاق باب المسجد ، الا ان القاضى (ناير) يقوم باغلاق المسجد ويتغاضى عن رفع التمثال . وقد أعطى استمرار التمثال بداخل المسجد حجة للهندوس باستمرار المطالبة بالمسجد وقد كافأ الهندوس هذا القاضى بانتخابه عضوا فى مجلس النواب .

وفى يناير ١٩٥٠ ينتزع الهندوس حكما لأداء طقوسهم الدينية بداخله . وفى ديسمبر ١٩٦١ يرفع المسلمون دعوى للحصول على المسجد والمقبرة ، وفى فبراير ١٩٨٦ يحصل الهندوس على حكم يفتح الباب الرئيسى للمسجد ، وفى فبراير ١٩٨٩ تعلن جمعية الهندوس عن بناء معبد (راما) فى موقع المسجد ، ولكن فى أغسطس بعد رفع دعوى من قبل مجلس الأوقاف تصدر المحكمة العليا أمرها بابقاء الأمور كما هى وبدون أى تغيير .

ولم تتوقف حملات الهندوس على المسلمين ومطالبتهم بمسجد ايوديا مدعين ان الاله راما ولد فى هذا المكان وقد وجدناهم فى يوليه ١٩٩٢ ينظمون حملة ضارية ضد المسجد ويقومون بالحصول على ترخيص حكومى للتبرع لهدم المسجد ، ويستشهدون فى ادعاءاتهم بالأحكام التى سبق أن حصلوا عليها من قضاة هندوس يحقهم فى مكان المسجد . خاصة وأن قضاتهم الهندوس قد أصدروا أحكاما مماثلة بامكانية الاستيلاء جبرا على المساجد لصالح النفع العام ، وأن بناء مسجد ليس أمرا ضروريا لأداء الصلاة حيث يمكن تأديتها طبقا لهذه الأحكام فى أى مكان . كما أصدروا لهم أحكاما تجوز انتهاك الهندوس حرمة مدافن المسلمين ما دامت لم تستخدم مدة عشرين سنة ومن حق الهندوس تسوية القبور بالأرض وبناء بيوتهم عليها وأن هذا التصرف لا يعد منافيا للقانون .

هدم المسجد وتطور الأحداث :

وقعت هذه العملية البربرية فى ايوديا يوم الأحد الموافق ٦ من ديسمبر ١٩٩٢ حيث زحفت جماهير من الهندوس المتعصبين تضاربت أعدادهم ما بين ٥٠٫٠٠٠ هندوسى وفى تقديرات أخرى ارتفع العدد الى ٣٠٠٫٠٠٠ وقاموا بتكسير كل ما اعترض طريقهم واستولوا على المسجد

الذى يعود تاريخه الى القرن السادس عشر وقاموا بهدمه ليبنوا فى موقعه معبدا لمعبودهم الاله راما أحد آلهة الهندوس ٠

وقد أعلن زعماء الهندوس يوم ٥ من ديسمبر أنهم اتفقوا جميعا خلال اجتماع عقدوه على المضى قدما وبدء عمليات هدم المسجد متحدين بذلك قرار المحكمة العليا ٠

وتقع مدينة ايوديا حيث يوجد المسجد فى ولاية (اوتار برديش) وتسيطر على هذه الولاية حكومة محلية مكونة من أفراد من حزب بهراتيا جاناتا المتعصب والذى يرأسه « لال كرشنا ادفانى » ٠

وبعد هدم المسجد شيدوا خلال يومين معبدا مؤقتا محل المسجد ٠ وعلى الرغم من أن الحكومة أخلت المكان من الهندوس المتعصبين الذين قاموا بالهدم وتعهدت للمسلمين باعادة بناء المسجد لكن السلطات الهندية فى نفس الوقت لم تستطع الاقدام على تدمير المعبد العشوائى المؤقت الذى اقيم محل المسجد والذى اصبح يعد الان فى اوساط واسعة كمكان مقدس ٠

وعقب هدم المسجد اتسعت رقعة الاضطرابات فى البلاد لتعم اكثر من ٤٥ مدينة اضافة الى مئات القرى فى شمال الهند ، وتشير الدلائل الى أن مدينتى « بنارس » و « الـه أباد » والمناطق الغربية من ولاية « اوتر براديش » هى أكثر المناطق تأثرا بهذه الاضطرابات ، ويخشى المراقبون الاسلاميون من أن تكون مدينة « كابندر » ذات الرواج الاقتصادى المعروف وذات الأغلبية من التجار المسلمين هدفا للأحقاد الهندوسية المتعصبة ٠

ونتيجة لهذه الاضطرابات لقى ما يزيد على ١٢٠٠ ألف ومائتى شخص مصرعهم فى أعمال العنف التى انتظمت الهند من أقصاها الى أقصاها معظمهم من المسلمين ، ولا تزال حمامات الدم مستمرة فى بعض المناطق المعزولة ، ففى ولاية جورجات الغربية اعتدت عصابة على ثمانية أشخاص بعد أن أنزلتهم من القطار وضربتهم حتى الموت ٠

واحتشد نحو ٥ آلاف متطرف هندوسى حول ممر هبوط الطائرات فى فايزأباد بالقرب من أيوديا فى الموعد المحدد لوصول أربعة من الزعماء الهندوس فى طريقهم للمثول أمام احدى المحاكم المحلية ٠ وفى تحد لأوامر السلطات التى تحظر التجمهر فى مجموعات تزيد على أربعة أشخاص ردد المتطرفون الهندوس المحتشدون فى المطار شعارات تقول « حاربوا المسلمين الزبالة ونحن وراءكم » ٠

والجدير بالذكر أن غالبية الأحزاب ـ باستثناء الأحزاب المتطرفة ـ

أدانت هذا التصــرف الأحمق ، كما أصدرت محكمة النقض العليا قراراتها باستنكار هدم هذا المسجد واعتقال عدد من القيادات التى أشعلت نار الفتنــة والتى حضرت عملية الهدم ٠

التواطــؤ :

الأمر الذى لا شك فيه أن اللوم يقع أولا على حزب (باراتيا جاناتا) اليمينى المتطرف فهو السبب فى هدم المسجد ، وتفجر أعمال العنف التى راح ضحيتها ما يزيد على ١٢٠٠ ألف ومائتى شخص ، لكن اللوم يوجه أيضــا الى رئيس وزراء الهند (نارا سمهارا راو) فهو مسئول أيضــا عن التراخى الذى نتج عنه احتلال المسجد من المتطرفين قبل الهــدم ومسئول أيضــا عن التراخى فى طردهم بعد الهدم مما أتاح لهم بنــاء المعبد العشوائى المؤقت على أنقاض المسجد ، فقد انتظرت قوات الشرطة لمدة يومين قبل أن تقدم على اخلاء المنطقة من المتطرفين الهندوس ٠

ومما يؤكد التواطؤ بين الحكومة وبين حزب (باراتيا جاناتا) الصــورة الكاريكاتيرية التى رسمتها صحيفة (ستيتمان) التى تصدر باللغــة الانجليزية وهى أوسع الصحف انتشــارا فى كلكتا ظهر فى هذه الصــورة (نارا سمها راو) رئيس الوزراء و (لال كريشنا ادفــانى) زعيم حزب (باراتيا جاناتا) وهما يتصارعان فوق الطولة التى تفصــل بينهما فيما يتصافحان بحرارة تحت الطاولة ٠

ومما يؤكد تواطؤ الحكومة مع الحــزب المتطــرف وصول قوات الشرطة بأعداد لا تتناسب مع عدد الهندوس المتطرفين وبعد أن انتهى المتطرفون من الهدم وتحويله إلى معبد هندوسى ، وتشير بعض وكالات الأنبــاء أن جــزءا كبيرا من قوات الشرطة شــارك فى عملية الهدم وبناء المعبد ، وانهم كانوا متعاطفين مع المهاجمين ٠

وعلى كل حال فليست هذه هى المــرة الأولى التى تساند فيهــا قوات الشــرطة الهندوس ، فمنذ بدأ الصــراع بين جماهير الهندوس والمسلمين وجدنا قوات الأمن تساند المتطرفين من الهندوس الذين يهاجمون مناطق المسلمين ، وكانت قوات الأمن نفسها تشترك فى مهاجمة المسلمين كما حدث فى « مراد أباد » سنة ١٩٨١ عندما فتحت الشرطة النــار على المسلمين وهم يؤدون صلاة العيد ٠

ولا يغيب عن البال أن سياسة الترضية التى اتبعها رئيس وزراء الهند (نارسيمها راو) تجــاه حزب (باراتيا جاناتا) منذ الأشهر الأولى لتوليه السلطة هى واحدة من الأخطاء التى أدت فى النهاية الى مأساة ايوديا ٠ كما أن طريقة معالجته للأزمة ساعدت الأصوليين الهندوس على تحقيــق مــآربهم ٠

موقف الحكومة :

منذ فترة طويلة والحكومة الهندية تظهر التهاون وعدم الجدية فى معالجة القضية كل ذلك يحدث رغم صدور قرارات من محاكم هندية صغرى وعليا بعدم قانونية هدم المسجد . وكانت الحكومة الهندية تبدى نوعا من اللامبالاة بدليل أن المتظاهرين لم يقاوموا من قبل رجال الأمن والشرطة بما يعطى انطباعا بأن هناك تواطؤا واضحا .

على أن هذا التراخى فى مواجهة الموقف بحسم وضع الحكومة الهندية وتنتيجة لما حدث فى مازق سياسى حيث وجهت لها تهمة عدم الالتزام ببنود الدستور الهندى من بعض الأحزاب المعتدلة والذى يقضى بضرورة المحافظة على حرية الشعائر الدينية والمقدسات لجميع الأديان والطوائف وتوفير الحماية اللازمة لها .

لقد أشارت كثير من الصحف الهندية الى بطء تصرف الحكومة والى مسئولياتها فى تصاعد الأحداث التى أدت الى الهجوم على المسجد وهدمه ، وحتى القيادة الوطنيون الهندوس الذين وعدوا بكبح جماح القوى المحتشدة هناك كانوا عاجزين عن الوفاء بعهدهم ، كما أخفقت حكومة نيودلهى فى الاستعداد لاحتمال عدم قيام حكومة الولاية التى كانت فى يدى حزب دينى هندوسى بالتصدى للهجوم على المسجد .

غير أن الحكومة الهندية فى محاولة منها لامتصاص ثورة المسلمين وتهدئة الاضطرابات التى حدثت قامت باعتقال قادة حزب باراتيا جاناتا ، والمنظمات التابعة للحزب بتهمة التحريض على أعمال العنف ، كما قامت حكومة الهند المركزية بحل حكومات حزب (بهاراتيا جاناتا) فى ولايات مادهيا براديش وهيمانشال براديش، وراجا ستان لاخفاق هذه الحكومات الاقليمية فى اقرار النظام والأمن اخفاقا مشينا ، والوفاء بوعدها بحماية المسجد ، بل ذكر شهود عيان من المراسلين أن أفراد الشرطة كانوا متعاطفين مع المهاجمين ، وقامت الحكومة الهندية أيضا بحظر نشاط ثلاث منظمات هندية ومنظمتين أصوليتين اسلاميتين لمدة عامين بسبب اشعال نيران الكراهية والفرقة والدعوة الى الانفصال .

وقد أعلن رئيس الوزراء (ناراسيمها راو) عن مضى حكومته فى التمسك بالقيم العلمانية والديمقراطية وحماية بلاده من أنصار التعصب واحلال الهندوسية محل العلمانية . ولاشك أن هذا الاتجاه يوفر للمسلمين وغيرهم الحماية ويعطيهم الحق فى ممارسة شعائرهم الدينية .

والسؤال الذى يبرز هل حكومة الهند قادرة فعلا على توفير الحماية للمسلمين من الهندوس المتطرفين ، وهل تضمن أن تقف قوات الشرطة

فى جانب الحق والحيـاد خاصة وأن ٨٠٪ من سكان الهند هندوس ، وتأتى الحصة الأكبر من قوات الأمن من هذه الفئة .

ويبدو المسلمون فى الهند الآن خـائفين من غضبات أخـرى من الهندوس على مقدساتهم الهندية وعلى أرواحهم خاصة وأن حكومة الهند الحالية قد لا يطول بها الزمن قبـل أن يشكل حزب (بهارتيا جاناتا) الهندوسى المتعصب حكومة الهند . وعندها لن تكون الهند دولة علمانية بل ستتحول الى بلد هندوسى الديانة متعصب لمعتقداته ، وبانتظار هذه النتيجة التى نرجو ألا تكون وشيكة فسوف تستمر الحكومة الحالية فى دلهى ولو ظاهريا بالتمسك بالقيم العلمانية لمؤسسى حزب المؤتمر .



أبعـاد هدم المسجد البـابرى
من الهندوس المتعصـبين فى ايوديـا

تـاريخ الصـــراع :

منذ أن دخل الاسـلام الهند والثقافة الاسلامية يمتد تاثيرها الى كل السكان خاصة وأن الهند بلد ذو ثقافات متعددة ، ويعترف المؤرخون المنصفون بتأثير الثقافة الاسلامية وما قدمته للحضـارة الهندية . لكن الهندوس كانوا يخـافون من الاسـلام وما يحمـله من مبـادىء وقيم وحضـارة ، وأرادوا أن يذوب المسلمون وهم أقليـة فى خضم الحيـاة الهندية بما تحمـل من معتقدات وتقاليد ونصحوا المسلمين لقبولهم بينهم أن يقبلوا (الراما) و (المـاها بهارات) كأناشيد قومية لهم ، وأن ينظـروا الى (راما كريشنا) و (شيفاجى) أبطـالا قوميين ، وأن يشجبوا الشخصيات التاريخية الاسلامية كما لو كانوا خونة وغزاة أجانب، وطلبوا منهم أن يتركوا الأسمـاء العـربية ، وفرضت الكتب الهندوسية كملاحم قومية على المسلمين رغم ما تضمه من فلسفات تتناقض بشـكل مباشر مع فلسفة الاسلام فى الحياة .

وترجع أزمة مسجد بابرى الى عام ١٨٥٨ عندما أشعل المتطرفون النـار فى المسجد ليـلا وكتبوا على بعض جدرانه الداخليـة عبـارات « معبـد رام » .

ويعـاود المتطرفون مرة أخرى عام ١٨٧٧ هجومهم على المسجد ، ويقومون بهدم أحد الجدران الأمامية .

وخلال الاضطرابات التى حدثت بين المسلمين والهندوس عام ١٩٣٤ يعـاود الهندوس هجومهم على المسجد ولا يكتفون هذه المـرة بالكتابة على جدران المسجد انما أضافوا الى الكتابة رسم صورة الاههم (رام) كما حفـروا فنـاء المسجد .

وفى سنة ١٩٤٩ يهاجمون المسجد عنـوة ويتمكنون من الدخـول ويضعون بداخله عددا من الأصنام .

وفى سنة ١٩٨٦ تصدر احدى المحاكم الهندية حكما بفتح المسجد للهندوس لأداء طقوسهم الدينيـة . وبدأ الهندوس يفدون على المسجد من جميع أنحاء الهند لممارسـة معتقداتهم الدينية وعبـادة ربهم رام باعتبـار أن هذا المكان مسقط رأسـه . كما قاموا بادخـال العديد من الأبقار فى سـاحة المسجد وتركوها سائمة .

وفى أغسطس ١٩٨٩ أصدرت المحكمة العليا أمرها بابقـاء الأمـور كما هى وبدون تغيير ووقعت جمعيـة الهندوس اتفاقية مع الحكومة ،

وقبــل أن يجف مداد الاتفاقية قامت جمعية الهندوس برفع علمها على المقــر المتنــازع عليــه ٠

وفى ٧ نوفمبر ١٩٨٩ أكدت المحكمة العليـا أن المقر المتنــازع عليه لا يجــوز التصــرف فيــه ٠

ومن ٦ ديسمبر بدأت القلاقل من جديد ، وبدأ الهندوس يدخلون المسجد غير عــابئين ٠

ويدعى الهندوس أن الملك بابر الذى أقام امبراطورية اسلامية فى الهند فى القرن السادس عشر الميلادى هدم معبد رام فى منطقة أيوديا وبنى مسجده على أنقاضه عام ١٥٢٨ م ٠

ولا يستند هذا الزعم الى حقــائق تاريخية أو مصــادر موثوقة يمكن التعويل عليهــا لأن البحوث والدراسات التاريخية التى أصدرتها جامعة جواهر لال نهرو أكدت أن مسجد بابرى لم يبن على أنقاض معبد رام ٠ وقد فندت الوثيقــة التى وقع عليها ٢٥ مؤرخا هنديا مزاعم حزب بهارايتا جاناتا وذكرت أنها ادعاءات من محض الخيال وليس لها أى أساس من الصحة ، وأن معبد رام لم يبن أصلا فى أيوديا انما فى منطقة أخــرى قريبة منهــا وقد سجل هــذه الحقيقــة مؤرخان هنديان مشهوران هما (أريا سماى) والدكتور (رام ســران) ٠

ومن يرجــع الى تاريخ المسلمين فى الهند يجد حرص الملك بابر المسلم على أن يسود الوئام والسلام بين المسلمين والهنــدوس ، ففــى مذكراته التى يعدها كثير من المؤرخين الهنــــدوس وثيقة صـــادقة تؤرخ تفصيليا للفترة التى عاش فيها يوصى ابنه همايون بمعابد الهنــدوس وبالبقر الذى يعبدونه فيقول له : « يا بنى ان الامبراطورية الهندية بها العــديد من الأديان ويجب أن تشكر الله على ما حباك من نعم فى هذا البلد ، انشر العدل فى ربوع البلاد ، وتجنب ذبح البقر ، ولا تهدم معابد غير المسلمين بهذا تكسب قلوب الهندوس » وهذه الوثيقة التى سجلها الملك بابر عندما بنى المسجد تعكس روح السلام التى كان يتحلى بها الملك فى تعامله مع الهندوس فكيف والأمر كذلك يقدم على هــدم معبــد يعلم جيدا أنه مكان مقدس لأكبر طائفة فى الهند ٠

وفى الوقت الذى تنفق فيه الحكومة الهندية المبالغ الطائلة على بناء وتجديد المعابد الهندوسية تمنع المسلمين من بناء المساجد أو حتى ترميم القديم منها خاصــة وان الهند بها كثير من المســاجد والمدارس والجامعات والقلاع ، وغير ذلك كثير من آثار اسلامية ٠ وقد هــــدم الهندوس ثلاثة مساجد اخرى قريبة من المسجد البابرى ٠ وادعى الهندوس من قبل أن الغزاة المسلمين حطموا معبدين (ســـومناذ) فى القـــرن الحادى عشر الميلادى لذلك أقسم (سردار تيل) نائب رئيس وزراء الهند وقتــذاك أن يعيد بناءه ، واجتمع عدد من وزراء الاتحاد مــع

لجنة البنـاء والتجديد ، واشترك وزير الخارجية كما اشترك رئيس الهنـد نفسه فى الاحتفالات الرسمية التى أقيمت عند انتهائه . وقـد اجبرت حكومة ولاية (أوتار براديش) حتى المسلمين لدفع ضريبة بنـاء أماكن العبادة وتم بهذه الأموال بناء المعابد وملئها بالأصنام .

ولقد بدأت الاضطرابات بين المسلمين والهندوس بسبب إقـدام الهندوس على هدم المساجد وبناء معابد أصنامهم على أنقاضها منـذ سـنة ١٩٤٧ وامتدت حتى الآن بحيث لم يمر عام منذ هذا التاريخ حتى وقتنا الحاضر دون أن يشهد عشرات وأحيانا مئات من هذه الاضطرابات الداميـة .

لقد شجع الاستعمار البريطانى أبان فترة احتـلاله للهنـد على استمرار هذه الاضطرابات وأذكى نيران الخصومة بين المسلمين والهندوس وانحاز لجانب الهندوس ضد المسلمين ويكتب وليام هوارد راسل فى سـنة ١٨٥٨م يقول : « ان العنصر المحمدى فى الهند هو ذلك العنصر الذى يسبب لنا أكثر المتاعب ، ويثير ضدنا أكبر قدر من العداوة .... ، ان كراهيتنا لاتباع محمد أغنى بكثير من تلك التى بيننا وبين عبدة شيفا وفيشنو ، انهم المسلمون بلاشك أخطر بكثير على حكمنا » .

ويشير رئيس الوزراء البريطانى بالمرستون (١٧٨٤ - ١٨٦٥م) على اللورد كاننج الحاكم العام للهند بضرورة دك أى مبنى خاص بالمسلمين وتسويته بالأرض دون أن يؤخذ بعين الاعتبار عظمة المبنى من الناحية الأثرية أو شغف الناس به من الناحية الفنيـة ، وكان الشعور المعـادى للاسلام عارما إلى حد أن الشعب الانجليزى - على حد تعبير أحـد المسئولين البريطانيين لم يقنع بمجرد حشو المسيحية فى حلوق المسلمين ما لم يتضمن اعتناقهم لعقيدة الصليب امتهانا لتعاليم النبى وازدرائها .

لقد حرص الانجليز ابان استعمارهم للهند على اذكاء نـار الفتنة بين الهندوس والمسلمين من خلال سياستهم المعروفة « فرق تسـد » ، وان المتأمل لتاريخ الصراع بين الهندوس والمسلمين يستطيع أن يدرك أسلوب المستعمر فى وضع بذور الكراهية بين الجماعتين .

على أن بذور الكراهية التى بذرها المستعمر نمت وترعرعت بعد الاستقلال حتى اكتملت شجرة الكراهية والفتنة الطائفية فى ظل حكومات يسيطر عليها الهندوس تقف دائما فى مواجهة الأضطرابات التى تحدث بين الطائفتين فى صف الهندوس ، وتشـترك الشرطـة أداة الحكومة التنفيذية فى قتل المسلمين فقد أثبتت مواقع اصابات الضحايا المسلمين بعد احداث المسجد البابرى أن الشرطة اطلقت النار على المواطنين المسلمين فى الرأس والصدر بهدف القتل وليس تفريق المتظاهرين كما ادعت مصـادر الحكومة .

إن من يطالع الملصقات المعادية للمسلمين التى يضعها الهندوس فوق جـدران مساجد المسلمين أو آثارهم الاسلامية يشعر بمدى الكراهية والنار المتأججة فى نفوسهم فقد جاء فى أحد هذه الملصقات « اتركوا القرآن أو اتركوا الهنـد » و « هندوستان تخص الهندوس » ٠

تطرف الأحـزاب والمنظمات الهندوسية وراء هدم المسجد البابرى :

تضم الهند مجموعة كبيرة من الأحزاب المتطرفة مثل حزب بهاراتا جاناتا ، وحزب سينا ، وراشتريا سوايا مسيفاك سأنج أو سلاح الخدمة الوطنية ، وفيشوا هندو باريشاد أو المجلس الهندوسى العـالمى ، وباجرانج داك ٠

وتنادى هذه الأحزاب والمنظمات والجماعات المتطرفة بهدم المساجد وبنـاء المعـابد الهندوسية فوقها بزعم أنها كانت مبان هندوسية قديمة ثم هدمها ملوك المسلمين وشيدوا مساجدهم على أنقاضها ٠

ومن الأحزاب الهندوسية المتعصبة حزب « بهرتيا جاناتا » فى دلهى ، وهو الذى شكل الحكومة المحلية فى ولاية (اوتار برديش) التى هـدم فيها المسجد البابرى وهى أكبر ولاية فى الهنـد ٠

ويعد هذا الحزب من أقوى أحزاب الهندوس المتطرفة فقد حصل هذا الحزب عام ١٩٨٤م على مقعدين فقط فى البرلمان لكنه حصل فى انتخابات ١٩٨٩ على ٨٤ مقعدا ، وفى عام ١٩٩١ م حصل على ١١٨ مقعـدا ، ويرجع سر تشكيله لحكومة (اوتار برديش) المحلية لفوزه بأعلى نسبة أصوات فى هذه الولاية ٠ ومن الشعارات التى رفعها حزب بهاراتيا جاناتا فى أثناء حملته الانتخابية الأخيرة « دعونا نتحد أيها الهندوس لبناء معبد رام فوق المسجد ، ولو اقتضى ذلك وقوع بحار من الدماء ، نحن مستعدون لحرب ابادة كاملة للمسلمين ، نحن مستعدون للتضحية بأنفسنا من أجل معبد رام ٠ إن هؤلاء المسلمين الغزاة أصحاب مسجد بابرى ــ الذى بناه المحتل شاه بابر ــ ليس لهم مكان فى بلادنا بعد أن دنسوا الهنا رام » وطالب الحزب فى حملته باستعادة باكستان الى الامبراطوية الهندوسية ٠

ويتبع هذا الحزب عدة منظمات ارهابية مثل منظمة (R S S) التى انضم إليها ادفانى زعيم حزب بهاراتيا جاناتا بينما كان عمره ١٥ عاما بالاضافة الى منظمات أخـرى مثل (شيوشينا) و (بارنج وال) و (سماج بهارتيه روبشو هندو بريشه) ٠ وهذه المنظمات هى التى وقفت وراء فتنـة المسجد البابرى التى راح ضحيتها المئـات من المسلمين ٠ ومن الشخصيات البارزة المنتمية الى هذه المنظمات الارهابية الهندوسى المتطرف (برتاب سينج) رئيس الوزراء السابق ٠

وجميع هذه الأحزاب وما يتبعها من منظمات متطرفة تلتقى جميعها عند كرهها للمسلمين والتعصب للثقافة الهندوسية واحياء العقيدة فقد حشدت هذه الأحزاب ومنظماتها أكثر من خمسة ملايين هندوسى على ضفاف نهر (الجانجز) لكى يغطسوا فى الماء المقدس ، وكان من بين المشاركين رئيس الهند ، وكبار الشخصيات ، وكانت النشوة التى أصابت الناس بعيدة عن الوصف • ومن مظاهر تعصب هذه الأحزاب فرض تعليم أطفال المسلمين موادا تتعارض مع الاسلام تحت اسم التراث الثقافى والقومية الهندية •

إن هؤلاء المتطرفين ينظرون الى المسلمين على أنهم سرطان أصاب الهند ، ومن أجل شفاء هذا الجسد لابد من بتر هذا العضو يقول بال شاكرى زعيم حزب (شيف سينا) فى خطاب له ألقاه فى بومباى فى الحادى والعشرين من شهر ابريل ١٩٨٤م : « إن المسلمين الهنود أشبه بالسرطان لهذه البلاد ، والسرطان مرض لا يرجى منه شفاء ، وقد انتشر هذا السرطان فى البلاد كلها ، والعلاج الوحيد هو العملية الجراحية : أيها الهندوس عليكم بالكفاح المسلح واستئصال هذا السرطان من أساسه » •

لقد صب بال شاكرى الهندوس الراديكالى المتطرف العديد من الاهانات على مسلمى الهند ، ومع الأسف لم تتخذ ضده الحكومة أى اجراء مناسب فى وقت كان فيه مسئولا عن اضطرابات بومباى سنة ١٩٨٥م وعندما سأل عضو مسلم فى المجلس الأعلى هو (راياسابها) الحكومة عن الاجراء الذى اتخذته ضد شاكرى والاجراء الذى اتخذته لحماية المسلمين جاء الرد مقتضبا مهذبا (إن الحكومة تنظر فى الموضوع) وسرعان ما نشبت بعد ذلك الاضطرابات المناهضة للاسلام فى كل من بمباى ، وبيهيواندى ، وقد وصف شاهد عيان هذه الاضطرابات بقوله : « ما رأيته أفظع من أن تعبر عنه الكلمات •• مناطق كانت تموج بالحياة ، خيم السكون عليها الآن ، وكأنها منظر لسطح القمر ، لقد تعرضت لعمليات منظمة من النهب والتخريب ، بل إنها دكت دكا حتى سويت بالأرض ، لتعيد الى الذاكرة غزوات القرون الوسطى أو عمليات القصف الحديثة » •

لقد أصبحت هذه الاضطرابات المناهضة للاسلام جزءا من حياة الشعب وبلغ أجمالى هذه الاضطرابات خلال ثلاثين عاما ٨٦٤٥ اضطرابا أى بمعدل ٢٨٨ اضطرابا فى السنة •

ولشاكيرى سام زعيم حزب سينا اليد الطولى فى تحريض الهندوس على هدم المسجد البابرى وهدم مساكن المسلمين الصفيح المنتشرة حول مدينة بومباى والتى يقيم فيها حوالى ١٢ مليون مسلم •

وينكر (شاكيرى سام) أية مسئولية عن أعمال العنف التى وقعت بعد هدم المسجد — فى (دار رافى) أكبر أحياء الصفيح فى قارة آسيا حيث هاجم أعضاء فى جماعته مسلحون بالفئوس تجمعات المسلمين وأجبروهم على اخلاء منازلهم • ويصر شاكيرى على أن مؤيديه لم يفعلوا أكثر من الرد على استفزازات المسلمين •

وتقدر قوة حزب (شيفا سينا) بنحو ٢٠٠ ألف هندوسى منهم ٢٠ ألف متشدد معظمهم من الشباب العاطلين عن العمل •

وبعد هدم المسجد بثلاثة أيام أى يوم ٩ ديسمبر ١٩٩٢م دعا حزب سينا الى اضراب شل حركة مدينة بومباى ، واستهدف مؤيدو الحزب مسلمى المدينة الذى يسكن معظمهم فى أحياء الصفيح • ومما يشجع الهندوس أن الشرطة التى تتكون غالبيتها من الهندوس لا تبدى اكتراثا وتتغافل عن تجاوزاتهم • وقد خلفت اضطرابات بومباى التى حدثت عقب هدم المسجد ١٥٠ قتيلا نتيجة اصابة المسلمين برصاص الشرطة مما يؤكد تخطى القانون والأوامر لاسيما وأن رجال الشرطة لا يخفون تعاطفهم مع حزب (سينا) •

ويزداد موقف الحكومة انحيازا للهندوس يوما بعد يوم ، وبات التعصب للهندوسية فى مواجهة الاسلام سياسة من سياسات الدولة ، وتتمنى الأحزاب المتطرفة أن يأتى اليوم الذى يتم فيه طرد المسلمين من الهند يبدو ذلك فى شعارهم الذى يرددونه وهو : « على المسلمين أن يذهبوا الى الباكستان طوعا أو كرها » •

وكل ما سبق يجعلنى أختلف مع الكاتب « جيمس مانور » فى مقاله الذى نشرته له (الاندبتدنت The indepdent والذى نشرت ترجمته (الأيام) فى عددها ١٣٧٨ ، السبت ١٢ ديسمبر ١٩٩٢م ص ١٥ • والذى يذهب فيه إلى أن الهندوس يحولون اهتمامهم من الناحية الدينية الى الطائفية والطبقية والمحلية أو الهويات الأخرى ، وينقض هذه الدعوة أيضا بجانب ماذكرت مايحدث من نزاع فى كشمير، والبنجاب •

ويخاف المسلمون فى الهند إمتداد منظمات الارهاب والتطرف واستقطابها لقطاعات كبيرة من المجتمع ، فقد استبدل مسئولون كبار الصحفيين ، ورؤساء تحرير الصحف بمنتمين الى هذه المنظمات المتطرفة ، وكذلك الأمر فى الكليات والمعاهد ، ويعترف (تريندر شرما) أحد قادة هذه المنظمات بأنه نفذ عملية زرع عناصر تنظيمات ارهابية من أحزاب الهندوس المتطرفة فى الأمن ، والأجنحة الأخرى بالادارات الحكومية •

الفصل الثالث

مأســـاة مســلمي بورما

مأســـاة مسلمى بورمـــا

مقدمــــــة :

تقع بورما تحت حكم شيوعى عسكرى دموى شرس بقيادة المجلس العسكرى الحاكم الذى يعيش بأفكار شيوعية تجاوزها الزمن ٠ فعندما قام الانقــلاب الشيوعى فى بورمــا عــام ١٩٦٢ أخضــع البــلاد للحكم العسكرى ، وسلب الناس حريتهم وحقوقهم وأصدر قرارات تعسفية عانى منها ما يزيــد على سبعة ملايين مسلم فى بورما ٠ كما تبنى الحـــكم مخططا يهدف الى تصفية المسلمين واستئصال شـأفتهم من كل بورمـــا خاصة وأن هذه الحكومة البورمية تعتبــر سكان أركـــان الروهنجيين المسلمين شعبا بلا وطن لذلك حرمتهم من حقوقهم المدينــة فى العمــل والتنقل ، والسفر ، وامتلاك الهوية التى تثبت الجنسية وغير ذلــك من حقـــوق ٠

واضطهاد المسلمين فى بورما ليس بالأمر الجديد اذ لم يمض على استقلال بورما عن بريطانيا عام ١٩٤٨م الا فترة من الوقت حتى تجاهل رئيس الدولة آنذاك المستر « يونو » حقوق المسلمين وأعلن صراحة أنه لا يوافق على أن يكون للمسلمين أعضاء فى مقاعد مجلس الأمة ، ولا من يمثلهم فى أى مجلس من مجالس الدولة ٠

وما إن تسلم الجنرال (نى وين) الحكم حتى أعلن أن الاسلام هو عدو الدولة مما ترتب على ذلك شن حملة دعائية معادية للاسلام ، وتنفيد مخطط واسع لتشويه الاسلام برعاية وسائل الاعلام الحكوميـــة أعقبه تأميم الممتلكات والعقارات التابعة للمسلمين فى اقليم أركـــان (حيث تقطــن غالبيتهم) بما يعادل ٩٠٪ بينما لم يؤمــم للبوذيين سوى ١٠٪ فقــط ٠

لقد عملت حكومة (نى وين) على افقار المسلمين ومصـــادرة أملاكهم وتقييد حرياتهم ، ومنعهم من تعلم الدين ، وتعليمه ، وفرض الثقافة البوذية عليهم مع أسباب أخرى كل ذلك أدى الى تدفق المهاجرين منذ عام ١٩٤٢ ثم أعقبتها هجرات جماعية أخرى من أهمها الهجرة التى حدثت فى عام ١٩٦٢ ، والتى حدثت فى عام ١٩٧٤ وفيها أبعـــدت سلطات بورما ٢٨٠٠٠٠ ألف مسلم باتجاه باكستان الشرقية (بنجلاديش) ولم تعدهم إلا بعد إحتجاج واستنكار من حكومة باكستان ، وحين رجعوا أدخلتهم السجون ، وعرضتهم للتعذيب مما أدى الى هلاكهم فى السجون ٠

ومن فظائع الجيش البورمى خلال هجرة ١٩٧٤ أنه أركب مئتى عائلة مسلمة فى قوارب حكومية ، وأنزلوهم فى جزيرة خالية من الحياة مما أدى الى موتهم جميعا .

وبسبب استمرار القهر والاضطهاد حدثت هجرة أخرى عام ١٩٧٨ ، أما فى عام ١٩٨٢ فقامت السلطات البورمية بسحب بطاقات الجنسية من كثير من المسلمين فى رانجون ، وأكياب ، ومندو ، وبوكيدنغ بحجة اجراء احصاء عام فى البلاد . وتم خلال عام ١٩٨٢ وضع قانون المواطنة الجديد الذى أجحف فى حقوق المسلمين وحولهم الى أجانب ، وأمام هذه العمليات والمضايقات هاجر نصف مليون باتجاه بنجلاديش ، وباكستان، وأندونيسيا، وماليزيا، والحدود البورمية التيلاندية، والحدود البورمية الصينية ، وأكثر من مليون يقطنون فى منطقة الأحراش . ثم تأتى الهجرة الأخيرة التى بدأت فى عام ١٩٩١ والتى لازالت مستمرة حتى الآن . وتدفق فيها الألوف نحو بنجلاديش ممن طردتهم السلطات البورمية فى عمل اجرامى منظم لقهر المسلمين وتركتهم يسيرون مئات الكيلو مترات فى ظروف طبيعية قاسية ، لا يجدون فيها ضروريات الحياة من غذاء ، وماء ، وسكن ، وتعليم ، وخدمات طبية ولا يملك كثير منهم قوت يومه .

ويعبر نهر ناف الذى يجرى بين بورما وبنجلاديش ٥٫٠٠٠ آلاف مسلم يوميا رجال منكسو الرءوس على أجسادهم آثار التعذيب ، ونساء أعياهن الاغتصاب ، وأشباح أطفال لا يجدون الغذاء .

ان الحملة التى تشنها السلطات العسكرية وأجهزة الأمن فى بورما ضد المسلمين لا يوجد لها مثيل فى الوحشية والقسوة . وعلى الرغم من أن السلطات البورمية تتولى مطاردة كل الأقليات العرقية الموجودة على حدودها مع تايلاند أو مع بنجلاديش الا أن الأساليب الوحشية التى تستخدمها ضد المسلمين لا مثيل لها ، فسلطات بورما لا تدع المسلمين يعيشون فى بلادهم ، ولا تسمح لهم بترك البلاد فى سلام لأنها تلاحق المهاجرين لتقتلهم قبل أن يعبروا الى بنجلاديش فتفتح عليهم النار اثناء عبورهم الحدود مما يسفر عن مصرع المئات كل يوم .

وعلى الرغم من أن السلطات البورمية تحاول بطردها المسلمين من بلادهم كسب رضاء البوذيين ومساعدتهم بتمليكهم منازل ومزارع المهاجرين لكن كثيرا من رهبان البوذيين يعارضون اضطهاد المجلس العسكرى الحاكم فى بورما للمسلمين . وقد وقفت السلطات البورمية من هؤلاء الرهبان موقفا متشددا ولا يتعجب المرء من موقف رهبان البوذية الرافض

لسياسة الحكومة الشيوعية العسكرية فى بورما لأن من مبادىء البوذية المناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير والتصدق على الفقراء ، وهى ترفض القتل ، والسرقة ، والاغتصاب ، والزنى (الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٧)

جغـرافية بورمـا :

تحيط بها الصين وتايلند ، وبنجلاديش ولاوس ، وتبلغ مساحتها ٦٧٨ر٥٠ كيلو متر مربع وتحيط بها الجبال وتغطى معظمها الغابات الكثيفة ، وتجرى فيها الأنهار شمالا وجنوبا ، وقد أوجدت أودية ، كما ساعدت فى اتمام عملية المواصلات والتنقل خاصة نهر الايراودى ٠

وبجانب عاصمة بورما رانجون توجد مـدن أخرى هامة مثـل ماندلانى ، وكارب ، ومولميمين ، وباسيين ٠

ويصل عدد سكان بورما الى ٥ر٤٠ مليون نسمة منهم بورميون ، ومسلمون ، وشان ، وكارين ، وراخين ، وصينيون ، ومون ، وهنود ، وآخـرون ٠ ويتفاهم الناس باللغة البورمية مع وجود لغـات أخـرى للأقليات القومية ٠ ويدين السكان بالبوذية ، والاسلام ، والمسيحية ، والوثنية وعندهم صناعة المنسوجات ، والجوارب ، والأخشاب ، وتكرير النفط ، والتنجيم ، والنحاس ، والصفيح ، والحديد ، ومواد البناء ، والأدوية ، والأسمدة ٠

وأهم محاصيل بورما ، الأرز ، والفاصوليا ، والحبوب ، والذرة ، وقصب السكر ، والفول السودانى ، وهناك الزراعات غير المشروعة مثل الخشخاش والحشيش (قنب) والأفيون ٠ والقصدير ، والأحجـار الكريمة ، ويعمل الناس بالزراعة والصناعة ، والتجارة ، والوظائف الحكومية ٠ وتضم الجمهورية سبع ولايات ٠

وتسمى بورما « جمهورية بورما المتحدة الاشتراكية » نظام الحكم فيها عسكرى ٠ واسم رئيس الدولة « سارمونق » نصب فى ١٩٨٨/٩/١٨ ، واسم رئيس الحكومة « تـن تـن » نصب فى يوليه ١٩٨٨م ٠

تطـور تـاريخى :

دخل الاسلام بورمـا فى القـرن الأول الهجرى مع مجىء التجـار المسلمين الى هذه البلاد ٠ فقد كان لهؤلاء التجار الفضـل فى نشر الاسلام فى هذه المنطقة ٠ وقامت أول دولة اسـلامية فيها سنة ١٤٣٠ م على يد

سليمان شــاه « نرا ميخلة » وامتدت فترة طويلة من الزمن وصلت الى ٣٥٠ عاما ، حكم اقليم أراكان المسلم فى بورمــا نحو ٤٨ أميرا مسلما الى أن غزاها البوذيون واحتلوها عام ١٧٨٤ م ٠

وفى عام ١٨٢٣ م احتل الانجليز بورمــا واقليم (أراكان) المسلم وظلت فى يد الحكم البريطانى حتى الاستقلال وخروج الانجليز عــام ١٩٤٨ ٠ ولكن قبل أن يخرج الانجليز سلموا اقليم أراكان المسلم للحكومة البــوذية ٠

وخلال الحرب العــالمية الثانية عندما هاجمت اليابان بورما قتل من سكان المنطقة الاسلامية ما يقــرب من (١٠٠ر٠٠٠) مــائة ألف مسلم ٠ ولم يكن فى (أراكان) أى حكومة محليــة ٠ ومن المؤسف أن يترك الانجليز اليابانيين يعيثون فى الأرض فسادا ٠

ومنذ أن حدث الانقلاب الشيوعى فى بورمــا عام ١٩٦٢ وأخضع البلاد لحكم عسكرى وحملاته ضد المسلمين لم تنقطع ، وقراراته التعسفية نحوهم لم تتوقف ، فقد حل جميــع المنظمات الاجتماعية التى ينتمون اليها واعتقل زعماء المسلمين وأبعد المسلمين من المناصب المهمة كالشرطة والجيش ، والوظائف الحكومية ٠٠٠

اقلــيم أراكــان :

ويتجمع فيه غالبية المسلمين الموجودين فى بورمــا ويقع فى جنوب غرب بورمــا على مساحة تمتد الى ٢٠ر٠٠٠ ميل مربع ، تحــده من الشمال بنجلاديش بحدود يبلغ طولها ١٧١ ميلا ، وفى الشــرق جبال أراكان التى جعلت أراكان منطقة مفضلة تماما عن بورمــا ٠ وعاصمة أراكان أكياب ٠ وقد دخلها الاســلام فى القرن الأول الهجرى كما ذكرنا على أيدى التجار المسلمين وانتشــر المد الاسلامى عن طريق هؤلاء التجــار وعن طريق الدعاة ، وعبر السنوات أصبح مسلمو أراكان يتألفون من عدة عنــاصر :

- عناصر تعود أصولها الى غرب شبه الجزيرة العربية ٠
- عناصر تعود أصولها الى جذور عربية قدمت الى أراكان مع الفتح الاسلامى لبلاد الهند والسند ٠
- عناصر تنحدر من أصول مختلفة كالفــرس ، والمغول ، والبنغال ، والملايو ، وهذه جاءت عندما غزا التتار بورما عام ٦٨٦ هجرية ٠

وهذا يدل على أن الاســلام قديم فى أراكان ، وأن المسلمين لهم جذور عميقة فى هذه المنطقــة ٠ وهو رد على ادعاءات رانجون بأن الروهنجيا سكان أراكان طارئون على المنطقة ٠

ويبلغ عدد سكان أراكان خمسة ملايين منهم أربعة ملايين مسلم وهناك ثلاثة ملايين آخرين يقيمون فى أماكن متفرقة فى بورما أو مهاجرين يعيشون فى كثير من دول العالم مثل بنجلاديش ، والمملكة العربية السعودية ، وسنغافورة ، وفورموزا ، ونيبال ، وبوتان ، وكوريا الجنوبية ، وهونج كونج ، ومكاو ، واليابان .

وأرض أراكان غنية بمعادنها ومواردها الطبيعية فهى تشتهر بأنها أرض (التـالك) والغابات الكثيفة ، والأنهار ، والبحيرات ، والانتاج الزراعى لكن الحكومة الشيوعية تحصل على كل ذلك ، كما تعرض ضرائب باهظة ، وتصادر ما يتبقى والفتات المتبقى يقتات منه المسلمون . وكثير من المسلمين فى اقليم أراكان من مزارعى الأرز الفقراء .

وكثير من مسلمى بورما من الشعوب الملاوية التى تسكن الهند الصينية حيث سبق وأقاموا دولة (تمس تشامغا) التى استمرت حتى عام ١٨٢٠ م فى فيتنام . ومن أبرز الدول الاسلامية التى نشأت فى هذه المنطقة دولة (فطانى) التى استمرت حتى عام ١٧٨٦ م قبل سقوطها على أيدى تايلاند .

ويسمى المسلمون فى أراكان باسم (الروهنجا) والروهنجا هو اسم أراكان القديم . وقد خاض الروهنجيون والفطانيون جهادا عنيفا ضد أعداء الاسلام فى الهند الصينية خاصة بعد تقسيم البلاد الاسلامية هناك على يد المستعمرين الى دويلات مختلفة بعد أن كانت تجمع رايتهم دولة اسلامية واحدة . وبعد الحرب العالمية الثانية ، وبروز الوحدات السياسية المستقلة فى بورما ، وتيلاند ، ولاوس ، وكمبوديا ، وفيتنام تفرق المسلمون من هذه الدول ، وتعرضت هويتهم الاسلامية لهجمات شرسة من حكومات تلك الدول بحجة تأكيد الهوية الوطنية لدولهم ، وتوحيد اللغة والثقافة فى كل دولة ، ولم ينج من هذه المحنة سوى ماليزيا ، وأندونيسيا بحكم أن الأغلبية الساحقة لسكانها من المسلمين .

وبعد أن كانت حقوق المسلمين فى الهند الصينية تهدد بالمقاصات الاستعمارية أصبحت الآن بالمقاصات بين دول المنطقة نفسها ، فالأقلية الاسلامية فى كل من تايلاند ، وبورما تنتميان الى عرقية واحدة ، ولذا لجأت بورما الى منح تايلاند تسهيلات وحقوق صيد فى مياهها الاقليمية وصفقات تعدين مقابل اغلاق أراضيها أمام ثوار « الروهنجا » المسلمين عند مطاردتهم من الجيش البورمى ، على أن تتعهد بورما بدعم مماثل لتايلاند فى مواجهة ثوار الفطانى . ومن دول المنطقة التى تساعد بورما فى مواجهة ثوار الروهنجا الصين خاصة وأن بكين تحارب ما يزيد على أربعين مليون مسلم فى اقليم التركستان الشرقية . فى محاولة لطرد المسلمين وتصيين منطقة المسلمين وتسمية سنكيانج المستعمرة الجديدة .

لقد ظلت أراكان دولة مستقلة طوال أربعة قرون الى أن غـزتها بورمـا وضمتها بالقوة فى القرن الثامن عشر ٠ ومنذ ذلك الحين استمرت العـلاقات فى التوتر والتدهـور بين مسلمى أراكان وسلطات بورمـا البـوذية ٠

وفى عهد الاحتلال الانجليزى تمتعت أراكان بقدر كبير من الحرية والحكم الذاتى ولكن قبـل جلاء الانجليز أوكلوا أمـرها الى السلطات البوذية فى رانجـون وتم استيلاء السلطات البورمية على الاقليم غداة الاستقلال سنة ١٩٤٨ ومنذ ذلك الحين سـاءت أحوال شعب أراكان المسلم فقد شدد البوذيون قبضتهم على البـلاد بشكل يندر أن نجد مثـله فى التـاريخ فصادروا الأرض ونهبوا الثروات ، واغتصبوا النساء ، وهدموا القـرى ، وشتتوا شمل العـائلة الواحدة ، وأخضعوا المسلمين لنظـام السخرة ، وسدوا أمامهم أبواب العيش ، ومنعوهم من دخول المدارس الدينيـة ٠

ان دور بريطانيا لا ينكر فى سبب ما يعـانيه شعب أراكان اليوم فبريطانيا هى التى زرعت هذه المشكلة قبـل جلائها من كل بورما فهى التى زرعت بذور الفتنـة لأنها سلمت أراكان للنظام البوذى المتعطش للدمـاء ٠

لقد فوض المسلمون فى أراكان أمـرهم الى الله ورضوا مجبرين بحكم البوذيين ، ولكن البوذيين الآن لا يريدون للمسلمين أن يستمروا فى أرضهم لأن المسلمين يطالبون بأبسط الحقوق حق الحياة ، والتملك ، والحـرية فى ممارسة النشـاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وحق الاعتنـاق ، وأداء الشعائر الدينية ، لكن ذلك لم يرض حكام بورمـا البوذيين الذين يريدون الاستيلاء على أرضهم الغنية ٠

ان ما يطلبه المسلمون فى اقليم أراكان ولم يرض عنه البوذيون ضمان حقوق متسـاوية مع بقية القوميات الأخرى الموجودة فى بورمـا فى اطار دولة موحدة يحكمها القـانون وأن يضمنوا حقوقهم بنصوص دستورية ملزمة ، كما يضمنه المجتمع الدولى ٠

لقد أعلنت بورمـا غداة استقلالها فى عام ١٩٤٨ حق القوميات فى الانفصـال بعد عشر سنوات اذا أرادت هذا ، ووثق هذا الاتفـاق فى وثيقـة رسمية ، لكن بورما لم تف بهذا الوعد بعد انقضـاء السنوات العشـر ٠

لقد سيطرت بورمـا الى حد كبير على كثير من القوميات فهذه القوميات رغم اختلافها الا أن هناك قاسما مشتركا أعظم يجمعها وهو

ديانتها بالبوذية عدا قومية شعب أراكان لأنه يدين بالاسلام . والحكومة تهدف الى أن تصهر كل القوميات فى اطار الثقافة البوذية ، والمسلمون هم الذين يقفون فى طريق هذا المخطط فهم الأكثر تمسكا بعقيدتهم وثقافتهم . وفى مواجهة هذا الرفض الاسلامى لسياسة الاحتواء والتذويب وضعت حكومة بورما خطة الابادة والتفريغ ، والحرب الشاملة على كافة المستويات ضد شعب أراكان .

ان بورما تتجاهل الآن وجود شعب أراكان وتعد الروهانجيين دخلاء أغراب عن بورما وتعتبرهم أجانب ، ولا تذكر اسم أراكان فى سجلاتها بل حولت اسم أراكان الى (راخاين) وسمتها ولاية راخاين .

وبدا هذا التجاهل واضحا حينما وضعت بورما لكل قومية من القوميات نجمة فى علم البلاد عدا المسلمين حيث لم يوضع لهم أى شعار يمثلهم .

وفرضت حصارا حديديا حول خروج أية معلومات عن أراكان حتى أن كثيرا من البلدان الاسلامية لا يعرف سوى القليل عن أراكان ومأساة شعبها المسلم ، بل ان البعض فى العالم الاسلامى لم يسمع بأراكان من قبل ، ولم يعرف شيئا عن مكانها ، وموقعها ، وتاريخها .

وفى الوقت نفسه تحرم السلطات الشيوعية المسلمين من شغل الوظائف العامة التى يشغلها البوذيون الذين يمارسون عنفهم ضد المسلمين ، كما أن السفر والتنقل غير مصرح به لهم حتى فى داخل البلاد ، لهذا السبب وغيره من الأسباب فان شعب (أراكان) عاش منعزلا منفيا عن العالم وخاصة العالم الاسلامى ، (وأراكان) منطقة محرمة على زوار بورما ، ولا يسمح بتداول أية معلومات عنها .

ويتولى البوذيون مهمة الشرطة والأمن ، ويتولون قمع المسلمين بمختلف الوسائل الارهابية ويستعملون الاجراءات العنيفة التى تمنحها لهم القوانين العرفية المطبقة على شعب (أراكان) .

وحتى على المجازر التى ترتكبها سلطات بورما البوذية فى حق شعب (أراكان) المسلم تفرض عليها تعتيما اعلاميا ، وتمنع الصحف من نشر أى شىء عنها ، كما تمنع الصحفيين من دخول الاقليم الذى فر منه فى العام الماضى حوالى مائة ألف مسلم بالاضافة الى حوالى ثلاثمائة ألف مسلم فروا عام ١٩٧٨ فى أعقاب الانقلاب الفاشل الذى وقع فى بورما ، كما فر هذا العام حوالى نصف مليون مسلم .

ويدعى المسئولون فى بورما أن مسلمى أراكان أصلهم من بنجلاديش ، وأن اقامتهم فى بورما غير شرعية ، وهم جزء من بورما

منذ عــام ١٧٨٤ على الرغم من المحاولات المتكررة من طردهم واجبارهم على ترك وطنهــم ٠

ويحــاول المسئولون فى بورما كسب رضاء ومساندة البوذيين مقابل وعــود بتحويل (أراكان) المسلمــة الى منطقــة بوذية تقــام عليهــا معابد البوذيين بدلا من مدارسها الدينية ومساجدها العامرة بالمصلين ٠

الفظائع التى ترتكبها بورمــا فى حق المسلمين :

تصاعدت اجراءات بورمــا التعسفية ضد المسلمين فى الأشهر الأخيرة مما أدى الى تزايد تدفق سيل اللاجئين الروهنجا الى بنجلاديش ٠ ومن هذه الاجراءات محــاولة البوذيين القضاء على المسلمين بشتى الأساليب كالقتل ، وحرق البيوت ، والاعتداء ، والتعذيب ، والاذلال ، والسخرة٠

الابادة والتمثيــل والسخــرة :

يواجــه المسلمون فى بورمــا حرب ابادة يتولاها الجيش البورمى، ويمارس فيها أبشع الانتهاكات بدءا من القتل المباشر ومرورا بالحــرق والتعذيب والطرد والاعتداء على حق التدين والثقافة ، ونظام الحياة لشعب يبلغ من التعداد سبعة ملايين ٠

ان الجيش البورمى يريد أن يبيد المسلمين ابادة تامة حتى لايكون لهم وجود فى بورما فخلال الأشهر الخمسة السابقة قتل الجيش البورمى ٤٠٫٠٠٠ مسلم ، وبلغ عدد القتــلى المسلمين حتى الآن ١٨٠٫٠٠٠ مسلم ويتولى عمليــة قتــل المسلمين الجيش البورمى ، والعصابات البوذية المتطــرفة ٠

ومات مئات المسلمين فى معسكرات الاعتقال التى شيدتها السلطات البورمية بالقرب من حدود بنجلاديش نتيجــة التعذيب ، وسوء التغذية، وظروف المعيشــة والعمل القاسية داخل هذه المعسكرات ٠

وشكلت القــوات البورمية بأمر من قائد كبير فى الجيش فــرق اعدام تطلق النار على الفارين من بورمــا الى بنجلاديش حتى لايتمكنوا من عبور الحدود ، وبعض هــذه الفرق تتسلل بالليــل عبر نهر ناف وتهاجم معسكرات الايواء التى أقامتها بنجلاديش ٠

ومن مظاهر الابادة التى ترتكبها بورما فى حق المسلمين فى أراكان حرق البيوت والمزارع والقرى بمن فيها من السكان ٠

وفد روى للصحفيين بعض اللاجئين المسلمين الفــارين من أراكان فى كوكس يازار ان قوات بورما أحرقــت فى يوم واحــد ما يزيد عــلى ٣٠٠٠ منزل للمسلمين ، و ١٧ مستوطنة وقرية وذكروا أن ما يقــرب من ٥٠٠ مسلم أصيبوا بجروح وحــروق نتيجة لهذه الهجمة الشرســة من القوات البورمية · ويمتد حرق قوات بورمــا المتطرفة الى حــرق الرجال والنســاء والأطفــال ·

ولم ينج المسلمــون من التعذيب والتمثيل بجثثهم فخلال شهــر يناير ١٩٩٢ قامت قوات الجيش بتعذيب أحد زعماء المسلمين المحليين وهو (نبى حسين) واعدامه علنــا بتهمة الخيانة · وقد صلبته القــوات البورمية على شجرة فى أحد الأسواق ثم أطلقت عليه القوات النــار على مرأى من الناس فى مدينة أكياب عاصمة أراكان ·

وتورد (الديلى جراف) فى عددها بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٠ قصة اغتيال ابن المسلم عبد الكريم المصــاب بالســل ، والذى ألقت القوات الحكومية القبض عليه وألحقته بأحد معسكرات الجيش البورمى وكلفته بحمــل الطوب طوال اليوم ولمــا خارت قواه ولم يستطع كسروا ساعديه ورجليه ثم قاموا بالقــائه من هضبة مرتفعة ·

مذبحــة عيــد الفطــر :

لقد تمت هذه المذبحة خلال عيد فطــر عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) فى بلدة مانجداو القريبــة من حدود بنجلاديش ، وتبدأ القصــة بأنه أغلق جنود بورمــا مسجد حى سيكدر بارا الذى يقطنه المسلمون بحجــة أن هذا المسجد يستخدمه الثوار المطالبون بالحكم الذاتى مخبأ لهم ·

وعندما حل عيد فطر هذا العــام كســر المسلمون القفل ودخــلوا الى المسجد لأداء صلاة الفجر ثم صلاة العيد ، وفى أثناء أدائهم صــلاة العيد جاءت قوات الطغمة الفاسدة ، وأحاطت بالمسجد ثم فتحت نيران مدافع الميدان على المصلين وألقت عدة قنابل حارقة فمات من مات من المسلمين بالرصاص ومات من مات تحت أنقاض المبانى ، وكانت حصيلة القتــلى ثلاثمائة مسلم قتلوا وأكثر من ١٥٠ آخــرين أصيبوا بجــراح خطيرة بين الحيــاة والموت ، وكان كثير من الأطفال بصحبة والديهم بين الحاضرين بالمسجد ·

ثم عاث الجنود فى الحى المسلم فســادا واقتحموا المنــازل وجرى فى هذا الاقتحــام الذى تم بعد أن دكت مدفعيــة الميدان المسجد قتــل نحو مائة شخص على الأقل ·

ويتم الاذلال والسخرة فى معسكرات الاعتقال التى تمتلىء بالمسلمين

حيث تعاملهم السلطات كعبيد يعملون فى معسكرات الجيش فى رصف الطـرق ، وكحمالين ، ومن يرفض منهم العمل تطلق عليـه القـوات الرصـاص ٠

اغتصاب المسلمات :

لقد وصلت نذالة الجيش البوذى الى حد اغتصاب النساء المسلمات أمام ازواجهم ، واغتصاب البنات أمام آبائهم ٠ ان الاعتـــداء عـلى المحصنات المسلمات أصبح شيئا عاديا بالنسبة لجنود الطغمة العسكرية الحاكمة فى رانجون ٠ لقد وصل عدد النساء والفتيـات المســلمات المغتصبات الى ٢٦٠٠ امرأة وفتاه ٠

وتتعدد مآسى اغتصـاب النســاء المسلمات من ذلك :

- وصفت احدى النسـاء المقيمات فى « ركن الأرامـل » فى أحـد معسكرات الايواء فى بنجلاديش كيف أجبر العسكريون زوجها على العمل الشاق حتى مات ٠ وكيف استمر اغتصابها يوميا مع أخريات حتى استطاعت الهرب الى بنجلاديش ٠

- تروى سيدة مسلمة من اللاجئين فى الرابعـة والعشرين من عمرها قصتها فتقول : ان قوات بورمـا اقتحمت منزلها ذات مساء وأخرجت زوجهـا خارج المنزل وصلبتـه على شجـرة بعد أن دقت فى يديه ورجليه المسامير ، وتركوه ينزف حتى مات ٠ ثم نقلهـا الجنـود هى وشقيقتها التى تبلغ من العمـر عشر سنوات الى أحد معسكرات الجيش حيث لحقت بعشرين سيدة أخـرى وأخذ الجنود يغتصبونهن بصـورة متكررة على مدى خمسة أيام ٠ ولم يتم تسريحهن الا بعد مجىء مجموعة أخرى من النساء الضحايا الى هذا المعسكر ٠

- وتحكى امرأة قصتها وتسمى « بهارو النســاء » فتقول بصوت خفيض والحـزن الدفين يبدو جليـا على وجهها : كنت حاملا فى شهرى الرابع وزوجى معى ، جاء الجنود البورميون الى منزلنا الذى يقع فى منطقة « بوسيدنغ » احدى ولايات أراكان ، اعتقلوا زوجى ثلاثة أيام لم أشاهده فيهـا ، وفى اليوم الرابع جاء الجنود مـرة أخرى الى منزلنا ، اقتحموا المنزل بصـورة عنيفة وأمرونى بالتوجه معهم ، وفعلا أخذونى لمنطقـة تكاد تبعد ١٠ أميـال من المنزل ، ويوجد بها عدد كبير من الجنود البورميين ، وفى المسـاء فوجئت بدخول بعضهم على وبعنف ووحشية اغتصبونى طوال أسبوع كامل

حتى أصبحت لا أعى شيئا بعدها بأيام قام الجنود بالقائى على قارعة الطريق ، وقام بعض القرويين بأخذى والاهتمام بى بعد أن شاهدوا حالتى ، وكانوا فى طريقهم الى النزوح خارج أراكان ، وذهبت معهم الى الحدود حيث عبرنا النهر الى بنجلاديش ولا ادرى الآن ما هو مصير زوجى ٠

هذه قصة لا تحتاج الى اضافات فبطلتها لا تزال تعانى من المصير المجهول ٠ وعندما استمع مبعوث هيئة الاغاثة الى القصة لم يستطع أن ينطق بكلمة غير أن يقول انها محنة ومأساة فظيعة ، ولا شىء يصدق !

— وهناك امرأة أخرى اسمها (المن بهار) ربطت احدى عينيها بشريط ، وتعرضت أيضا للاغتصاب فى قرية « كلوم منقود » ولكنها قاومت مما دفع بالجنود البورميين الى طعنها بالسونكى حتى فقدت الوعى ، وارتكبوا فعلتهم الوحشية ٠

— فى ٢ فبراير ١٩٩٢ م جاءت مجموعة من الجنود الى قرية منقود وأخذوا أربعا من النساء وقاموا باغتصابهن لمدة ٤ أيام ، وقد توفيت من جراء هذه القسوة اثنتان من النساء هما « ثيوبا كاتو » زوجة أمين أبو طيوب و « زرينا كاتو » ، أما « انزيما كنزو » و « عايدة حسين » فقد وصلتا حيتين وهما الآن يجدان الرعاية من منظمة تضامن الرهنجيا ٠

— يروى يونس أحمد من قرية « سوفرين يونيدام » وهى قرية صغيرة لا يتعدى سكانها الف شخص ، يقول : جاء جنود الطغمة البورمية واعتدوا علينا ، وصادروا أشياء كثيرة من منازلنا ، كما اعتقلوا عدداً من الشباب ، وبعد عدة أيام عادوا مرة أخرى وقد حدثت مواجهة أصيب فيها ابنى الأكبر بجروح خطيرة ، وقتل شقيقى ، كما أخذوا ابنتى الى المعسكر واعتدوا عليها ، وسقط عدد كبير من أقاربى ضحايا الهجوم ، ولم يبق غير حفيدى هذا الذى تراه بجانبى ، فأخذته واتجهت مع ستين شخصا من القرية الى النهر لنعبر الى بنجلاديش ٠

النهب والمصـــادرة :



بتوجيه من سلطات رانجون قام الجيش البورمى فى الفترة الأخيرة باقتحام منازل المسلمين فى اقليم أراكان ، وأجلى المسلمين عن منازلهم ونهب كل ما فيهـا من أثاث ومال ولم يسمح للمهاجرين بحمل أى شىء.

كما قام الجنود بمصـادرة كل أمـلاك المسلمين قبل هروبهم الى بنجلاديش واستولوا على كل ما يثبت شخصيتهم من أوراق رسمية . وكل من يرفض فان مصـيره التعذيب والقتـل .

ولم تقف مصادرة الجيش على أرض المسلمين انما صادروا أيضا الأوقاف الاسلامية التى أوقفت منذ زمن بعيد للصرف من ريعها وعطائها على المساجد ، والمدارس ، والدعوة والفقراء .

انها خسة البوذيين تتمثل فى مصادرة هوية المسلمين وكل ما يثبت انتماءهم لبلدهم . وبعد المصادرة يتم ترحيلهم وهم لا يملكون فى ذلك الوقت ما يؤكد أن لهم علاقة بأراكان . هذه السياسة طوال أربعة عقود دفعت باكثر من مليون ونصف مسلم روهنجى الى النزوح والتشتت فى جميع أنحاء العالم .

وهناك هدف أخير تسعى اليه السلطات البورمية من مصادرتها للأوراق الرسمية لمسلمى اراكان حيث تريد أن تجعل من مسلمى اراكان شعبا بلا هوية كالمسلمين الآخرين الذين يعيشون متوزعين فى باقى أنحاء أقاليم بورما وليست لهم قومية ثابتة كمسلمى « الروهنجيا » وهؤلاء وفـدوا الى بورما ابان عهد الاستعمار البريطانى ويطلق عليهم اسـم (الزيربادييين) .

ولانجاح سياسة التضييق على مسلمى اراكان وضعت قيود على كيفية حصولهم على بطاقة الجنسية حيث وضع شرط تعجيزى وهو ضرورة حملهم لأوراق تؤكد اقامة الشخص فى بورما مائتى عام أو أكثر .

ومنذ ان سحبت الجنسية من المسلمين بعد استقلال بورما وعوملوا على أنهم أجانب لم تتحرك الحكومة الا فى عام ١٩٨٢ حيث وضعت قانونا جديدا للجنسية يؤكد مجددا أن مسلمى اراكان هم أجانب ودخلاء على بورما ، وبموجب هذا القانون منع المسلمون من تملك العقارات والأموال ، وتقلد الوظائف الحكومية . ويصنف هذا القانون على أساس أنهـم : ـ

ـ مواطنون من **الدرجة الأولى وهم :** الكارائيون ، والشائيون ، والباهييون ، والصينيون ، والكاصينيون .

ـ مواطنون من **الدرجة الثانية** هم المخلطون من أجناس الدرجة الأولى .

ـ مواطنون من **الدرجة الثالثة** هم المسلمون ، ويصنف هؤلاء على اعتبار أنهم أجانب دخلوا بورما كلاجئين فى أثناء فترة الاسـتعمار البريطانى .

محاربة الديـن والتعليم :

اذا عرفنا ان الطغمة الفاسدة فى رانجوف تدين بالشيوعية أدركنا الى أى حد هم يكرهون الأديان وعلى وجه الخصوص الدين الاسلامى لذلك دمـروا المسـاجد فى أراكان وحـولوا بعضهـا الى خمـارات ومراقص ، ومعـابد بوذية ، ومنعوا الحج ، والعبـادات ، والأذان ، وصلاة الجماعة ، وصلاة الجمعة ، ومنعوا احتفال المسلمين بأعيادهم ، وحرقوا الكتب الاسلامية وحرموا تداولها ، ومنعوا الصيام ، ووقعوا العقوبات على كل من يضبط صائما ونبشوا مقابر المسلمين ، ومنعوا أن تكون لهم مقابر مخصوصة ، وأجبروا البنات المسـلمات فى المـدارس الثانوية والجامعة على خلع الحجاب والزى الاسـلامى وارتداء الزى البوذى الذى يظهر اجزاء كثيرة من جسمها عارية .

وكان للاستعمار البريطانى تأثير كبير فى احداث الخصومات الدينية والعصبية وتفجير المنازعات لايقاع العداوة بين أفراد شعب بورما وبين المسلمين مستخدمين سياستهم (سياسة فرق تسد) وسعى الاستعمار الى تجهيل أبناء المسلمين واضعافهم باحتضانهم للفئات والجماعات الدينية الأخرى وعذبوا قادة المسلمين ، وأدخلوهم السجون ودفعوا بالباقين الى الهروب الى الخارج ، وعندما حان موعد الاستقلال عام ١٩٤٨ تركت البلاد فى أيدى البوذيين بعد أن تم اضعاف المسلمين بدرجة كبيرة · وضموا ولاية أراكان الى بورما بعد أن كانت مقاطعة مستقلة ·

وقامت سلطات بورما البوذية بتدمير المكتبات والمدارس الاسلامية وحرق ما تضمه من كتب اسلامية ، وأجبروا أبناء المسلمين على الدراسة بالمدارس الحكومية حيث تدرس لهم التعاليم البوذية والشيوعية ، وعملت حكومة بورما على برمنة الثقافة وابعاد المسلمين عن عقيدتهم ودينهم ·

كما طردت سلطات بورما الطلاب المسلمين الذين كانوا يدرسون فى جامعة رانجون ، ووضعت بعضهم فى السجون ، مما اضطر البقية الى الهروب من بورما بعد ملاحقات السلطات العسكرية لفترات متعددة ، ويقدر عدد الطلاب بأكثر من ٥٠٠ طالب من مختلف المراحل الدراسية مبعثرون فى معسكرات اللاجئين فى بنجلاديش ·

سياسة التهجير والاحلال

لقد أدركت السلطات فى بورما غنى منطقة اراكان بالمعادن والأراضى الخصبة الصالحة للزراعة لذلك أجبرت سكانها المسلمين على تركها بالضغط والاضطهاد مما يضطر المسلمين الى الهجرة من بلادهم وتعرف هذه السياسة بسياسة « التفريغ السكانى » ·

ثم تأتى بالسكان البوذيين وتحلهم فى الأراضى والمساكن محل المسلمين · وقد قامت السلطات بتوطين أعداد كبيرة من البوذيين (الماغ) ، وهؤلاء اكثر كراهية وعداء ضد المسلمين (الروهنجا) فى مناطق اسلامية عديدة فى الاقليم واستولت السلطات على الممتلكات التى تركها النازحون لصالح هؤلاء البوذيين · وهدفت السلطات العسكرية من هذه الخطة الى أمرين :

- تغيير الطبيعة الديمغرافية لاراكان وتقليل نسبة الكثافة الاسلامية فيها ٠

- والقيام بعمليات عسكرية منظمة بحجة حماية البوذيين الجدد المنتشرين فى هذا الاقليم ٠

وتضم قوات الجيش البورمى التى تقوم بتهجير المسلمين خبراء يهود تمرسوا فى أعمال القهر والقمع فى مناطق أخرى من آسيا كسريلانكا ، وكشمير ، وجنوب الفلبين ويستعين الجيش البورمى بهذه العناصر لتطبيق سياسة تفريغ الأرض من سكانها ٠ وهذه السياسة يجيدها الصهاينة لأنهم طبقوها فى فلسطين المحتلة ، وتريد بورما بكل ذلك أن تتحول قضية المسلمين هناك الى مشكلة لاجئين تترك للزمن حيث تكون طبيعة اراكان الديمغرافية قد تغيرت تماما ٠

ومنذ زمن مبكر والبوذيون يضغطون على المسلمين لترك أراضيهم، ويدفعونهم الى الهجرة دفعا اما بالترغيب أو الترهيب حدث ذلك فى سنة ١٩٤٢ ، ١٩٤٨ ، ١٩٦٢ ، ١٩٧٨ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٢ ، ولازلت الهجرة الأخيرة مستمرة حتى الآن ٠

وفى سنة ١٩٧٨ عبر حدود بنجلاديش ٣٠٠ ألف مهاجر مسلم فى ظروف مماثلة لظروف الهجرة الأخيرة ، ثم أعيد بعضهم بعدها الى بورما فى اطار اتفاقيات ثنائية وقعت بين رانجون ودكا ٠

ولعل اكبر عملية طرد حدثت للمسلمين هى عملية ١٩٧٨ حيث كانت المؤامرة واضحة استهدفت الشعب المسلم فى أراكان وفيها شنت الحكومة حملة واسعة ضد المسلمين بحجة التأكد من أوراقهم الثبوتية وجنسياتهم وتمت هذه العملية تحت اسم « ناجامين » أى عملية ملك الثعبان ، وحاصرت فيها الشرطة والجيش القرى ، والمدن الاسلامية تحت حجة مراجعة البطاقات وقد تخلف عن هذه العملية نزوح أكثر من مليون ونصف (روهنجى) الى النزوح والتشتت فى مختلف أنحاء العالم ٠

أما فى النزوح الأخير فقد بدأ تدفق آللاجئين الى بنجلاديش فى أوائل سنة ١٩٩١ وزاد فى ديسمبر سنة ١٩٩١ ٠ ويصل عدد اللاجئين حتى نهاية مارس ١٩٩٢ الى حوالى نصف مليون لاجىء ، أما عدد اللاجئين الروهنجيين فى العالم يقدر بحوالى ٥ر١ مليون لاجىء ٠

وفى سنة ١٩٦٢ تعد بورما المسلمين فى اراكان أجانب ومهاجرين غير شرعيين خاصة بعد أن ثار المسلمون هناك على المعاملة السيئة التى تعاملهم بها السلطات ، وبدأوا يطالبون بالحكم الذاتى ٠

وعلى كل حال فهجرات المسلمين من بورما لم تتوقف يوما واحدا لكنها قد تزيد أو تنقبض وفقا لتشديد قبضة السلطات أو بسطها ، وتتجه أغلبها الى جنوب شرق بنجلاديش والى مناطق سيتاكونج ، وكوكس بازار ، فكثير من البنجلاديشيين فى هذه المناطق ينحدرون من أصول بورمية وربما لهذا السبب لم يثر سكان هذه المناطق فى بنجلاديش حتى الآن فى وجه آلاف الجئين الجدد الذين بدأوا يشكلون ضغطا كبيرا على موارد المنطقة المحدودة ٠

وتقف منظمة تضامن الروهنجا عاجزة عن مواجهة هذا التدفق المفاجىء الكبير فى ظروف لا تتوفر فيها الامكانيات لايوائهم أو توفير الحد الأدنى لمعيشتهم ٠ وتبذل السلطات البنغالية جهودا مقدرة لتدارك الموقف ٠

ان عوامل كثيرة تجمعت جعلت المسلمين يفرون من ديارهم فقد سددت السلطات فى وجوههم أبواب العيش وحرمتهم من الوظائف الحكومية ، فحرمت عليهم العمل فى الجيش والشرطة ، وبقية الوظائف الحكومية الأخرى ، وسرحت فى الآونة الأخيرة من كان منهم يعمل فى الحكومة ، ومنعتهم من التنقل داخل بورما أو خارجها ، وحرمت عليهم السفر الى العاصمة ، ومنعتهم من الاشتغال بالتجارة ، وفرضت عليهم ضرائب باهظة تنوء عن الوفاء بها امكانياتهم المحدودة ، ودخولهم الضعيفة ، وحرمتهم من الخدمات الطبية ونهبت أموالهم ، وانتزعت محصولاتهم الزراعية ، ومنعتهم من استيراد المواد الغذائية ، وأقامت العقبات والعوائق أمام تعلم أبنائهم فى المدارس الحكومية وكلياتها وجامعاتها ٠ وأبعدتهم عن جميع المنظمات الاجتماعية، واعتقلت علماءهم وأودعتهم السجون ٠ وبموجب قانون المواطنة والجنسية الجديد الذى وضع فى عام ١٩٨٣ ألغت جنسية المسلمين الروهنجا فى أراكان وسحبتها منهم ٠ وسحبت منهم أوراقهم وبطاقاتهم وجميع أوراقهم الثبوتية ٠



أوضاع المسلمين فى بورما :

يعانون حياة التشرد :

فهم يعيشون بلا مأوى بعد أن أخرجوا من ديارهم وصودرت ممتلكاتهم وهاموا على وجوههم يعانون حياة التشرد والجوع والمرض ٠ وتتطور أوضاعهم المعيشية يوما بعد يوم من سىء الى أسوأ ، باتوا حفاة عراة لا يستر أجسادهم التى أضناها الجوع غير ظلال الأشجار وما تبقى من أسمال بالية يجد الهواء فيها طرقة يتقون بها حرارة الشمس ولفح الهجير ٠ ينزحون مشيا على الأقدام ، مطيتهم أرجلهم عبر مئات الأميال ووسط أحراش مملوءة بالهوام والثعابين والحشرات السامة ، لقد تفشت بينهم نتيجة لهذا الوضع السىء العارض البطالة والمجاعة والفقر ، والجفاف وصاروا لا يجدون حتى أبسط ضروريات الحياة ٠

قسوة الطبيعة :

تعد الطبيعة فى هذه المنطقة شديدة الحرارة والرطوبة مع وجود الأعاصير الرعدية التى ضربت المنطقة فى شهر مايو من العام الماضى وأدت الى مصرع ١٣٩ ألف شخص ٠ ومن المتوقع أن تتحول سفوح الجبال التى يعسكر حولها حوالى ٢٠ ألف مسلم الى منطقة مقفولة يصعب الوصول اليها مع بدء الأمطار الغزيرة فى المنطقة ، وقد أدت الأمطار الى تدمير المراحيض العامة التى أقيمت من الخيزران ٠

الأمراض

ونتيجة لهذه الأوضاع المعيشية الصعبة والقاسية تفشت بينهم فى المعسكرات التى أقيمت لايوائهم فى بنجلاديش الأمراض المعدية مثل الدوسنتاريا ، والملاريا ، والتايفوئيد ، والكوليرا والاسهال الذى أدى الى وفاة عدد كبير من الأطفال ، بالاضافة الى انتشار البعوض فى المستنقعات المملوءة بالمياه الراكدة الآسنة ويعانى اللاجئون من قلة وجود الماء النقى الصالح للشرب مما يجعلهم يستخدمون المياه الملوثة سواء فى الشرب أو الطبيخ مما أصاب كثيرا منهم بالاسهال المعوى ٠ كل ذلك بجانب الأمراض الأخرى التى تسببها تقلبات الطقس والتى لا تمنعها أكواخ القش الرخوة التى يسكنها المهاجرون ٠

المعســـــكرات

بعد أن تدفقت أعداد المسلمين اللاجئين من بورما الى بنجلاديش، وزاد العدد زيادة كبيرة تحسب بالآف ، وظل العدد يتزايد يوما بعد يوم ففى أول احصـاء وصل عدد المهاجرين الى ٢٠٠ر٠٠٠ ألف مهـاجر ، ثم زاد العدد فوصل فى الاحصاء الثانى الى ٢٥٠ر٠٠٠ وفى احصـاء ثالث وصـل الى ٣٠٠ر٠٠٠ ووصـل فى آخر احصاء تم فى نهاية مارس ١٩٩٢ الى ٥٠٠ر٠٠٠ مهاجر تمكنت سلطـات بنجلاديش من اعـداد مخيمات تم فيهـا ايواء ٣٧ر٠٠٠ لاجىء فى أول الأمر ثم زادت أعداد المخيمـات فوصـل عدد من تم ايواؤهم الى ٤٩ر٠٠٠ ثم زاد العـدد فوصـل الآن الى ٦٥ر٠٠٠ لاجىء أمكن ايواؤهم حتى الآن مبعثرون فى أحد عشـر مخيمـا حكوميآ ، أما بقيـة اللاجئين فيعيشون فى اكواخ صنعت من الخيزران ، أو أعواد القصب ، أو لحاء الشجر ، أو القش ، أو أغصـان الأشجار ، أقاموها فى الغابات أو على جوانب الطـرق ، أو فوق التلال لا تقيهم أشعة الشمس الحارقة ولا الزوابع والأعاصـير المدمـرة ٠

الجهـــاد :

يوجد فى بورمـا حوالى ١٣٠ قومية غالبيتها من القوميات البوذية رغم اختلاف مذاهبها ٠ من بين هذه القوميات تطالب ١٤ قومية بالحكم الذاتى ٠ وتوجد ١٠ أقليات عرقية كونت منظمات جهاد تقاتل حكومة رانجون من أجل الحصول على الحكم الذاتى ، ومن بين هذه المنظمات توجد منظمات ثورية بعضها له واجهات اسلامية ، وبعضها له واجهات شيوعية ٠ وبعض هذه المنظمات المتمردة والتى تطالب بحكم ذاتى فى اطار اتحاد بورمى يعود تاريخها الى عهد قديم الى أوائل الأربعينيات ٠

وتقاوم السلطات العسكرية الحاكمة فى بورمـا نشاط هذه المنظمات ولا تسمح بالتجمهـر والاجتماعات واللقاءات فى ظـل أحكام عرفيـة لا ترحم ، كما لا تسمح حتى بالاحتجاج السلمى ، وكثيرا ما أطلقت الذخيرة الحية على مسـيرات كانت تطالب بالحكم الذاتى فى اطـار اتحـاد بورمى ٠

وأمام ظلم البوذيين خاصة وأن المسلمين رزحوا فى بورما ردحا من الزمن تحت حكمهم ، ذاقوا خلاله كل أنواع الظلم والقتـل والتعذيب والتشريد لجـأ المسلمون الى دعـوة البوذيين بالحـكمة والحـوار لكن

البوذيين سواء الشيوعيين منهم أو الديمقراطيين لم يلتفتوا الى مطالب المسلمين لأنهم يتفقون على كراهية الاسلام ، ورغبتهم فى استئصال شأفته . ولم يستجب البوذيون لمطلب المسلمين العادل بحجة أنه لا توجد بين المسلمين عناصر قادرة وعندها الكفاية لادارة شئون اقليمهم وتنظيم أموره ، وكلها حجج واهية لاسيما وأن منهم من حصل على اعلى المؤهلات واكتسب الخبرة ، كما أن منهم كان الحكام والوزراء فى العهود الاسلامية (سليم شاه) ١٥٩٣م — ١٦١١م ، وقد عم الرخاء فى عهده ، وضربت العملة المنقوش عليها (واقيموا الدين) وكذلك (سليمان شاه) و (سالم شاه) .

وبدات مطالب المسلمين للسلطات فى بورما لإنصافهم ومنحهم الحكم الذاتى بالحسنى والحوار ، ولكن السلطات واجهت هذه المطالب بالارهاب والطرد ، والسجن ، والقتل وكل أنواع التنكيل لذلك قرر المسلمون سلوك الطريق الذى يجبرون به السلطات فى بورما على احترامهم ، واحترام آدميتهم مقتدين بالطريق الذى سلكه المجاهدون الأفغان فى مقاومتهم للسلطات الشيوعية فى كابول لذلك أعلن الجهاد لتحرير أراكان المسلمة من دنس البوذيين ، وعبثهم بمقدسات المسلمين ، وأعراضهم ، وأموالهم ، وأنفسهم ، وقد أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ بالقتال فى ظروف مماثلة لظروف مسلمى بورما ، يقول تعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله** » الحج ٣٩، ٤٠ . فقد أعطى الله الاذن الواضح للمسلمين بالقتال من أجل حفظ الذات والدفاع عنها تحت ظروف يكون القتال فيها فرضا على كل مسلم لحماية الديار والممتلكات والارواح والعقيدة . وثورة المسلمين وجهادهم لم يتم الا بعد المذابح الجماعية ضدهم والتى راح ضحيتها نساء ، وأطفال ، ورجال عزل ، بسبب انتمائهم الى الاسلام .

ومن الحق أن أسجل أن مسلمى الروهنجيا لم يطالبوا فى يوم من الأيام الانفصال عن بورما ، ولم يحمل المجاهدون منهم السلاح من أجل ذلك وانما كل الذى طالبوا ويطالبون به معاملتهم كبشر لهم حق العيش الكريم الحر على أرضهم وتحقيق الكرامة لسبعة ملايين مسلم .

لقد شكل المسلمون فى المنفى ١٢ حركة مقاومة الا أن هذه الحركات ضعيفة ويأتى ضعفها لتفرقها وعدم اتحادها ، وتعيش حركات المقاومة

فى الغابات فى ظروف معيشية صعبة تحيط بهم الحيوانات المتوحشة مثل الأفيال ، والأسود ، والنمور ، والثعابين ، وفى هذه الغابات يتلقون تدريبات على حمل السلاح وحرب العصابات وفنون الحرب الخاطفة وهم فى أمس الحاجة الى العون العاجل .

ولعل أقوى منظمات الجهاد الاسلامية هى منظمة تضامن الروهنجيا الاسلامية التى أسسها المسلمون سنة ١٩٨٢ م ، وتهدف هذه المنظمة الى الجهاد ، واعادة راية الاسلام خفاقة فى أرض أراكان ومن أجل ذلك حثت المنظمة المسلمين على التمسك بمنازلهم وأرضهم ورفض الهجرة والجهاد فى سبيل الله . وأولت هذه المنظمة التعليم جانبا لتربية كوادر لرجال صالحين فقامت بانشاء مدرسة دينية بها ثلاث مراحل ، كما قامت بانشاء معهد تربية القيادة الاسلامية لمدة سنتين ، ويقوم بالتعليم فيه مشاهير من أهل العلم وذوى الكفاءة والخبرة ، وتتحمل منظمة تضامن الروهنجا جميع مصاريف اعاشة الطلاب من الغذاء والعلاج والاسكان .

وقد تم انشاء المعهد على حدود بورما وبنجلاديش ليتعلم فيه الطلاب الذين اضطروا الى مغادرة وطنهم بعد اتمام دراستهم فى المدارس الدينية التقليدية فى أراكان .

ومن أهداف المنظمة اغاثة اللاجئين ومساعدتهم رغم امكانياتها المحدودة القليلة لكنها لا تزال تبذل جهودها المكثفة لتخفيف محن اللاجئين وتحسين أوضاعهم لكن بنسبة عدد اللاجئين التى تتزايد يوما بعد يوم لا تعد هذه المساعدات شيئا يذكر .

وهناك منظمات أخرى اسلامية بجانب منظمة تضامن الروهنجيا الاسلامية مثل منظمة التضامن الاسلامى ، ومجلس الاتحاد الاسلامى ، وينص دستورهذا المجلس على أن دستورالبلاد سوف يكون نابعا من القرآن والسنة بعد تحرير أراكان من قبضة الحكومة الشيوعية العسكرية البورمية . وهناك الجبهة الاسلامية لروهنجيا . وهناك حزب أراكان الاسلامى وجناحه العسكرى حركة الجهاد الاسلامى ، ومنظمة التحرير الاسلامية أحد أعضاء التحالف الديمقراطى لبورما الذى شكل حكومة فى المنفى .

وهناك منظمات أخرى غير اسلامية مثل منظمة الكارين ، والكارين مسيحيون يمثلون أقوى عشر أقليات تسعى الى الحكم الذاتى ،

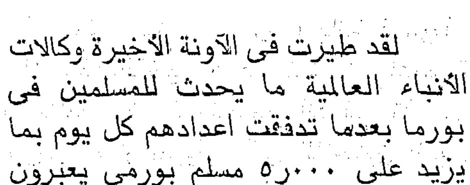
والانفصـــال عن راجون منذ حصول بورمـــا على استقلالها عن بريطانيا عام ١٩٤٨ ٠ ويقع مركز قيـادة الثوار الكارين فى (مانيرو بلاو) ٠ وعلاقة ثوار الكارين قوية مع تايلاند ٠

وعندما تعقبت قوات بورمـــا ثوار الكارين فى أراضى تايلاند قام الجيش التايلاندى الثالث بالرد بالمدفعية الثقيـلة على القصف المدفعى للقوات البورمية التى عبرت الحدود ، واشتبك مع هـذه الوحدات التى عبرت الحدود التايلندية وهى تتبع وحدات الثوار الكارين ٠

وهناك حكومة الادغال التى تنادى بعـودة الديمقراطية بقيـادة أونج سان سوكياى الفائزة بجائزة نوبل للسلام ٠

موقف العـــالم :

فرضت سلطات بورما حظـرا على خروج أخبار للعالم الخارجى عن مسلمى بورمـا ٠ لذلك بات العالم لا يعرف الا القليل عن (أراكان) ومأسـاة شعبهـا المسـلم ٠



اونج سان سوكياى

لقد طيرت فى الآونة الأخيرة وكالات الأنباء العالمية ما يحدث للمسلمين فى بورما بعدما تدفقت اعدادهم كل يوم بما يزيد على ٥٠٠٠ر٥ مسلم بورمى يعبرون الحـدود فى الاتجـاه الى معسكرات الايواء التى أقامتها بنجلاديش ٠ وتعد استجابة العالم الى حد ما ضعيفة ازاء ما يشاهد من طرد وحرب ابادة وحشية ضد المسلمين ٠

وتتفاقم المشكلة يوما بعد يوم وتحاول بورمـا اظهارها بانها مشكلة داخلية ٠ وهى ليست كذلك فالمشكلة دولية وليست أيضـا مشكلة بين قطرين هما بنجلاديش وبورمـا ، وكونها مشـكلة دولية يبرر تدخـل الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الاسلامى وغيرها من المؤسسات المهتمـة بحقوق الانسـان لايجاد حل لها ٠ كما أن المشكلة ذات أبعاد انسانية ٠

ان العـالم يستطيع أن يفعل الكثير لوقف أعمال بورمـا البربرية بالضغط عليهـا من خلال مقاطعة سياسية واقتصادية حتى تذعن وتعترف

بحق الشعب الروهنجى فى الحيـاة فى أمن وسـلام على أرضـه التى طـرد منهـا ٠

وتستطيع الدول الاسـلامية أن تفعل الكثير لمساندة المسلمين فى بورمـا بدعم مطالبهم فى الأوساط السياسية ، ولدى الدول المحبة للسلام وتستطيع منظمة المؤتمر الاسـلامى ، والأمم المتحدة ، ومجلس الامن ان يتم من خلالهم تقديم الكثير لمسلمى بورمـا ٠

وعلى الصعيد المـادى فان المسلمين مطالبون بانشـاء صناديق دعم خاصة بمجاهدى بورمـا ، كما هو حاصل بالنسبة لافغانستان والفلبين وغيرها ٠ ولا يقـل الدور الاعلامى والثقافى أهميـة عن طريق منتدياتنا ومجلاتنا ووكالات الأنبـاء والصحف والاذاعات حتى يعلم النـاس أن هنـاك فى صقع من آسيا مسلمين أخوة لهم يحتاجون الى مساعدتهم لتخليصهم من ظلم البوذيين الشيوعيين ٠

ولاحقاق الحـق أدانت منظمة العـالم الاسلامى وتضم أكثر من ٤٦ دولة اسلامية أعمال بورمـا العدوانية ضد المسلمين ، وما تقوم به من حملات قمع واضطهاد ، تشنها ضد المسلمين العـزل الأبرياء ، وأرسلت بعثـة الى بنجلاديش لدراسة حاجاتها من مواد الاغاثة ٠

وطالبت ماليزيا رابطـة دول شرق آسيا (آسيان) باتخاذ موقف موحـد من حكومة رانجون بشـأن هذه القضية ٠ كما ناشدت المفوضية العليـا لشئون اللاجئين التـابعة للأمم المتحدة المجتمع الدولى تقـديم مساعدات طارئة قيمتها ٢٧٠٥ مليون دولار أمريكى الى اللاجئين الذين بلغ عددهم فى نهاية شهر مارس ١٩٩٢ حوالى ٥٠٠ ألف ٠

وفى ١٩٩٢/٣/٣٠ أصدرت الأمانة العـامة لجامعة الدول العربية بيانا أعربت فيه عن أسفها للأنبـاء الواردة من بورمـا والتى تتحدث عن نزوح أعـداد كبيرة من المسلمين البورميين الى بنجلاديش نتيجـة لبعض الممارسات التى يتعرضون لها ٠ وقال البيـان ان تدفق اللاجئين المسلمين الى بنجلاديش من شـأنه أن يصعد التوتر بين البلدين الجارين مما يؤثر على الأمن والاستقرار فى هذه المنطقـة ، كما يضيف أعباء كبيرة على حكومة بنجلاديش ويزيد من معاناة هؤلاء اللاجئين ٠ وأوضح البيـان أن جامعة الدول العـربية من منطلق حرصها على عدم قيـام توتر بين بلدين جـارين تأمـل أن تحـل هذه المشـكلة بين حكومتى بنجلاديش وبورمـا من خلال الحـوار وبالطرق السلمية ، كما تأمـل

فى الوقت نفسـه أن تقوم حكومة مينمار بخلـق الظروف المواتية التى من شـانها السماح للاجئين المسلمين فى العـودة الى بلادهم لممارسـة حياتهم الطبيعية بعيدا عن اى شكل من أشكال التمييز وذلك فى أقرب فرصـة ممكنة .

وبعثت الامم المتحدة فى ١٩٩٢/٣/٣٠ ممثلها جان الياسون مساعد الأمين العـام للأمم المتحدة الى بورمـا للتحقيق فى النزوح الجماعى للاجئين الفـارين ، ولكن حكومة بورمـا مثلت أمامه تمثيلية هـزلية بأن جاءت له ببعض السكان الذين أطلقوا لحاهم وحفظوا بعض العبارات والألفاظ الاسلامية مثل : السلام عليكم ، أنا مسلم ، الصـلاة ، رمضان، الحج ، واعترفوا وأقروا بأن سلطات بورمـا تعـامل المسلمين معاملة كريمـة وأن الذين تدفقوا على معسكرات بنجـلاديش ذهبوا بارادتهم للحصول على اعانات المنظمات الدولية وأنهم بعد أن حصلوا على هذه الاعانات عادوا الى ديارهم فى اقليم أراكان مـرة أخرى .

ويكذب هذا الادعاء زيارة الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز قائد القوات العربيـة فى حـرب الخليج فقد جاءت زيارته لمعسـكرات اللاجئين فى بنجلاديش فى الفترة من ١٠ - ١٤ أبريل ١٩٩٢ لمدة أربعة ايام أى بعد زيارة مبعوث الأمم المتحدة الذى زار معسكرات اللاجئين فى الفترة من ١ - ٢ أبريل وقد صـرح الأمير خالد بعد زيارة معسكرات اللاجئين بأن على الأمم المتحدة أن تكون على نفس القدر من الحزم الذى واجهت به الغـزو العراقى للكويت حتى تتمكن من حل مشـكلة لاجئى بورمـا . وقال : (أعتقد أن الأمم المتحدة عليهـا أن تفعل من أجلهم نفس ما فعلتـه لتحـرير الكويت) .

وفى ٢٦ مارس ١٩٦٢ أعلنت الأمم المتحدة أن مهمة الياسون مهمة انسـانية بالدرجة الأولى ولكنه سيحاول اقناع سلطات بورما بالسماح بعودة عشرات الآلاف من اللاجئين الذين ذهبوا الى بنجلاديش .

وذكـر دبلوماسيون فى مجلس الأمن أنه فى حالة فشـل مهمـة الياسون فان المجلس قد يتحـرك بدعوة من بنجلاديش لاصـدار قرار يطالب فيـه حكومة بورمـا باتخاذ اجراء فورى . وقد تمت زيارة مندوب الأمم المتحدة الى بورمـا فى الفترة ما بين ٢ و ٦ أبريل ١٩٩٢ .

وقد بعثت رابطة العـالم الاسلامى بعدد من المساعدات منها الأوانى

والمواد الغذائية والخيـام ، والملابس ، كما قام صندوق رعاية الطفولة التـابع للأمم المتحدة ووكالة (كير) للاغاثة بارسال معونات ٠

وقام وفد من لجنـة العـالم الاسلامى بزيارة معسكرات اللاجئين للاطلاع على الاحتياجات الشديدة والملحة التى تتطلب سـرعة العمـل والتصـرف ، وتقديم المساعدات المطلوبة ، ومد يد العون للتخفيف من آلام اللاجئين ٠ ويقوم العـالم الاسلامى ببناء ٤ مساجد تم التبرع بقيمتها بالاضافة الى حفر ٢٠ بئر ماء ، وتوزيع ٣٠٠ حقيبة غذائية ٠

كما بعث بنك التنمية الاسلامية بوفد زار منطقة اللاجئين لدراسة خطورة المشـكلة وتحديد المساعدات المطـلوبة خاصة وأن بدء موسم الأمطـار سيزيد الظروف سـوءا ٠

أما المملكة العـربية السعودية فقد بعثت بعدد من طائرات الشحن حملتها بأطنان من المواد الغذائية ، والأغطية ، والخيام لتوزيعها على اللاجئين الفـارين من جحيم الاضطهاد ٠ كما ضمت المساعدات كميـات كبيرة من الأرز ، والسكر ، والحليب الجاف ، وزيت الطعام ٠

لقد كانت مشكلة اللاجئين على قائمة رئيسة وزراء بنجلاديش خالدة ضياء خلال اجتماعها مع الرئيس الأمريكى بوش فى واشنطن فى ١٩ مارس ١٩٩٢ ٠ وقد أبلغ الرئيس الأمريكى رئيسـة الوزراء قرار الولايات المتحـدة الأمريكية منح بنجلاديش ثلاثة ملايين دولار للمسـاعدة على مواجهة تدفق اللاجئين ٠

ان مشكلة اللاجئين المسلمين الفـارين من بورمـا تحتاج الى اهتمام دولى كبير حتى لا يؤدى تفاقم المشـكلة الى اندلاع حـرب بين الدول المجاورة لبورمـا وهناك أسباب كثيرة يمكن أن تؤدى الى اندلاع الحرب فى وقت بدأت القوات البورمية تحشد قواتها على الحـدود فى وضـع متأهب وتحصـل على تعزيزات عسكرية ووصول أسلحة ومعدات من الصين قيمتها ٦٠٠ مليون دولار ٠ كما أدت هجمات قوات بورمـا على الثوار داخل أراضى بنجلاديش وتايلند الى توتر الأوضاع على الحدود مع ثلاث دول مجـاورة ٠



الفصل الرابع

الجهـــاد الاســـلامى
فى أفغانستـــان

تنظيمات الجهاد الاسلامى فى أفغانستان والسيطرة على الحكم

الغزو السوفيتى لأفغانستان :

احتل السوفيت أفغانستان فى ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٧٩ م بأعتبار افغانستان بوابة العالم الاسلامى ، ويعد الاستيلاء عليها تطويقا لبقية الدول الاسلامية مثل باكستان وايران ودول الخليج . ومعبرا للوصول الى موارد البترول فى الشرق الأوسط ، كما أن أفغانستان وباكستان والهند وبورما وتايلاند ، وكمبوديا ، ولاوس وفيتنام نمثل الأدوات المباشرة لتنفيذ احتواء روسيا للصين فى ذلك الوقت ، وكانت خطة السوفيت آنذاك تطويق هذه الدول لتحقيق الأهداف السوفيتية . كما أن استيلاءها على أفغانستان سيستأصل أية اتجاهات تحريرية قد تنمو فى الجمهوريات الاسلامية الجنوبية فى آسيا الوسطى خاصة وأن الثورة الايرانية أحدثت فى ذلك الوقت موجة من الحماس الاسلامى من الممكن اذا ما استمرت فى الانتشار أن تتأثر بها هذه الجمهوريات الاسلامية على المدى الطويل .

وقد نصب السوفيت فى أعقاب غزوهم لأفغانستان (ببرك كارميل) الذى قام بالغاء مناهج التعليم الاسلامية واستبدالها ببرامج ماركسية لينينية واستقدم أعدادا كبيرة من المدرسين السوفيت لتدريس هذه المناهج .

وقد ساعدت حكومة (ببرك كارميل) المستعمر السوفيتى الغاشم فى القيام بالعديد من الفظائع والانتهاكات ضد حقوق الانسان والقوانين الدولية ومبادىء مؤتمر جنيف من قتل للمعارضين واستخدام الأسلحة المحرقة دوليا فى مطاردة المجاهدين ، والكثير من الفظائع التى لايتسع المجال لسردها ، على أن من يريد المزيد يرجع الى كتابى (المسلمون فى أفغانستان) الذى أصدرته مكتبة النهضة المصرية فى القاهرة سنة ١٩٨٤ م .

وفى سنة ١٩٨٦ ينصب السوفيت الدكتور نجيب الله خلفا لـ (ببرك كارميل) وقد كان نجيب الله رئيسا لجهاز أمن ببرك كارميل . ويقتفى نجيب الله أثر سلفه فى التنكيل بالمجاهدين مما جعلهم يهاجرون الى باكستان وايران .

الجهــاد الاسـلامى :

نهض أبناء الشعب الأفغانى الأبطال الى مجالدة عدوهم المستعمر الروسى الدخيل منذ اللحظة الأولى التى اقتحم فيها حـدود ديارهم ، كما حـاربوا حكوماته العميـلة التى سلطها عليهم ، لا يفت فى عضدهم تدفق قواته الكثيفة على بلادهم ، ولا ما يملك من أسلحة الموت والدمار بالقيـاس الى ما بأيدى هؤلاء المجاهدين من عتاد قديم ، وسلاح قليل · لقد أثبت هؤلاء المجاهدون أن السلاح بالرجل وليس الرجل بالسلاح ·

لقد أثبت المجاهدون أن الايمـان فوق القـوة ، وتبـل التفـوق العسكرى والعددى ، وأن قدم السـلاح وقلته وعجـزه فى أيديهم ليس مانعـا يحول دون نصـر الله للمؤمنين فى جهادهم ضد أعداء الله والدين· وكان المجاهدون كلما ازداد المستعمرون السوفيت عنفـا كلما ازدادوا صمودا ومقاومة لانقاذ أرض الاسلام من الملحدين مهما بلغت الخســائر والتضحيـات ·

لقد انتشرت المقـاومة فى جميـع أنحـاء البلاد ولم تدخـر قرية أو تجمـع سكانى جهـدا فى شن هجـوم مضـاد ، ولم تنعم منـاطق البلاد التى استولى عليها السوفيت بلحظة من الهدوء منــذ ان تـم الاسـتيلاء عليها ·

وهناك بعض القرى لا يمكن للمرء أن يستثنى فردا من أفرادها من شرف الجهاد والمقاومة فالجميع يحمل السلاح ، والجميع يقاتل حسب ما تيسر لــه ، وكثير من الشباب انخرط فى صفوف الجهاد والمقاومـة وحتى الشيوخ والنساء والأطفال والطلاب يقاومون ·

ان شجاعة أبطال المقاومة والجهاد جعلت أعدادا كبيرة من قوات الجيش الأفغانى تهرب يوميا على الرغم من الرقابة الصارمة التى يفرضها المسئولون السوفيت ، وينضم هؤلاء بأسلحتهم وعتادهم الى فصـــائل المقاومة ، مما جعل حكومات كابول تواجه صعوبات جمة فى المحافظة على جيش قادر على حماية النظام ، الأمر الذى كان الاتحاد السوفيتى يتمناه ليتيح له سحب قواته من أفغانستان دون الاضرار بمصالحه ·

لقد انكمش الجيش الافغـانى الى ثلث حجمـه نتيجـة لهـروب أعداد من جنوده بأسلحتهم ، وانضمام بعضــهم الى المجاهـدين والى أعداد القتلى · وقد دعـا هذا الوضع السىء الى اعــلان تعبئة واســعة النطاق فى منتصف شهر سبتمبر ١٩٨٠م حيث استدعــت الحكومــة

العسكرية الاحتياطيين تحت سن الخامسة والثلاثين ، بعد أن كانت قد جندت صغار السن حتى من هم دون السادسة عشرة . كما استهدفت التعبئة العاملين فى أجهزة الدولة ، وما تبقى من الصناع ، مما كان له عواقب وخيمة على فاعلية جهاز الدولة واقتصاد البلاد .

ولا يسع الانسان وهو يتابع حركة الجهاد الاسلامى فى أفغانستان الى أن يعجب أشد الاعجاب بشجاعة هؤلاء المجاهدين . فالمقاتل الأفغانى مقاتل شجاع ، صعب المراس ، ويرجع الفضل للمجاهدين فى خروج السوفيت من أفغانستان فهم أول من دق مسمارا فى نعش الاتحاد السوفيتى والفكر الشمولى ، والحكم المطلق ، ويمكن القول بأن الاتحاد السوفيتى دخل أفغانستان وهو دولة عظمى ، وخرج منها وهو مجموعة من الدول الصغيرة المفككة .

لقد صمد المجاهدون بشجاعتهم مع ظروف الفقر والجوع والحاجة المستمرة الى السلاح ، وظروف الطبيعة القاسية فى هذه المنطقة . إن الانسان ليعجب من رغبة كل أفغانى فى نيل شرف الاستشهاد فى سبيل الله لا تستثنى الشاب ولا الفتاة ، ولا المرأة ، ولا الشيخ .

فهذا شيخ فان يأبى الا أن ينال شرف الشهادة فيجلس فى كمين ، وعندما تتاح له الفرصة يقتل عددا كبيرا من جنود العدو ثم ينال الشهادة بكل سعادة واعتزاز .

وهؤلاء مجموعة من الشيوخ بلغوا من العمر السبعين أو الثمانين يلقون بأنفسهم تحت عجلات الدبابات الروسية بعد أن ربطوا الألغام والمواد المتفجرة على صدورهم رغبة فى الشهادة ، وشوقا الى لقاء الله والجنة .

وتبلغ الشجاعة مداها عند الفتيات المسلمات من طالبات المدارس لملاقاة دبابات العدو ، وهن يمسكن فى أيديهن أقلامهن ، وكتبهن ، ويسقطن شهيدات مضرجات بالدماء وتحت دبابات العدو وبنادقه ، ومدافعه ، فى ذمة الله ومن أجل الدفاع عن دينهن واسلامهن .

وهذه الشجاعة الأفغانية خلفت وراءها قرابة المليوني شهيد .

تعــدد تنظيمــات المجاهــدين

إن آفة المسلمين فى أى مكان فى العالم هو ما يصيب صفوفهم من انقسام وتفرق رغم معرفتهم أن اتحادهم قوة ، وأن تفرقهم ضعف ٠ وما تمكن عدوهم فى مختلف الأزمنة والبيئات الا لتفرقتهم شيعا وأحزابا ٠٠ والظاهرة الجديرة بالتسجيل ما يراه الانسان من تعدد تنظيمات المقاومة رغم أن هدفهم واحد ، وأن نقاط التقائهم أكثر من نقاط اختلافهم ٠

ولا أبرىء الاستعمار البريطانى ثم من بعده الاستعمار الروسى على اذكاء نار الانقسامات والأحزاب المتمثلة فى تنظيمات الجهاد الاسلامى فى افغانستان ٠

لقد حاولت انجلترا أن توقع بين المسلمين الهنود ، وبين الهندوس ، كما حاولت أن توقع بين الهندوس والمسلمين فى أفغانستان بقولها ان مساجد المسلمين فى هذه المناطق مبنية بحجارة وأطلال المعابد الهندوكية القديمة ، وكان يمكن أن تؤدى مثل هذه الادعاءات الى حروب دامية لولا ان الهندوس فطنوا الى المؤامرة ، وثابوا الى رشدهم ٠

لقد نجح الاستعمار فى شق الصفوق واحداث ثارات بين أفراد الشعب الأفغانى ٠ ولم تقم الحكومات الأفغانية بأى جهد يذكر لتحقيق المصالحة الوطنية والوحدة بين أفراد الشعب بل على العكس من ذلك كانت تؤجج نيران الخصومة بين أفراد الشعب وقبائله المختلفة ٠

لقد بدأت التنظيمات والأحزاب الاسلامية تظهر بين صفوف الطلاب فى افغانستان فى حكم (داود) كحركة مضادة للشيوعيين ٠

وتولى قيادة هذه الحركات عدد من الأساتذة والعلماء الشبان الذين درسوا فى الأزهر الشريف ، أو احدى الجامعات الاسلامية فى البلاد العربية من ذلك (الجمعية الاسلامية) ٠ وكانت هناك تجمعات اخرى من العلماء التقليديين تحت اسم (جمعية خدام القرآن) وجمعية (علماء محمدى) وبعض تجمعات صغيرة هنا وهناك ٠

اما الأحزاب الاسلامية الأفغانية التى عرفت بعد اطاحة حكم (داود) واستيلاء الشيوعيين على الحكم ، فقد تكونت خلال الفترة ما بين (١٩٧٩ ـ ١٩٨٣ م) فى بيشاور فى الباكستان من عناصر تمكنت

من مغادرة افغانستان من العلماء والشباب الاسلامى حتى تلم شمل الأتباع وتتمكن من توعية الشعب الأفغانى بما جرى ويجرى فى وطنهم وبما يجب عليهم ازاءه ٠

ان الفراغات التى كانت بين تلك العناصر داخل بلادهم هى التى أدت الى قيام عـدة تنظيمات مستقلة ، والى فشل جهود المؤمنين المخلصين الذين رأوا ويرون أنه لا نجاح ولا منجـاة الا اذا تخلصت تلك التنظيمات من تطلعاتها الحزبيّة وآثروا العمل تحت لواء واحد ، وحركة واحـدة ، وفى ظل علم واحـد ٠

وهذه التنظيمات الرئيسية فى بيشاور هـى :

١ ـ حركة الانقلاب الاسلامى ٠	ورئيسها الشيخ محمد نبى محمد
٢ ـ الجمعية الاسلامية ٠	ورئيسها برهـان الدين ربانى
٣ ـ محاذ أنقلاب اسـلامى ٠	ورئيسه السيد أحمد الكيـلانى
٤ ـ الجبهـة الوطنية لانقـاذ افغانستان ٠	ورئيسه الشيخ عبدرب الرسـول سـياف ٠
٥ ـ الحزب الاسلامى ٠	ورئيسه المهندس كليدين حكمتيار
٦ ـ الحزب الاسلامى ٠	ورئيسه محمـد يونس خالـص
٧ ـ الاتحاد الاسلامى لتحـرير افغانستان ٠	ورئيسه الشيخ عبد رب الرسول سـياف

وهناك تنظيمات أخرى فى ايران حيث هاجر اليها ما يقرب من مليونى مجاهد وعلى رأس هذه التنظيمات فى ايران ٠

١ ـ حزب الشيخ محمد آصف محسنى وهو أكبر التجمعات الشيعية فى ايـران ٠

٢ ـ حزب آخـر تحت اسم (رعـد) ٠

٣ ـ حزب ثالث تحت اسم (صف) ٠

٤ ـ حزب رابع تحت اسم (توحيدى) ٠

وقد وصل عدد الأحزاب التى شكلت فى ايران فى السنوات الأخيرة الى تسعة أحزاب .

ومهما قيل فى أمر هذه التنظيمات فهذا لا يعنى ايجاد المبررات للفرقة والتفكك ، ويدرك الأفغانيون المخلصون خطورة هذه الفرقة والاختلاف . وقد أدت هذه الفرقة كما سنرى الى سقوط دماء كثير من المجاهدين على أرض كابل المحررة فقد وقف المجاهد يسدد لأخيه المجاهد المسلم الآخر نيران سلاحه فيرديه قتيلا ، وفاضت بحار من الدماء ولن يستفيد من هذا التفكك والانقسام والحروب الطائفية سوى أعداء أفغانستان .

وعلى الرغم من الخلافات النظرية القائمة بين المنظمات الرئيسية للمجاهدين الا أنهم كانوا يتفقون على الأمور التالية :

- مشاركة منظمات المجاهدين مشاركة فعالة كطرف أصيل فى أى محادثات تجرى للتسوية .

- انسحاب الجيش السوفيتى انسحابا كاملا من البلاد ، ويعلن السوفيت استعدادهم لذلك ، وتتعهد الجهات الأجنبية بعدم التدخل فى شئون افغانستان الداخلية (تم ذلك) .

- تهيئة الظروف المناسبة لعودة اللاجئين الى بلادهم وعودة الأراضى المصادرة الى أصحابهما (يحدث ذلك الآن) .

- اطلاق سراح كل المسجونين المعتقلين واعادة كل الذين فصلتهم حكومة كابول الى أعمالهم .

- سقوط الحكومة الشيوعية القائمة واجراء استفتاء شعبى حر تحت أشراف محايد كى يقرر الشعب الأفغانى نوع الحكم الذى يريده دون أى ضغط من طرف خارجى .

- اتفاق دولى تضمن به الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى (اسم دول الكومنولث سابقا) معاً استقلال افغانستان .

لقد كانت هذه البنود السابقة التى اتفقت عليها تنظيمات المجاهدين فى السابق وغداة تكوينها .

الاتحـاد الاسلامى لمجاهدى افغانسـتان

لقد استجاب الله لدعاء المخلصين من أبناء افغانسـتان وأبنـاء كل الدول الاسـلامية والعـربية ، وتحققت رغبتهم فى تكوين اتحـاد اسلامى لمجاهدى أفغانستان انضمت اليه سبعة تنظيمات وكـان هـذا الاتحاد أمل المسلمين فى كل أنحاء العالم حتى تتقدم مسيرة الجهاد بقيادة واحدة وتحت علم واحد .

وقد بعث الاخوة المسئولون عن هذه التنظيمات باستقالاتهم للاتحاد تنفيذا للقـرارات التى اتخذت بحل جميع التنظيمات ودمجهـا فى اتحاد واحـد ، واعتبار أفرادها أعضاء فى الاتحاد كما سلموا للاتحاد جميع منقولات منظماتهم .

وقد نشر هذا الاتحاد تحت اسم « الاتحاد الاسلامى لمجاهـدى افغانستان » وكان قيامه يوم الخميس ٦٠/٥/٣١ (بالتقويم الشمسى » الموافق ١٤٠١/٥/٢٠ هـ حيث انعقدت أول جلسة لمجلس الشورى بمسجد أشرفية . وقد توصلت لجان الاتحاد الى القرارات التالية :

١ ـ توحيد راية الاتحاد ، وهى من قماش أبيض عليها عبارة (لا إله الا الله محمد رسول الله) وبذيلها اسم الاتحاد .

٢ ـ توحيد علامة رمز الاتحاد بحيث تجمع بين كل الرموز .

٣ ـ توحيد شعار الاتحاد وهو :

« الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن رسولنا ، والجهـاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا ، فى الحرية عزتنا ، وفى الحجاب الاسلامى صيانة عرضنا » .

٤ ـ تم وضع دستور الاتحاد ويتكون من ١٠٣ مادة وتم التوقيـع عليه من جميع رؤساء المنظمات الاسلامية الأفغانية .

٥ ـ تم وضـع اللوائح كما تم تشكيل ١٣ لجنـة وهى اللجنـة العسكرية والسياسية ، والمالية ، والثقافية ، والقضائية ، والاستطلاعية ، والصحية ، والتعليم والتربية ، والمهاجـرين ، ودار التحـرير ، والتخطيط ، والدعوة والتنظيم ، ودار الافتاء ، وعين رئيس لكل لجنة يتولى أمورها ويمثلها فى مجلس الشورى بالاتحاد .

٦ ـ عين بالانتخاب رئيس الاتحاد وهو الشيخ عبد رب الرسول ثم خلفه صبغة الله مجددى .

٧ — يتم وضع السياسة الخارجية والداخلية للاتحاد بقرار من مجلس الشورى ٠

فقد كان وضع هذه السياسة فى الماضى يمثل مثارا للخلاف والتمزق والجدل بين صفوف المجاهدين ، وتلتزم جميع المنظمات بسياسة الاتحاد تجاه القضايا الداخلية والخارجية وبذلك تم اجتياز كبرى العقبات التى كانت تحول دون التوحيد ٠

٨ — افتتاح مركز الاتحاد ومواصلة العمل به ٠

٩ — عدّ الاسبوع الذى يبدأ فى ٢٢ من رجب ١٤٠٢ هـ أسبوع توظيف أعضاء مجلس الشورى ، ولجان الاتحاد على ان ينتهى دمج لجان المنظمات فى لجان الاتحاد الموجودة ٠

١٠ — أعلن رسميا عن قيام الاتحاد فى مؤتمر صحفى عقد فى اسلام آباد يوم ١٤٠٢/٧/٩ هـ الموافق ١٩٨٢/٥/٣ برئاسة الشيخ عبدرب الرسول سياف ، وحضر المؤتمر اعضاء مجلس الشورى كما حضره عدد كبير من الصحفيين ٠

١٠ — بعث الإتحاد بوفوده الى جبهات القتال لتزف الى المجاهدين نبأ الاتحاد ، ونبذ كل الخلافات السابقة وكان لهذه الوفود أثر طيب فى نفوس المجاهدين الذين امتثلوا للأوامر الصادرة اليهم ٠

١١ — وحدت نشرات المنظمات بما فيها صوت الجهاد وجميع المجلات ، والجرائد على أن يتم صدور ما يتم الاتفاق عليه من اللجنة الثقافية ٠

١٢ — توزع بطاقات الاتحاد على كل المنتسبن الى المنظمات المكونة للاتحاد ٠

وعلى الرغم من قيام الاتحاد الا أن المتتبع للأحداث يرى أن الانتماء الحقيقى من القادة ومن المؤيدين والإتباع لكل أمير أو قائد ظل قويا للمنظمات السابقة قبل أن يضمها الاتحاد ٠

تنظيمات الجهاد الاسلامى فى أفغانستان والسيطرة على الحكم

حكومـة نجيـــب الله

قـاوم المجـاهدون حكومة (ببرك كارميل) ثم حـكومة الدكتور نجيب الله الذى نصبته موسكو رئيسـا للبلاد وخلفـا لببرك كارميـل وكان رئيسـا لجهاز أمن سابق ٠ وقد نكل نجيب الله بالمجاهدين وطرد العلمـاء والطلاب من البلاد ، وكان ينفذ التعليمات التى يتلقاها من موسكو فقد كانت موسكو تمده بالمساعدات الغذائية والأسلحة والوقود ٠ والتى قدرت بنحو ٧ر١ مليـار جنيه استرلينى سنويا ٠ وعندما شعرت موسكو بخطئها الكبير فى احتـلال أفغانستان وما أصـابها من خراب نتيجة ذلك سحبت قواتها فى عام ١٩٨٩ ولكن أبقت على بعض الخبراء والمستشارين ، ثم قطعت كل دعم عن حكومة نجيب الله بعد ذلك ٠

وكانت الدلائل على تفكك أفغانستان قد بدأت تطل برأسها منذ انسحاب القوات السوفيتية من البلاد ، وظهـر جليـا أن النظام العسكرى لنجيب الله لن يكون بوسعه الاستمرار فى البقـاء بدون المساعدات التى كان يتلقاها من الاتحاد السوفيتى سابقا ٠

وبدأت أحوال البلاد تسوء وتندر المواد الغذائية حتى أن بعض السكان ماتوا من الجوع ومن البرد القـارس الذى اجتاح أفغانستان خلال هذا الشتاء ٠ وبدأ الشعب الأفغانى يدرك أبعاد المـأساة التى يعيشها ، فرغيف الخبز الذى يعد الغـذاء الرئيسى تضاعف ثمنه خمس مـرات عما كان عليــه قبل عام ٠ وتوقف الكيروسين الذى كان يضىء لمبـات الانارة ، ويستخدم كوقود فى الأفـران لأنه كان يأتى من جمهوريات الاتحاد السوفيتى ٠ وفى حديث لمحمد أشجار عمدة كابول السابق لمجلة نيويورك تايمـز نشـرته فى عـددها ٢١ مارس ١٩٩٢ قال : شعبنـا لا يموت من الحـرب فقط انما من الجوع ، وذكـر أن صاروخا أطلقه المجاهدون على سوق المدينة تسبب فى مصـرع ١٧ شخصا ، واصـابة أكثر من مائة ، يقول ولكن الموتى تم دفنهم بسـرعة ، وعاد الأحيـاء يكافحون من أجـل البقـاء » ٠

ان ارتفاع الأسعار وندرة المواد الغذائية يجعلان الحيـاة بالغـة الصعوبة فى أفغانستان ٠ فدخل موظف الحكومة يقل عن خمسة دولارات

شهريا فى وقت صـارت فيه البيضة بحوالى ٨ سنتات أمريكية ، والدجاجة بحوالى ٥ر٣ دولارات أمريكية ، و ١٥ كيلو جراما من الأرز من أرخص الأنواع القـادمة من الاتحـاد السوفيتى يصـل سعـره الى ٥ر٢ دولار أمـريكى .

ان المرتبات التى يتقاضاها الموظفون لا تكفيهم وعائلاتهم الا لعدة أيام من الشهر فقط ، فى وقت هجر فيه الفلاحون قراهم وأراضيهم .

ويقول الموظفون الحكوميون الذين يشكلون أغلبية السكان والذين يتقاضون رواتب شهرية انهم لا يعملون من أجـل رواتبهم فقط ، ولكن من أجـل الشاى والسكر والقمح الذى يتلقونه فى شكل « كوبونات » بحصص شهـرية .

وقد توقفت الامدادات خلال فصـل الشتاء التى كانت تأتى من الاتحاد السوفيتى السـابق ثم روسيا ، وحتى تجـار القطاع الخـاص الذين حاولوا عقد صفقات لشـراء القمح من ألمـانيا والمجر لم تصـل الشحنات التى تعاقدوا عليهـا .

لقد هرب كثير من الجنود والموظفين وانضموا للمجاهدين أو كونوا مليشيات مستقلة صـارت تهدد حكومة نجيب الله ، كما أن المجـاهدين والمليشيات أغلقوا الطريق من الشمال فى وجه التجـارة القـادمة من جمهوريات الاتحاد السوفيتى (سابقا) .

هذه الأوضـاع الصعبة فى أفغانستان جعلت نجيب الله يعلن فى خطاب يوم ١٩٩٢/٣/١٨ الى الأمة استعداده للاستقالة وعـزمه على التخلى مع حكومته عندما تكون هناك حكومة انتقـالية محايدة مستعدة لتسلم السلطـة ، وذلك فى اطـار جهود الأمم المتحدة لاقامة حـكومة انتقـالية فى كابول .

ثم تتسـارع الأحداث فيلجأ نجيب الله الى مكتب الأمم المتحـدة فى كابول ، وتنتقـل سلطاته الى أربعـة نواب ، بالاضافة الى اللجنة التنفيذية لحزب الوطن الأم الحاكم على أن تنتقـل سلطات الحكومة الى الحكومة الانتقالية تحت اشراف الأمم المتحدة .

لقد كانت الفتـرة التى جـاء فيهـا نجيب الله صعبة بالنسبة له ولحكومته فقبل توليـه الحكم بعـام أعلن جورباتشوف فى موسكو سياسة

(البيروسترويكا) واعترف فيها السوفيت بخطأ التدخل السوفيتى فى أفغانستان ليمهد للانسحاب نهائيا عام ١٩٩٠ .

لقد جاء نجيب الله الى الحكم فى وقت كان العد التنازلى لنهاية النظام القائم فى كابول اذ تم تشديد العزلة الدولية عليه من أوربا وأمريكا وبقية العالم الغربى والعالم الاسلامى . بل وزاد دعم العالم للمجاهدين المادى والاعلامى والعسكرى بمعدلات خيالية ولم تبخل أمريكا على المجاهدين بمنحهم أحدث أنواع الأسلحة الأمريكية فاشتدت ضراوة المجاهدين ، واتسعت مكاسبهم ، وعظمت قوة نفوذهم ، وحققوا مكاسب هامة على الأرض . كما ازدادت نقمة الشعب على الحكومة للظروف المعيشية الصعبة التى أشرت اليها .

لقد جاء نجيب الله وسط ظروف العزلة الدولية على أفغانستان وتصاعد هجمات المجاهدين ، وتحريرهم قطاعات كبيرة من الأراضى وادارتها بعيدا عن حكومة كابول بالاضافة الى الصراع الدامى الذى نشأ بين أجنحة الحزب الحاكم وتكتلاته بعد أن كانت قاصرة على جناحين .

لقد كانت الفرصة مهيأة أمام نجيب الله أن يحفظ ماء وجهه بالخروج من السلطة أو التسليم للمجاهدين لكنه تربى على الاستئثار ونبذ الحكم الديموقراطى مثل جميع قادة الحزب الديمقراطى السابقين.

لقد بات واضحا أن نظامه سوف يسقط بعد خروج القوات السوفيتية من أفغانستان لذلك بدأت عروض حكومته لتنازلات عديدة آخرها فى مطلع هذا العام من قبول المشاركة فى حكومة انتقالية تمثل فيها الأطراف السياسية ثم عرض تسليم السلطة الى ادارة مؤقتة تحت اشراف الأمم المتحدة .

انسحاب الجيش السوفيتى من أفغانستان :

وفى عام ١٩٨٩ انسحب الجيش السوفيتى من أفغانستان منكس الرأس ، وكان للمآسى التى شهدها هناك دور هام فى اضعاف مكانة موسكو ويرجع الفضل فى خروج الجيش السوفيتى يجر وراءه الخيبة والهزيمة والعار للمجاهدين الأبطال من أبناء أفغانستان .

لقد أدرك الاتحاد السوفيتى بعد فوات الأوان أن غزوهم لأفغانستان

كان خطأ كبيرا بدد أموالهم ورجالهم وسمعتهم ٠ وقد كانت قيادات الاتحاد السوفيتى التى أعقبت الرئيس السابق بريجينيف جريئة لأنها نددت علانية بغزو القوات المسلحة السوفيتية لأفغانستان ، وعدها بعضهم انتهاكا خطيرا للقانون والمبادىء الدولية ٠ وكان آخرهم الرئيس بوريس يلتسين الذى وصف الحرب الأفغانية بأنها جريمة اقترفها الاتحاد السوفيتى ، وناشد الحكومة السوفيتية فى يوليه ١٩٩٠ م وقف ارسال الأسلحة السوفيتية الى أفغانستان ٠

وكان للضربات الناجحة التى وجهها المجاهدون لقوات حكومة نجيب الله العميلة الأثر الكبير فى جعل موقفه مهزوزا وحرجا أمام حلفائه السوفيت ٠

لقد كان لادانة الرأى العام العالمى ومنظمة الأمم المتحدة الاحتلال العسكرى السوفيتى لأفغانستان ، والتدخل فى شئونها العسكرية الأثر الكبير فى تراجع الحكومات التى تلت حكومة بريجينيف واقتناعها بضرورة ترك شعب أفغانستان يقرر مصيره ، ويختار حكومته دون تدخل أو ضغط خارجى ٠ وقد عزز هذا الموقف عندما عرض المستر دى كويار السكرتير العام السابق للأمم المتحدة فى ٢١ مايو ١٩٩١ مشروعا من خمس نقاط لحل المشكلة سياسيا ، ويتضمن الاعتراف بحق الشعب الأفغانى فى اختيار نظامه السياسى والاجتماعى بنفسه ، وتأسيس حكومة انتقالية موسعة مع ايقاف الدعم المسلح ، واحترام حياد وحدود أفغانستان ٠

وأعقب ذلك صدور البيان المشترك الذى أعلنه المستر جيمس بيكر وزير خارجية الحكومة الأمريكية ، ونظيره بوريس بانكين وزير خارجية الاتحاد السوفيتى يوم ١٧ سبتمبر ١٩٩١ فى موسكو حيث أعلنا أن الدولتين اتفقتا على وقف تزويد الأطراف المتصارعة فى النزاع الأفغانى بالسلاح اعتبارا من أول يناير ١٩٩٢ م مما يشير الى رغبتها فى حل المشكلة ٠

وبموجب هذه الاتفاقية التزم حلفاء كابول السابقين فى موسكو ، وحلفاء المجاهدين فى واشنطن عن نهاية المساعدات العسكرية للأطراف المتحاربة ٠

لقد شجعت هذه الخطوة من جانب الاتحاد السوفيتى المجاهدين على الاستعداد والتهيؤ النفسى للجلوس والتفاهم لانهاء هذا النزاع

المتـــازم . ومن أجل ذلك استجاب المجاهدون الى الدعوة التى وجهت اليهم من حكومة روسيا الاتحادية للحضور الى موسكو للتفاوض فى المدة من ١١ — ١٥ نوفمـبر حيث حضـر وفد المجـاهدين برئاسـة الشيخ برهان الدين ربانى أمير الجمعية الاسـلامية ووزير خارجية حـكومة المجاهدين المؤقتة وضم الوفد ممثلين عن جميـع الأحزاب الموجودة فى باكستان وايران كما ضم الوفد الروسى المستر بوريس بانكين وزير خارجية الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت ، وروزكوف وزير خارجية جمهـورية طاجيكستان ومندوبين عن سـائر الجمهوريات السوفيتية . وقد اتسمت المفاوضات بالصـراحة والجدية ، وانتهت بصدور البيـان المشترك الذى تضمن الأمـور التـالية :

١ ـ التنديد بالغـزو السوفيتى واشـتراك السوفيت فى الحـرب التى سببت لشعب أفغانستان ضحايا وخسائر كبيرة .

٢ ـ نقـل جميـع سلطات الدولة فى أفغانستان الى حكومة انتقـالية اسلامية تقوم باجـراء انتخابات عامة خلال عامين بعد انتقـال السلطة اليها بالتعاون مع المؤتمر الاسلامى ومنظمة الأمم المتحدة .

٣ ـ اتفق الطرفان على أن الحكومات الأفغانية منذ عام ١٩٧٨ م كانت تحت أمـر الحكومة السوفيتية ، وعليـه تعلق جميع الاتفاقات التى وقعت بين تلك الحـكومات والحـكومة السوفيتية الى أن تشـكل الحكومة الانتقـالية .

٤ ـ يوافق الجانب السوفيتى على المبـادرة بايقاف ارسال المساعدات العسكرية ، ووقود آلات الحرب لنظـام كابول ، واستدعاء جميع الكوادر والمستشارين وذلك قبل أول يناير ١٩٩٢ م .

٥ ـ اطـلاق سراح الأسرى بين الطرفين وتقوم لجنة مشتركة باتخـاذ ترتيبات تبادل الأسـرى .

٦ ـ يشترك الاتحاد السوفيتى فى اعمـار أفغانستان وازالة مخلفـات الدمـار .

٧ ـ تشكيل لجنة مشتركة برئاسة المستر روسكوى نائب الرئيس يلتسين عن الجانب الروسى ، والأستاذ برهان الدين ربانى عن الجـانب الأفغانى خـلال شهـر واحد لمتـابعة تنفيذ ما جاء فى البيـان المشـترك .

الحزب الاسلامى والجمعية الاسلامية يقتتلان للوصول الى الحكم :

من المؤسف أن القتـال الذى يجرى فى أفغانستان الآن يجرى بين حزبين من أحـزاب المجاهدين الكبيرة التى لا ينكر أحد دور كل حزب منها فى حـركة الجهاد الاسلامى فى أفغانستان ، وكم من مجاهدين من كلا الحزبين استشهدوا على أرض آفغانستان من السوفيت أو الحكومات الشيوعية العملية التى تولت الحكم فى أفغانستان .

أما الحزب الأول فهو (**الحـزب الاسلامى**) يتزعمه كليدين أو كما ينطق البعض قلب الدين حكمت يار ، وقد رفض الانضمام الى محادثات تولى السلطة بمجلس مؤقت ووصفها بأنه مضيعـة للوقت ، كما رفض الانضمـام أو التحـالف مع الميليشيات الحكومية المنشقـة عن الجيش والحكومة فى كابول ، وهدد بأنه سيشن هجوما على العاصمة الأفغانية اذا لم تستسلم دون شروط بحلول يوم الأحد الموافق ٢٦ أبريل ١٩٩٢ م . والا سيهاجم المجاهدون العاصمة . وعارض فكرة انشـاء مجلس انتقالى مؤقت من تنظيمات المجاهدين فى بيشـاور يحضـر الى كابول لاستلام السلطة برئاسـة صبغة الله المجددى ، وهدد باطـلاق الرصـاص على الطائرات التى تستخدم مطار كابول مقـلة زعماء المجاهدين فى المجلس المؤقت الذى تم تشكيله من ٥١ عضوا والذى قـرر أن يحضـر الى كابول يوم ٤/٢٦ لتولى السلطة من الحكومة ، وذكر أن المجلس غير ذى موضوع بعد أن سيطر المجـاهدون على كابول ، وأن السلطة نقلت بالفعل .

وقد اختـار حكمت يار أحد قادته العسكريين (أوستاد فريد) لتولى رئاسـة الحكومة الأفغانية .

أما الحزب الثـانى المنافس لحزب حكمتيار فهو حزب **الجمعيـة الاسلامية (جماعة اسلامى)** أو مجلس الجهاد الاسلامى وقائده الميدانى أحمد شـاه مسعود ترابط قواته شمال كابول ويطلق على أحمد شـاه مسعود اسم القائد الطاجيكى كما يطلق عليه اسم (أسد البانجشير) .

وتعد قوات الجمعية الاسلامية من أقوى مجموعات المجاهدين المسلمة فعمـرها فى الجهـاد يصـل الى ١٤ عاما وقائدها أحمد شـاه أكثـر كفاءة وفاعلية وخلال سنوات الاحتـلال السوفيتى التسـع لبلاده والتى انتهت فى عام ١٩٨٩ نظم سبع هجمات على وادى بانجشير التى تقطنه قبيلته الى الشمال من كابول قرب الحدود السوفيتية مما أهله بجدارة للحصول على لقب (أسد بانجشير) .

وفى السنوات الثلاث التى تلت انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان بسط مسعود سيطرته على معظم مناطق الشمال الأفغانى وأثبت قدرة عالية فى الادارة والقتال .

وبفضل ادارته المدنية المتميزة لاسيما فى المناطق المحيطة بالعاصمة والواقعة شمال شرق ولاية (طاحار) استتب الأمن وانتعش الاقتصاد فى تلك المناطق الريفية . واستطاع أن يرسخ قيم الانضباط والنظم العسكرية والتخطيط، المحكم وأفلح فى تكوين قوة عسكرية من المجاهدين قوامها عشرة آلاف مجاهد ، لا تقل كثيرا عن أية قوة نظامية ، ووفر لهـا الأسلحة المتنوعة بما فى ذلك عشرات الدبابات والمدافع التى استولى عليها من القوات الحكومية .

وقد كان أحمد مسعود شاه أكبر خطر على القوات السوفيتية ، لذلك شنت عليه هذه القوات سبع هجمات نجا منها جميعا وظل يشكل خطرا دائما على الطريق الرئيسى الذى يربط بين كابول وما كان يعرف سابقا بالاتحاد السوفيتى .

وأحمد شاه أصولى معتدل اكتسب شهرته من الانتصارات العسكرية المتلاحقة التى حققها فهو لم يغادر أفغانستان طوال مدة الحرب التى أوقعت أكثر من مليون قتيل وتسببت فى تهجير أكثر من خمسة ملايين شخص ورحلته الوحيدة المعروفة الى الخارج كانت منذ أكتوبر ١٩٩٠ عندما جاء على غير عادته الى باكستان لتوبيخ القيادة السياسية للمقاومة التى كانت تتناحر فى بيشاور .

ويتحدث أحمد شاه الفرنسية التى تعلمها فى معهد الاستقلال فى كابول قبل انتقاله للدراسة فى كلية الهندسة ثم الى النضال فى صفوف الحركات الاسلامية منذ السبعينيات فى عهد الملك ظافر شاه ، وكان بين رفاقه آنذاك قلب الدين حكمتيار الذى صار اليوم خصمه الرئيسى .

وقد أفادت دراسة الهندسة القائد أحمد شاه فى تمتعه بكفاءة عالية فى التكتيكات الميدانية ، والنقل ، وفرض النظام ، وحكم القانون فى المناطق التى خضعت لسيطرة الجمعية الاسلامية ورئيسها الشيخ برهان الدين ربانى وقيادة مجاهديها تحت قيادة أحمد شاه مسعود .

وبدت مـرونة أحمـد شـاه فى تعـاونه مع المليشيات الحكومية المنفصـلة منذ الاحاطة بنجيب الله لكن حزب حكمتيار وحكومته أخذت على أحمد شـاه هذا التصـرف .

ولاعتدال أحمد شـاه انضم اليـه القـائد منصـور نادرى زعيم الاسماعيلية ، وجنـرال عبد الرشيد دوستام زعيم المليشيا الأزبكيـة ، وجنرال عبد المؤمن .

الحرب بين قوات شـاه مسعود وحكمتيار :

لقد نفذ حكمتيار تهـديده وانذاره ودخلت قواته كابول واحتلت وزارة الداخلية يوم الأحد ١٩٩٢/٤/٢٦ ، ثم دخلت قوات أحمد شـاه مسعود ودارت بين المجموعتين معـارك فى ثلاث مناطـق يوم ٤/٢٦ وهـرع سكان كابول الى الملاجىء اثر أصوات الانفجارات التى أحدثها القصف المدفعـى من الدبابات والقذائف الصـاروخية ونيران الأسلحـة الآليـة . واحتل جنود حكمتيار مواقع المدفعية المضادة للطائرات التابعة للجيش وقصفوا مبنى الاذاعة والتليفزيون والقصر الرئاسـى ومجمعات من أربعة مستشفيات يسيطر عليها مقاتلو الجمعية الاسلامية ، وأخـذ مقاتلو الجمعية الاسـلامية يقصفون بمدفعية المصفحات المتمركزة حـول مبنى الاذاعة والتليفزيون .

ودارت معـارك فى القصـر الرئاسى وفى وزارة الداخلية انتهت بانتصـار جنود أحمد شـاه وسيطرتهم على القصـر الرئاسى ومبنى وزارة الداخلية . واستسلم كثير من جنود حكمتيار . وقد خلفت هذه المعارك عـددا كبيرا من القتـلى والجرحى ، وكان يمكن تجنب هـذا القتـال لو حكم المتحاربون العقل ورجعوا الى كتاب الله .

وقد اتفقت معظم فصـائل المجاهدين فى بيشاور على انتقـال المجلس الانتقالى والذى يضم ٥١ عضوا الى كابول برئاسـة صبغة الله مجددى وقد وصـل أعضاء المجلس الحاكم الجديد لأفغانستان الى كابول يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل ١٩٩٢ . وقد جرت مراسم التسليم والتسلم بين حكومة النظام الأفغانى السابق والحكومة الاسلامية بعد وصول صبغة الله المجددى قادما من بيشـاور بطريق البر ، وقد حضـر انتقال السلطـة أعضـاء السلك الدبلوماسى والصحافة الدولية . وألقى مجددى كلمـة أعلن فيهـا عفوا عاما عن أعضـاء النظـام السابق وطلب من حكمتيار العمـل من أجل السلام .

تنظيمات الجهاد الأفغانى تعود الى كابل

الصـــراع والمشـاكل :

ان الاغواء بسـلوك سبيل عسكرى منفصل ينتصـر فيه على القوات الحكومية والدخول الى العاصمة على هيئـة الفاتحين سيطر فترة من الوقت على بعض فصـائل من المجاهدين وهذا ما جعل حكمتيار وجنوده يرفضون الاتفـاقيات التى اقترحت بين حـركة الجهاد وحكومة كابول القديمـة • وقد سببت المواجهـة بين جنود أحمد شـاه مسعود وجنود حكمتيار الى الخوف من حرب أهلية بين فصـائل المجاهدين المتصارعة داخـل العاصمة كابول فبعض قادة المجاهدين يرفضون اللقاء والتفاهم • ان التقـاء المجاهدين بالقتال مع بعضهما يكون كارثة أكبر من عهـد الحكم الشيوعى فى أفغانستان • ومما يدعو للأسف فشل زعماء المجاهدين حتى الآن فى الاتفـاق على اقتسـام مقاعد المجلس الحاكم على الرغم من ضغوط ايران وباكستان والسعودية •

ان وحدة الجهاد الأفغانى مصدر من مصـادر قوته وبها يطـالب الشعب الأفغانى ، وتفرضها مصلحة الجهاد حتى يتحرك أبنـاء أفغانستان تحت لوائها وعلى المتـاصرين لحـركة تحـرير أفغانستان فى العـالم ألا يتعاملوا وألا يتعاونوا الا مع هذه القوى الموحدة وأن يسدوا الطريق أمـام أى تنظيم آخـر يحرص على استقلاليته وانفصـاله عن القـوى الموحدة ، ومطلوب من كل فصـائل المقاومة الارتفاع الى مستوى المسئولية وتجنب الانزلاق فى الحرب الأهلية وتحويل أفغانستان الى صـراع اقليمى تتوسط فيـه قوى خارجية • والاتفـاق فى هذه اللحظـة الحاسمـة • فالخـلافات بين فصـائل المجـاهدين تؤدى الى ضعفهم وانحسـارهم وتراجعهـم •

وهناك أمور كثيرة يمكن أن تكون سببا للخلاف ما لم يغلب المجاهدون والشعب الايمان والتمسـك بالشـرع الحنيف فهناك القوميات العـرقية التى تصـل الى حوالى ١٨ مجموعة من طاجيك ، وأزبك ، منحدرون من طاجكستان وأزبكستان ، واسماعيلية ، وتركمان وبلوخ وهـازاى ، وباشتون ، وهناك القبـائل التى قد تصـل الى ٨٠ قبيلة ، وهناك الأسر التى قامت بينهـا عداوات وهناك الخلافات بين قادة الداخل ، وقادة الخارج من المجاهدين ، وهناك الشيعة والسنة ، وهناك أنصار الملكية ،

وهناك أيضا الحكم الأصولى ، كما يوجد أنصار الحكم العلمانى ، وهناك مجموعات الأحزاب السبعة التى تشكلت من السنة فى باكستان ، وهناك مجموعات الأحزاب التسعة المشكلة فى ايران وحتى تحالف مجموعات المجاهدين السبعة فى بيشاو منقسم الى ثلاث مجموعات تتصف بالتشدد والأصولية ، وثلاث مجموعات أخرى تتسم بالاعتدال مع مجموعة سابعة تتخذ موقفا وسطا هى « الجمعية الاسلامية » برياسة برهان الدين ربانى الذى يتبعه القائد أحمد شاه مسعود .

وبجانب الصراع القائم بين قوات حكمتيار وأحمد شاه مسعود فهناك صراع آخر بين قوات حكمتيار ويونس خالص الذى تسيطر قواته على مدينة « سروابى » و « جلال أباد » . وهناك مجموعة راديكالية هى حزب الاتحاد الاسلامى ذات التأثير العسكرى الكبير والمدعومة من عدد من الدول العربية .

وهناك أحزاب المحافظين الثلاثة التى تعتمد فى تكوينها على الولاء القبلى والدينى ، فالمجموعة التى يقودها سيد أحمد جيلانى وهى جمعية صوفية تتمتع بالثراء مما أدى الى أن يطلق خصومها عليها اسم التدليل « جبهة جوتشتى » . وهناك حركة « النقاب الاسلامى » التى يقودها نبيه محمدى وهو عضو سابق فى البرلمان الأفغانى ، وتعد قليلة الأهمية ويقوم دستورها على احياء التقاليد الدينية فى مواجهة انتشار الفساد والتسيب . هذا بخلاف الأحزاب التسعة الموجودة فى ايران . وهناك القلق الذى أصاب « البتانيين » الذين اعتادوا على ممارسة السلطة فى أفغانستان .

وتقلق العصبية الباشتونية باكستان لأن الباشتون لا يعترفون بالحدود المصطنعة بين بلادهم والمناطق الباكستانية .

ومن المشاكل خوف الغرب من احتمال قيام دولة اسلامية أصولية فى أفغانستان ، وأن دور أفغانستان التاريخى كدولة عازلة بين الامبراطوريات سوف يخلفه فى نظر الغرب دور تكون فيه جزءاً من رباط اسلامى متطرف متنامى .

والمسألة التى تزعج الغرب وموسكو هى البلقنة حيث تقوم مجموعات من حرب العصابات بالسيطرة على أجزاء متعددة من البلاد ، وتسعى لاقامة صلات مع جيرانها بما فى ذلك جمهوريات آسيا الوسطى التى كانت ضمن الاتحاد السوفيتى سابقا .

وباعث آخر للقلق الدولى وهو دور أفغانستان كما تذكر الصحف الغربية باعتبارها أكبر منتج ومصدر اقليمى للهروين وتبدو مشكلة كبيرة فقد هاجر من أفغانستان أكثر من ٣ مليون أفغانى الى باكستان خلال الحرب ، و ٢ مليون أفغانى الى ايران ، ولا شك أن اعادة توطين هؤلاء المهاجرين فى بلاد مزروعة بالألغام وذات اقتصاد منهار يمثل تحديا كبيرا بالنسبة للأسرة الدولية عندما يعود السلام الى ربوع البلاد ، فقد ينتظرون طويلا قبل أن يعودوا الى وطنهم . ورغم شعور التفاؤل لدى البعض فان الجميع يشعر أنه يعود الى وطن يختلف تماما عن ذلك الذى تركوه قبل أعوام طويلة مضت ، عودة الى مجهول يعتبرونه أفضل من وضع قائم فى بلد آخر .

وهناك مشكلة هجرة الفلاحين من القرى الى المدن والنزوح من الريف تحت وطأة القتال الذى كان يدور هناك مما حول افغانستان الى مجتمع حضرى هجر سكانه الزراعة وانتقلوا الى المدن وتركزوا فيها . وقبل عشرين سنة كانت الغالبية العظمى من الشعب الأفغانى تعيش فى الريف وترتبط بالأرض ، وفى أقل من عشر سنوات قفز تعداد السكان فى كابول من أقل من مليون نسمة الى ما يقارب ثلاثة ملايين نسمة معظمهم من سكان العاصمة يعيشون فى أجواء المجاعة كما أن ٣١٠ أطفال من كل ألف طفل لا يشهدون عيد ميلادهم الثالث .

دور الأمم المتحدة

بعد أن حدث العدوان السوفيتى على أفغانستان قوبل بادانة صريحة وأنتقاد شديد من المجتمع الدولى بأكمله ووصف بأنه خرق فاضح لمبادىء اساسية فى القانون الدولى لا يتمشى مع أهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة لاسيما وأن المعتدى كان دولة كبرى فى مقدمة الدول المسئولة عن الحفاظ على الأمن والاستقرار والسلام فى العالم .

وقد انعكس سخط العالم فى القرارات التى اتخذتها المنظمات الدولية .

ففى مجلس الأمن لم يستطع الفيتو السوفيتى اسكات المعارضة الدولية العنيفة للغزو السوفيتى لافغانستان .

كما أعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن قلقها العميق للغزو

السوفيتى لأفغانستان ، وشجبت ذلك ودعت الى الانسحاب الفورى ، وناشدت جميع الدول والمنظمات تقديم مساعدات الاغاثة الانسانية ٠

وفى الآونة الأخيرة بعثت الأمم المتحدة بمبعوثها الخاص بينون سيفان الى افغانستان لاقناع الأطراف المختلفة للانضمام الى ادارة انتقالية اقترحتها الأمم المتحدة لتولى السلطة فى افغانستان ٠ وأعلن مجلس الأمن الدولى أنه يؤيد تشكيل مجلس يتولى السلطة فى افغانستان لحل الأزمة ، وفى بيان تلى أمام الصحافة دعا مجلس الأمن جميع الأطراف الى ضبط النفس وتأييد جهود مبعوث الأمين العام بينون سيفان من أجل الوصول الى حل سياسى للأزمة الافغانية وهو الحل الوحيد لها ٠

وكان مبعوث الأمم المتحدة حريصا على حقن الدماء والخوف مما قد يحدث فى افغانستان من مقاومات بين الأطراف المختلفة كما كان حريصا على تنفيذ خطة الأمم المتحدة ٠ التى كانت ترى قيام مجلس مؤقت يقبل بقايا السلطة من حكومة نجيب الله ، ثم تنعقد جمعية وطنية موسعة فى أوروبا فى نهاية ابريل لانتخاب حكومة مؤقتة انتقالية موسعة بممثلين عن كل الأطراف تتحرك الى كابول كى تحل محل المجلس المؤقت السابق وتحاول تسيير أمور البلاد ٠ وكان من المقرر طبقا لهذه الخطة اجراء الانتخابات العامة فى أفغانستان خلال عام تقريبا ٠ ولكن تتابع الأحداث المتمثلة فى لجوء نجيب الله الى مكتب الأمم المتحدة ودخول المجاهدين كابول وتسلم السلطة ألغى كثيرا من بنود هذه الخطة ٠

وفى ٢٦ أبريل دعا الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالى الى وقف اطلاق النار فى أفغانستان طالبا من جميع الأطراف المعنية فى كابول تفادى العنف فى هذه المرحلة النهائية من النزاع ٠

موقف العالم

تتباين مواقف بعض دول العالم من المشكلة الأفغانية سواء عند عرض القضية على مجلس الأمن أو الجمعية العامة للأمم المتحدة أو على لجنة حقوق الانسان الدولية أو اجتماعات دول المجموعة الأوروبية ، أو رابطة دول جنوب شرق آسيا ، ولن أخوض فى مواقف بعض الدول الاسلامية وبعض الدول العربية المزرى فى اجتماعات

الجمعية العامة للأمم المتحدة فى جلستها الطارئة التى بحثت موضوع الاحتلال السوفيتى لافغانستان وعلى الرغم من أن قرار الجمعية العامة جاء خلوا من أى ادانة أو شجب أو تنديد بالاتحاد السوفيتى أو الاشارة حتى له بالاسم وتصويت غالبية دول العالم مع القرار وجدنا ست دول عربية لم تصوت لصالح القرار بل عارضته رغم لهجته الهادئة ووجدنا بعض الدول العربية الأخرى تمتنع عن التصويت بينما تغيبت بعض الدول العربية الأخرى عن التصويت على القرار ومن يرغب مزيدا من التفاصيل عليه أن يرجع الى كتابى « المسلمون فى أفغانستان » المنشور فى القاهرة سنة ١٩٨٤م ص ١٦٨ . وفيما يلى مواقف بعض دول العالم التى كانت على صلة مباشرة بالمشكلة الأفغانية .

١ - موقف أمريكا

ادانت أمريكا الاتحاد السوفيتى لأفغانستان ، وعلا صوتها فى كل المحافل الدولية بشجب الاحتلال ومطالبة الاتحاد السوفيتى بالجلاء الفورى عن أراضى أفغانستان .

وفى ٢٠ يناير ١٩٨٠ دعا الرئيس كارتر المجتمع الدولى الى النظر فى نقل أو تأجيل أو الغاء دورة الألعاب الأولمبية الصيفية التى كان مقررا عقدها فى موسكو إذا لم يتم سحب القوات السوفيتية كليا من أفغانستان فى غضون شهر .

ووقفت أمريكا مع المجاهدين بالتأييد المعنوى والمادى المتمثل فى تزويدهم بالمال والسلاح ، وكان موقف امريكا اختبارا ايديولوجيا للرئيس الامريكى السابق رونالد ريجان الذى كان يرى أنها معركة ضد « شياطين الشيوعية » فى الاتحاد السوفيتى السابق أو « امبراطورية الشر » كما كان يسميها .

وتحولت افغانستان الى « مستنقع » للاتحاد السوفيتى بنفس الطريقة التى كانت بها فيتنام للولايات المتحدة فى الستينات والسبعينات.

وبناء على دعم الرئيس ريجان فإن مئات الملايين من الدولارات تم ضخها الى جماعات الثوار الاسلاميين الأصوليين (المجاهدون) الذين كانوا يقاومون السوفيت ، وعندما رحل هؤلاء استمروا فى حربهم ضد حكومة نجيب الله ، ومن جانبهم استمر السوفيت فى مد نظام كابول بالأسلحة والوقود والغذاء .

ويرجع الفضـــل لامريكا فى تزويـد المجاهــدين بصـــواريخ « ستينجر » التى يمكن حملها على الكتـــف ، والتى أثبتت فعاليتها كسلاح مضاد للطائرات ، وكان لها دور كبير فى قلب ميزان المعركة لصالح المجاهدين وسقوط نظام نجيب الله ٠

ولواشنطن فى أفغانستان فى الوقت الحاضر مصلحتان **الأولى :** خشية الولايات المتحدة أن تتدفق الأسلحة التى زودت بهـــا امريكـا المجاهدين على سوق السلاح الدولى فور انتهاء القتال ، مما سيشكل مشكلة إنتشار جديد للاسلحة فى السوق السوداء ٠ **والثانية :** تكمن فى أن أفغانستان رغم سنوات الحرب هى ثانى اكبر منتج للأفيون فى العالم وتريد واشنطن أن تضمن أن السـلام لن يجلب بين طيـــاته تعـزيزاً لصادرات هذا المخـدر للمدن والبلاد الامريكية ٠

وفى العام الماضى ١٩٩١ اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على منع تزويد أطراف النزاع بالأسلحة ٠

وعلى الرغم من انفاق امريكا لمئات الملايين من الدولارات على تسليح المجاهدين ، واستمرار حكومة الرئيس جورج بوش فى تسليح الثـوار حتى وقت قريب لكن الولايات المتحـدة تاثيرها ضـــعيف ولا ســـلطان لها على المجاهدين ويقتصر دورها فى الفترة الأخيرة على توجيه نداءات بضبط النفس ، واصدار بيانات تعرب عن تأييد جهود الأمم المتحـــدة لاحلال السلام ٠

ويقر مسئولون كبار بوزارة الخارجيـــة الامريكية بانه ليس فى استطاعتهم أن يفعلوا شيئا يذكر بخلاف متابعة الاحداث وتمنى تحسن الأوضاع ٠

وتشعر الولايات المتحدة الامريكية بقدر من الارتياح أمام حقيقة أن أطرافا أخرى خارجية كانت تساند فصائل المجاهدين المختلفة مثـــل باكستان ، وايران ، والمملكة العربية الســـعودية وأصبح نفوذهـــا الآن محدودا تماما كنفوذ واشنطن ، وأصبح دور جميع هذه الأطراف مماثلا لدور الولايات المتحدة الى حد كبير قاصرا على « الحث على ضـــبط النفس وتأييد الأمم المتحدة » وعندما وصل أعضاء المجلس الانتقالى من باكستان الى كابول رحبت الولايات المتحدة الامريكية يوم ٢٨ أبريـــل بوصول أعضاء المجلس الانتقالى الى كابول وأعربت عن أملها فى أن يساعد ذلك على استقرار الوضع فى افغانستان والتوصل الى وقف اطلاق

نار ، دائم ، وتسوية الأزمة سياسيا ، الا أن المتحدثة باسـم وزارة الخارجية مارجريت تاتو يللر قالت ان واشنطن ليست مستعدة حاليـا للاعتراف بحكومة جديدة فى أفغانستان .

٢ - موقـف باكســتان

لا يسع المتتبع للمشكلة الأفغانية الا الاجلال والتقدير لموقف باكستان المشرف فمنذ أن قامت القوات السوفيتية باحتلال أفغانســتان فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م وباكستان تفتح أرضيها للأسر الأفغانية وللمجاهـدين الافغان الذين فروا من الارهاب والبطش السـوفيتى وقد اسـتوعبت باكستان حوالى ثلاثة ملايين مجاهد فروا اليهـا وأقام معظمهـم فى معسكرات فى مدينة بيشاور وما حولها . وقد كانت باكستان فى كل المحافل الدولية مساندة للقضية الأفغانية وطالبت فى عدة مناسـبات بانسحاب القوات الروسية من أفغانستان ، كما رفضت التعـاون مـع حكومة كابول الشيوعية على الرغم من اغراء الاتحاد السوفيتى لهـا لتزويدها بالسلاح والمعدات .

ولجأ الاتحاد السوفيتى فى عدة مرات الى الضغوط العسكرية لحمل باكستان على تغيير موقفها ، فقد عبرت قوات أفغانية الحدود الباكستانية عدة مرات بحجة مطاردة الثوار ، وأغارت الطائرات الأفغـانية على مواقع داخل باكستان ، ولكن ذلك لم يغير موقف باكستان المؤيد للشعب الأفغانى فى كفاحه العادل .

لقد ظلت باكستان رغم كل الضغوط ملتزمة بقرارات المؤتمر الاسلامى فى اسلام اباد ، وأعلنت أنها لن تعترف بالنظام القائم فى كابول الا بعد انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان .

ان باكستان استقبلت المجاهدين منذ أول يوم وطئت فيه أقدامهم أرضها بحكم الجوار والأخوة فى الاسلام ، وقدمت لهم الأرض والمأوى ، والخدمات الصحية والاجتماعية والتعليمية ، وكل مقومات الحياة .

وظل عدد المجاهدين الفارين يزيد على أرضها يوما بعد يوم الى أن وصل الى قرابة الملايين الثلاثة .

ولا شك أن هذا الوضع أثار حساسية الاتحاد السوفيتى السـابق تجاهها ، خاصة وأنه اتهمها بتدريب المجاهدين ، وتقليد بعض الأسلحة الروسية ، ومـد المجاهدين بها سرا .

ان باكستان الشجاعة التى راعت حق الجوار ، وحق الأخـوة فى الله وفى الاسلام كانت تدرك جيدا وهى تقوم بهذا الواجـب ان الاتحـــاد السوفيتى لايوافق على ما كانت تفعله وأن باستطاعته غزو أرضها فى ساعات ، أو تنفيذ ما كان يهددها به من تسليح الأقليات مثل البالوش ، والسندهى ، كما كانت تدرك خطورة موقفها لوقوعهـا بين الضــغط الروسى من جهة والهندى من جهة أخرى ٠

وفى الوقت الحاضر أيدت باكستان خطة الأمم المتحدة وأجـرى نواز شريف رئيس وزراء باكستان محادثات مع فصائل المجاهدين على انتقال السلطة اليهم بالطرق السلمية ٠

ومنذ ٢٥ يناير قررت باكستان التخلى عن سياستها التى استمرت لاكثر من عقـد بتسليح وتمويل المجاهدين وتأييـد مباحثات السلام فى وقت واحد ٠ وقالت اسلام اباد بأنها ستؤيد بشكل كامل مباحثات السلام التى تحميها الأمم المتحدة ٠

لقد ساندت باكستان فى الفترة الأخيرة وبشدة الحل السلمى يدفعها الى ذلك رغبتها فى فتح الطريق أمامها للمتاجرة مـــع الجمهوريـات الاسلامية السوفيتية فى آسيا الوسطى مرورا بالأراضى الأفغانية ، وهذه المتاجرة لن تتم الا بعد احلال السلام فى افغانستان ٠

لقد دعا الى هذه السياسة (سردار آسف محمد على) وزير الدولة الباكستانى للشئون الاقتصادية بعد ان قام بجولة فى آسيا الوسطى خلال شهر ديسمبر ١٩٩١م ٠

وسبب آخر بجانب الرغبة فى المتاجرة مع جمهوريات آسيا الوسطى هو انهيار الاتحاد السوفيتى ٠ وقد أيـد هذه الدعوة الجيش الباكستانى بقيادة الجنرال (آسف نواز) وجهاز المباحث العسكرية والذى سـاعد سابقا فى تقديم الأسلحة للمجاهدين ٠

وفى التاسع من فبراير ١٩٩٢ اجتمع رئيس المباحث اللواء (أسـد دورانى) مع قادة المجاهدين وأخبرهم أن باكستان لم تغير أهدافهـا السياسية الا أن مباحثات الأمم المتحدة ستكون هى الوسيلة التى تحقق هذه الأهـداف ٠

وحسب تصريحات المجاهدين ومصادر أخرى فان باكستان فـى الآونة الأخيرة قلصت من دعمها المـادى للمجاهدين ، كما أن هنـاك

تقارير تتحدث عن اغلاق بعض المعسكرات التابعة للمجاهدين على الحدود الباكستانية مع افغانستان وبأن سواق الشاحنات التى تنقل الأسلحة للمجاهدين قد تم تسريحهم ٠

لقد دعمت باكستان المجلس الانتقالى الذى وافقت عليه اكثرية أطراف المجاهدين ٠ كما اعترفت اسلام اباد رسميا بالحكومة الافغانية الجديدة التى تولت مهامها يوم ٢٨ ابريل فى كابول وسافر رئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف على رأس وفد كبير المستوى وهنأ المجاهدين فى كابول على استلام الحكم وتعهدت باكستان فى هذه الزيارة بتقديم معونة قيمتها ٢٠ مليون دولار لافغانستان ٠



٣ ـ موقــف ايــران :

حذت ايران حـذو باكستان فوقفت موقفا مشـرفا مع المجـاهدين الأفغان وفتحت لهم أراضيها واستضافتهم دون ملل أو كلل وبلغ عـدد المجاهدين الذين لجـأوا الى الأراضى الايرانية حوالى ٢ مليون غالبيتهم على المذهب الشيعى ونظرا لانشغال ايران بمشاكلها الداخلية ، وعـدم رغبتها فى اثارة الاتحاد السوفيتى ضدها لذلك كانت مساعدتها للأفغانيين محـدودة ٠

وفى الآونة الأخيرة أبلغت طهـران الأمم المتحدة تأييدها لخطـة السـلام الدولية ، ونددت برفض بعض الجماعات الأفغانية التعـاون مع مبعوث الأمم المتحدة بينون سيفان فى رسـالة بعث بها على أكبر ولاياتى وزير الخارجية الايرانية الى بطرس غالى الأمين العام للمنظمة الدولية ٠

وعندما أعلنت الأمم المتحدة عما تتضمنه خطتها من تشكيل مجلس يتولى السلطة فى كابول دعت ايران الى ضـرورة حصول حزب الوحدة الموجود فى ايران والذى يضم فصـائل المجاهدين التسعة فى ايران على نصيب أكبر فى هذا المجلس ٠

٤ ـ موقــف الهنــد :

بعد أن غزت القوات السوفيتية أفغانستان عارضت دول العـالم هذا الغـزو ونددت به مثـل أمـريكا ، وانجلترا ، واستراليا ونيوزيلنده ، واليابان ، ودول أمريكا اللاتينية باستثناء كوبا ، ونيكاراجوا وجرانادا ٠

وامتنعت الهند عن التنديد علنـا بالاتحاد السوفيتى (سـابقا) ولكن أعرب المسئولون فيهـا عن قلقهم من أن تؤدى الأزمة الأفغـانية الى تهديد استقرار المنطقة وحثوا على انسحاب القوات العسكرية السوفيتية من أفغانسـتان ٠

لقد كانت الهند مؤيدا قويا للجنرال نجيب الله لكنها لم تكن مستعدة لمسـاندته عسكريا فى أى وقت خاصة بعد أن فقدت نيودلهى تحالفها مع

الاتحـاد السوفيتى وبدأت تسعى للحصـول على أصدقاء فى الغـرب (نيويورك تايمز ٣ يناير ١٩٩٢ م) ٠

وقد اتهم فى الفترة الأخيرة مسئولون هنود أنهم أعدوا بطـريقة عاجلة خطـة لتهريب نجيب الله من مكتب الأمم المتحدة الذى لجأ اليه فى كابول بواسطة طائرة تستأجرها الأمم المتحدة ، وأن مسئولين من وزارة الخارجية والداخلية ومكتب المخابرات الهندى انتظروا لأكثر من ثمان ساعات ليلة الأربعاء ١٩٩٢/٤/٢٢ فى قاعدة جـوية بالقرب من نيودلهى لاستقبال نجيب الله وأن تفاصيل هذه الخطـة تسـربت الى المجاهدين حيث ضيقوا الخناق لمنعه من الهرب ٠ وتعد الهند أنسـب مكان يلجـأ اليه نجيب الله لأنها كانت وثيقة الصـلة بحكومته بالاضافة الى وجود زوجته وأفراد أسرته هناك بالفعل ٠

وتخشى الحكومة الهندية من انتصـار المجاهدين فى أفغانستان لأن هذا الانتصـار سيلقى بظلاله على مشـكلة كشمير بينها وبين باكستان فنيودلهى قلقـة من احتمال تدفق مسلحين ومجاهدين من أفغانستان الى كشمير وتذكـر الهند أن كثيرا من المتشددين الكشميريين الذين ينادون بالانفصال عن الهند تلقوا تدريبهم على القتال فى الحرب الأفغانية خاصة على أيدى ثوار الحزب الاسلامى الأفغـانى الذى يتزعمه قلب الديـن حكمتيار ٠ كما تشعر الهند بالقلق من التقارب بين باكستان والحكومة الاسلامية الجديدة فى أفغانستان ٠

٥ ـ مـوقف تركيـا :

لقد أغلق السفراء الغـربيون أبواب سفاراتهم وغادروا كابول فى الأيام الحالكة من شهر فبراير ١٩٨٩ وبقيت بعض القوى الأخرى التى استطاعت وقتذاك أن تقيم تطورات الأحداث بشكل أفضل ، ومن بـين أكثر البعثات الدبلوماسية نشاطا البعثتان التركية والايرانية وكلاهما تؤكد على الروابط الثقافية والعرقية بين بلديهما وافغانستان ٠ ويقول السفير التركى فى أفغانستان : « أن أكثر من ربع الأفغانيين امـا أتراك أو ينحدرون من أصول تركية » ٠

ومن المرجح أن النظـام الجديد فى كابول سيكون جـزءا من تحالف اسـلامى فضفاض للشعوب غير العربية يمتد من البحـر المتوسط الى المحيط الهندى ، ويضم فى عضـويته كلا من تركيـا وايران وباكستان وأفغـانستان ٠

موقف بعض الدول العربية من القضية الأفغانية :

مما يدعو للأسف أن بعض الدول العربية لم تقف فى المؤتمرات التى عقدت على مستوى العالم وبحثت القضية الأفغانية فى الماضى موقفا مؤيدا لجلاء القوات السوفيتية ومطالبتها بالانسحاب الفورى ، بل كان بعضها يعارض هذه القرارات ، والذى يستعرض نتائج التصويت على هذه القرارات يجد أن بعض الدول العربية من بين الدول التى كانت تعارض هذه القرارات ، وبعضها كان يمتنع عن التصويت ، وبعضها كان يتغيب يوم التصويت على قرارات ادانة الاتحاد السوفيتى سابقا .

ان بعض الدول العربية لم تقدم الى الأفغانيين الواجب الانسانى فاولادهم واطفالهم حرموا من التعلم فى البلاد العربية وشبابهم من الطلاب لم يجدوا فى الدول العربية منفذا لمواصلة دراستهم . وسدت الأبواب أمام عمالهم الذين كان يمكن بكدهم أن يكونوا خير عون ودعم لاخوانهم المجاهدين فى الوقت الذى كانت تستقدم فيه الدول العربية عشرات الألوف من دول أخرى مسلمة من بلاد لا تربطها بنا صلة دم وعرق وعقيدة ودين .

ان عشرات الألوف من أبناء هذه البلاد ينمون بلادهم بحصيلة أعمالهم فتزدهر الحياة فيها ، وكان أبناء أفغانستان المجاهدة الدامية ، يزدادون استجداء ، وفقرا ، وفاقة ، ومرضا ، وجهلا ، وجوعا ، وعطشا . لقد كانت مخيمات المجاهدين فى بيشاور لا تكاد تجد الماء النظيف السليم ليشرب سكانها .

ولكن والحق يقال وقفت بعض الدول العربية والاسلامية فى تاييد الجهاد الأفغانى وادانة العدوان الروسى ، واستعرض على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر موقف بعض الدول العربية فى كل من السعودية والكويت ومصر فى تعاونهم مع حركة الجهاد الاسلامى وهى الدول التى قدر لى أن أتعرف على ما قدمته للمهاجرين الأفغان ولا أعتبر النص على هذه الدول جامعا مانعا فقد تكون لبعض الدول الأخرى مساهمات لا أعرف عنها شيئا .

١ ـ المملكة العربية السعودية :

لم تدخر وسعا فى الوقوف بجانب المجاهدين ودعم قضية أفغانستان فى جميع المحافل الدولية ، ولها فى بيشاور مقر لجمعية الهلال

الأحمر السعودى ، ويقوم الهلال الأحمر السعودى بفضل ما يضمه من أطباء متخصصين بتقديم المساعدات الطبية للمهاجرين وأسرهم بالكشف عليهم وتقديم الدواء لهم . كما كانت السعودية تقوم بتمويل تزويد المجاهدين بالسلاح عن طريق أطراف ثالثة (المشكلة الأفغانية فى المحافل الدولية ، الادارة السياسية ، جامعة الشعوب الاسلامية ص ٤٦) . ويقوم أهل الجود والخير فى المملكة العربية السعودية بالتبرع للمجاهدين الأفغان .

وكانت السعودية من أوائل الدول التى دعمت الشعب الأفغانى فى كفاحه ، وأخذت بتوصية مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، وقطعت علاقتها السياسية مع النظام فى كابول . وعندما بدأ الصراع بين القائدين أحمد شاه مسعود وحكمتيار وجه جلالة الملك فهد خادم الحرمين الشريفين رسالة للمجاهدين الأفغان عبر راديو الرياض مساء ١٩٩٢/٤/٢٠ ذكر فيها أن الشعب الأفغانى قدم فى سبيل تحقيق هدف الاستقلال والاستقرار مئات الآلاف من أبنائه المجاهدين المؤمنين وعلى المجاهدين التوصل الى الحلول الصائبة والقرارات السديدة فى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف لتحقيق هدف الاستقلال ."

وقد بعثت المملكة العربية السعودية بسمو الأمير تركى بن فيصل الذى توجه برفقة رئيس الوزراء الباكستانى موفدا من جلالة الملك فهد بن عبد العزيز لتقديم التهنئة للمجاهدين على عودتهم الى كابول وانتصارهم وانتقال السلطة اليهم . وقد حمل الأمير تركى رسالة من جلالة الملك فهد خادم الحرمين الشريفين الى المجاهدين حضهم فيها على الحفاظ على وحدتهم والتمسك بها وتجنب أية مشاكل قد تظهر ، والتغلب على الصعاب .

٢ - جمهورية مصر العربية :

اعتبرت مصر من مصادر السلاح الذى كان يصل الى أيدى المجاهدين طبقا للاتفاق الذى تم بين الرئيس الراحل أنور السادات وبين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق فى ذلك الوقت الرئيس جيمى كارتر على تزويد المجاهدين بالسلاح الروسى المخزون فى مخازن مصر ، على أن تعوضها الولايات المتحدة عن هذه الأسلحة بأسلحة أمريكية ، كما تزودهم مصر أيضا بأسلحة مصرية الصنع ، وتساعد أمريكا مصر لنفس الغرض فى تشغيل مصانع الأسلحة المصرية التى كان الروس

قد ساهموا فى بنائها (د. شويكار علوان : المشكلة الدولية الأفغانية فى المحافل الدولية ، مكتب أفغانستان ، ديسمبر ١٩٨١ م) .

ويرجع الفضل الى مصر لانشائها مكتب أفغانستان الذى كان تابعا لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية وجعلت من أغراضه :

أولا : دعوة منظمات وحركات التحرير الأفغانية الى الوحدة فيما بينهما ، وذلك بقطع دابر دعاة الهزيمة والتردد ويقضى على عملاء العدو من داخل البلاد .

ثانيا : مطالبة الدول الاسلامية والعربية بالعمل على دعم المجاهدين الأفغان بجميع الوسائل العسكرية والمالية والسياسية الفعالة ودعوتها الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة أفغانستان العميلة .

ثالثا : التوعية بالقضية الأفغانية ، وفى هذا السبيل فقد أصدر المكتب عدة كتيبات كان لها فضل كبير فى تعريف كل من اتصل بها بأبعاد الغزو الشيوعى ، واعطاء فكرة وافية عن كل ما يتصل بقضية المسلمين فى أفغانستان .

وقد جاء تأييد مصر لجهاد الشعب الأفغانى على لسان رئيس الجمهورية ثم الحكومة ثم فئات الشعب كله . ومن أولها جمعية أنصار حقوق الانسان بمدينة القاهرة التى بادرت باصدار نداء الى الأمة تهيب فيه بوضع خطة وبرنامج لترجمة هذا التأييد المطلق الى أعمال تتسم بالحشد الجماعى والتنسيق والتنظيم بين جهود الجماعات والأفراد عن طريق تكوين الجبهة المصرية لمناصرة شعب أفغانستان الشقيق .

وأنشأت مصر جامعة الشعوب الاسلامية ومكتب أفغانستان فى القاهرة لتبنى قضية شعب أفغانستان المسلم ، وبدأت الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية بعقد اجتماع استثنائى فى اليوم العالمى للتعاون مع الشعب الأفغانى فى ٢٠ من صفر سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٧ من ديسمبر ١٩٨٠ م حضره قادة الجهاد الأفغانى ورأت الجمعية التأسيسية ضرورة دعم الجهاد الأفغانى المقدس واتخذت الجمعية عدة قرارات لا مجال لتسجيلها هنا .

وتنفيذا لهذه القرارات فقد تحررت خطابات بهذا الشأن الى كل من سكرتير عام المؤتمر الاسلامى ، وسكرتير عام الأمم المتحدة ،

والدول الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن ، وجميع الدول الاسلامية والعربية مع التنويه بما تضمنته قرارات الجمعية التأسيسية السالف ذكرها من المطالبة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة الافغانية العميلة . كما تم ارسال بعض هذه الخطابات الى سفارات العالم الثالث التى لها تمثيل سياسى بالقاهرة مع الاشارة الى ادراج موضوع الغزو السوفيتى لافغانستان فى جدول أعمال مؤتمر عدم الانحياز .

كما قام السيد الامين العام بعقد عدة لقاءات مع أجهزة حكومة مصر العربية للتنسيق فى اعداد وتنفيذ برنامج التضامن واعداد اللقاءات الصحفية والاذاعية عن القضية ، وأبعادها ، ولقاء مجاهدى افغانستان بأجهزة الاعلام ، واعداد برامج زياراتهم ، والندوات الدينية والمشتركة مع ممثلى النقابات المهنية والحرفية بالقاهرة .

وفى الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٠ م زار قادة الجهاد الافغانى ومعهم الدكتور سيد نوفل الامين العام لجامعة الشعوب الاسلامية والامين العام المساعد السيد هارون المجددى مدينة الاسكندرية حيث أدوا الصلاة بجامع المرسى أبو العباس .

وفى الخامس والعشرين من ديسمبر التقى الرئيس أنور السادات مع قادة الجهاد الافغانى فى قرية ميت أبو الكوم حيث تناول الاجتماع أبعاد الدعم المصرى للنضال والوسائل العملية لزيادة هذا الدعم ماديا ومعنويا ، وأدى قادة الجهاد صلاة الجمعة مع السيد الرئيس السادات فى مسجد ميت أبو الكوم ، والقى خطبة الجمعة أحد المجاهدين الأفغان فأشاد بالدور الاسلامى البطولى لجمهورية مصر العربية وقائدها الرئيس السادات .

وتقدم الدكتور سيد نوفل الامين العام للجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية مجموعة من المسدسات والمدافع الرشاشة هدية من السيد الرئيس السادات الى قادة الجهاد الافغانى تعبيرا عن مساندة ودعم جمهورية مصر العربية للنضال الافغانى ماديا ومعنويا .

كما أعدت الأمانة العامة زيارة للقادة الأفغان الى كل من مصنع الحديد والصلب فى حلوان ، ورحلة نيلية الى القناطر الخيرية ، وزيارة للمصانع الحربية للصواريخ ، ولقاءا شعبيا بالجامع الأزهر . وزيارة لمدينة بور سعيد وخط بارليف بسيناء .

وقد تم فتح حساب لمكتب أفغانستان ببنك فيصل الاسلامى المصرى لتلقى التبرعات لصالح الشعب الافغانى حيث بلغت جملة التبرعات لصالح مجاهدى الشعب الافغانى أكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية ٠

وعقدت مصر المؤتمر الثانى للتضامن مع شعب افغانستان فى غرة ربيع الأول ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨١ فى جامعة الشعوب الاسلامية وبحضور الجمعية التأسيسية وقد تحدث فى هذا الاجتماع شيخ الجامع الأزهر وصدرت عنه الفتوى التالية « ان كل مسلم يتعاون مع الروس على أرض أفغانستان المسلمة فهو على درجة من الخيانة الدينية بمقدار ما تعاون معهم ، وكل حكومة تقوم هناك فتمكن لأقدام الروس فى أرض أفغانستان حكومة غير شرعية » ٠

وقد رحبت مصر فى بيان أصدرته وزارة الخارجية يوم الجمعة ١٩٩٢/٥/١ بقيام السلطة الشرعية فى أفغانستان وأبدت استعدادها للتعاون مع أشقائها لبناء أفغانستان الجديدة ٠

٣ ـ الكويت :

وتعد الكويت من الدول العربية التى ساندت قضية الشعب الافغانى رئيسا وحكومة وشعبا ، وسارعت بتقديم العون للمجاهدين ٠ وتقوم فى بيشاور جمعية الهلال الأحمر الكويتية بتقديم الاسعاف والعلاج للمهاجرين الأفغان ٠

ووقفت الكويت فى كل المؤتمرات التى اشتركت فيها وناقشت قضية أفغانستان بجانب أبناء أفغانستان فى مطالبتهم بحقوقهم المشروعة العادلة ٠

٤ ـ البحرين :

وقفت البحرين من القضية الأفغانية وأيدت كفاح شعبها العادل من أجل استرداد أرضه ، وكان هذا التأييد فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والمؤتمرات الاسلامية ٠ وكانت البحرين من أوائل الدول التى اعترفت بحكومة المجاهدين التى تشكلت من فصائل الجهاد فى بيشاور ٠ وقد وجه صبغة الله المجددى رئيس المجلس الحاكم المؤقت فى

كابول الجمعة أول مايو ١٩٩٢ الشكر لحكومة المملكة العربية السعودية ودولة البحرين ، ومصـر ، والكويت والسودان لدعم هذه الدول العربية ومواقفها المؤيدة لكفاح المجاهدين الأفغان ٠

نداء رابطة العالم الاسلامى لمجاهدى أفغانستان :

بعد الأحداث الأخيرة التى أدت الى المواجهة بين المجاهدين أتباع أحمد شـاه والقائد حكمتيار وجه الأمين العـام لرابطة العالم الاسلامى نداء للمجاهدين الأفغان دعاهم فيه الى التفاهم والتعاون والحكمة ٠

وأشـار الى أن الجهاد الأفغانى يكتنفه طوال هذه المسيرة المباركة تربصات الأعـداء الذين يحاولون بذر بذور الفتنـة دائما بين فصـائل وقادة المجاهدين الأفغان بغيـة اجهاضه وتفويت الفرصة أمام أية خطوة على الطريق الصحيح لاعاقة جنى الثمار الطيبة للجهاد ٠

وناشد الدكتور عبد الله نصيف مختلف فصـائل المجاهدين وقادتهم باسم الله الحـق الذى أمـر بالجهاد فحملوا السـلاح فى سبيل الله فى وجـه أعـداء الله من شيوعيين وملاحـدة أن يتحسبوا لهذه المرحـلة وحساسيتها ، وما تحتاجه من حكمـة وبعد نظـر ومزيد من التعـاون والتضحية والتشـاور والتنسيق لتكون مصلحة أفغانستان فوق كل اعتبار ٠

وأعرب عن ثقتـه فى قادة المجـاهدين وقدرتهم على تخطى هذه المرحلة بكل نجاح ليتحقق قول الحق تبارك وتعـالى : « **ولينصـرن الله من ينصـره ان الله لقـوى عـزيز** » ٠

بيـان منظمـة المؤتمـر الاسـلامى :

كما صدر بيان عن الدكتور حامد الغـابد الأمين العـام لمنظمـة المؤتمر الاسلامى عن أفغانستان قال فيه : « ان منظمة المؤتمر الاسلامى التى ساندت بكل قوة وثبات نضـال المجاهدين الأفغان العـادل ترحب بازالة نجيب الله عن السلطـة فى كابول وتشـارك المجاهدين الأفغـان فرحتهم بهذا الانتصـار الباهر ٠ وان تنحية نجيب الله تفسح الطـريق أمام استعادة السلم الى ربوع أفغانستان » ٠ وأضـاف : « وفى هذه اللحظة من الانتصـار الباهر فان منظمة المؤتمر الاسـلامى تحث قـادة المجاهدين الأفغان على توحيد صفوفهم ، والمسـاعدة فى تعزيز السلام والوئام بين أفـراد الشعب الأفغانى ٠

وأعرب الأمين العــام عن ثقته بأن قادة الشعب الأفغانى سيظهرون فى هذه الظروف الحــرجة قدرتهم على ادارة دفة الحكم من خــلال توخى الحكمة ووضع المصلحة الوطنية لأفغانستان فوق كل اعتبار ٠

وناشد الدكتور حامد الغــابد المجاهدين الأفغان ممارســة ضبط النفس ومعالجة الأمــور بمشاعر التراحم والاريحية وفقا لمــا نص عليه ديننا الحنيف وتعاليم الاســلام السمحة ٠ ويرى الأمين العــام انه يتعين بذل كل جهد ممكن للمحافظة على سيادة واستقلال افغانستان ووحــدته الوطنية والترابية ٠

كما يعــرب الأمين العــام عن أمــله فى أن تتم عملية نقل السلطة لادارة مؤقتــة دون عراقيل لتمكين الشعب الأفغانى من ممارســة حقــه بشكل فعــال فى تقرير المصــير ٠



الفصل الخامس

ماذا يجرى فى الجمهوريات الاسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتى السابق ؟

١ ـ حقيقـة الموقف وراء استمرار الحرب الأهليـة فى طاجكستـان ٠

٢ ـ حقيقة الصراع بين جمهوريتى الانجوش وجمهورية أوسيتـا ٠

٣ ـ انضمـام الجمهوريات الاسـلامية لمنظمـة التعـاون الاقتصـادى الاسـلامى ٠

٤ ـ اسرائيل تغـزو الجمهوريات الاسـلامية فى الاتحاد السوفيتى سـابقا ٠

١ ـ حقيقـة المـوقف

وراء استمرار الحرب الأهليـة فى طاجكستان

حقيقـة المـوقف
وراء استمرار الحرب الأهليـة فى طاجكستان

تعد جمهورية طاجكستان احدى الجمهوريات الاسلامية التى انفصلت عن الاتحاد السوفيتى فى آسيا الصغرى ، تحدها من الجنوب أفغانستان ومن الشمال اوزبكستان وقيرغستان ، وتحدها من جهة الشرق جمهورية الصـين الشعبية ، وتبلغ مسـاحتهـا ١٤٣٫٠٠٠ كم مربع ، وعاصمتها « دوشنبه » ، وعدد سكانها فى الوقت الحاضـر حوالى سبعة ملايين نسمة . وقد استقلت هذه الجمهورية عن الحكومة المركـزية فى موسكو مع مثيلاتها من جمهوريات الاتحاد السوفيتى عقب فشـل الانقلاب الذى حدث فى الثامن عشر من أغسطس ١٩٩١ م .

وعلى الرغم من الفقر الذى تعيش فيه هذه الجمهورية نجد لديها من الامكانيات ما يؤهلها لأن تكون واحدة من أقوى الجمهوريات اقتصاديا لكن ذلك لن يحـدث الا اذا استقر الوضـع السيـاسى المضطـرب فى الجمهـورية .

الصـراع بين الاسـلاميين والشيوعيين :

منذ انفصـال هذه الجمهورية عن الاتحاد السوفيتى والصـراعات على السلطـة بين الأحـزاب المختلفـة لم تتوقف خاصـة الصـراع بين الاسلاميين والشيوعيين وذلك بعد السماح بالعمل الحزبى .

وقد بدأت هذه الصراعات فى شهر سبتمبر من العام المـاضى ، وفى شهر مايو المـاضى تجددت المعارك ووصلت الى الالتحام العنيف بالأسلحـة والدبابات ممـا أدى الى مصـرع ٨٠٠ مسـلم حسب رواية الاسـلاميين أو مائة مسلم حسب رواية مراسلى وكالات الأنبـاء الذين تصـادف وجودهم عندما اندلعت تلك المعـركة التى استمرت ما يقرب من خمسـة أيام .

ويبدأ الصدام بين المسلمين والشيوعيين على هيئـة صـدام بين ثقافتين الثقافة الاسلامية والثقافة السوفيتية .

أما **الثقـافة الاسـلامية** فتتمثـل فى رفع تمـاثيل لينين من بعض الميـادين وهدمها وتغيير أسماء هذه الميادين ، حدث ذلك فى العاصمة

فقد تغير اسم ميدان لينين الى ميدان (أزاد) وتم هدم تمثال لينين الذى كان أول التماثيل التى أقيمت فى الجمهوريات الاسلامية ٠

واحتفلت طاجكستان هذا العام بالذكرى السنوية الأولى لاعلان استقلالها عن موسكو بازاحة الستار عن تمثال برونزى ضخم للشاعر الفارسى « الفردوسى » بميدان الحرية بالعاصمة « دوشنبه » حيث كان ينتصب يوما تمثال لينين ٠

ويجسد التمثال المهيب للشاعر الملتحى بارتفاعه البالغ ثمانية أمتار والشعلة المضيئة التى يحملها فى يده اليسرى عودة طاجكستان الى جذورها الاسلامية التقليدية بعد ٧٠ عاما من الحكم الشيوعى ٠

ومن المظاهر الاسلامية التى يراها الزائر لطاجكستان ارتداء سائقى سيارات الأجرة قبعات خضراء موشاة بزخارف اسلامية ، وتشغيلهم أشرطة موسيقى فارسية ، واكتظاظ الأسواق بكبار السن الملتحين المعممين الذين يبيعون كل شىء من البطاطا وحتى اللؤلؤ والحرير ٠

ان التأثير الاسلامى يمكن أن يراه الزائر لطاجكستان ليس فقط فى ملبس الناس ولكن فى الحاق أبنائهم للدراسة فى الفصول الاسلامية الملحقة بالمساجد ، حيث يدرس الآن نحو ١٤٠ طالبا فى الفصول الاسلامية الملحقة بجامع « دوشنبه » كما يراه فى المساجد الكثيرة التى تم بناؤها أو ترميمها وفتحها فقد تمكن المسلمون من بناء ١٢٨ جامعا كبيرا ، وبناء ما يزيد على ٢٠٨٧٠ مصلى أو زاوية ٠

ولكننا من جانب آخر نجد التمسك بالثقافة السوفيتية والمحافظة عليها والدفاع عنها والموت دونها ومن أمثلة ذلك أننا نجد فوق مجلس السوفيت الأعلى وهو البرلمان العلم الوطنى بألوانه الأحمر والأبيض والأخضر لا يزال مرفوعا يحمل شعار المنجل والمطرقة الذى تخلت عنه كل الجمهوريات السوفيتية الأخرى منذ أن تفتت الاتحاد السوفيتى فى العام الماضى ٠

ولا تزال تماثيل لينين تنتصب فى بعض الميادين والحدائق العامة وقد اكتسبت ملامحه سمات شرقية خفيفة كما لو كانت تقرب بين شعب طاجكستان المنتمى الى آسيا الوسطى ، وحكامه السلاف السابقين ٠

ومما يدل على قوة التاثير الشيوعى واستمراره اجتماع أعضاء البرلمان الشيوعيين والذين يشكلون ٩٥٪ من أعضائه فى دورة طارئة يرغمون فيها اصلانوف الذى اتخذ قرار ازالة تماثيل لينين على الاستقالة من منصبه واحالته هو ومحافظ المدينة الى المحاكمة ، والغاء قرار الحظر على نشاط الحزب الشيوعى ووقف نشاط حزب النهضة الاسلامية ، واعادة تنصيب تمثال لينين مجددا على نفقة هادميه .

ويخشى بعض المحللين الغربيين أن تميل طاجكستان التى تعد من أفقر الجمهوريات السوفيتية السابقة وأشد محافظة نحو الأصولية الاسلامية على النمط الايرانى وخاصة بعد تنحية بنييف . ويثير هذا الاحتمال قلق بعض المعتدلين من السكان الطاجيك خاصة بعد الاشاعات التى أثارها الشيوعيون من أن الأصوليين المسلمين سيغلقون محلات الديسكو ، وسيرغمون النساء على ارتداء الحجاب ، كما اتهموهم بأنهم صرفوا التبرعات التى يتلقونها من الجماهير فى شراء ٤٠ ألف حجاب ونقاب من احدى البلاد العربية .

ومما يدل على أثر هذه الاشاعات وتأثيرها قول امرأة مسلمة طاجيكية متعلمة لمندوب رويتر بنصف ابتسامة : « عد الينا مرة أخرى بعد عام وستجدنا جميعا نرتدى النقاب » .

وتروى رويتر قول تاجر شاب فى العشرينات من عمره : « اذا حاولوا فرض جمهورية اسلامية هنا فستنشب حرب أسوأ مما فى أفغانستان » .

الحركة الاسلامية :

توجد فى طاجكستان حركة اسلامية قوية مؤثرة وفعالة ، وهناك آلاف من الشباب المسلمين يأتمرون بأوامر هذه الحركة ومستعدون للتضحية فى سبيل انتصار الحركة الاسلامية .

وقد أثبتت الأحداث التى حدثت سواء فى سبتمبر من العام الماضى أو مايو من العام الحالى جرأة الاسلاميين واستعدادهم للتضحية فى سبيل قضيتهم ، وقد أدى ذلك الى مكاسب واسعة أبرزها الاعتراف بحزب النهضة الاسلامى كحزب سياسى مشروع ، وثانى هذه المكاسب ما تمخضت عنه أحداث مايو الماضى فقد تم تشكيل حكومة جديدة تضم ثمانية وزراء من حزب النهضة الاسلامى ، وثالث هذه المكاسب كان

تحديد ديسمبر القـادم موعـدا للانتخابات البرلمـانية والذى يتم على ضوئه تشكيل حكومة جديدة ، ويملك حزب النهضـة الاسلامى أسهمـا جديدة فى هذه الانتخابات اعتمادا على شعبيته العريضة ٠

ويدعم موقف الحـركة الاسلامية تأسيس « جبهة النجاة الوطنية » فى « دوشنبيه » عاصمة طاجكستان ، وتضم الجبهـة التى تمثل تكتل قوى المعارضة حزب النهضـة الاسلامى ، والحزب الديمقراطى ، والحزب القومى الاجتماعى ٠ وقد جـاء تأسيس هذه الجبهـة كرد فعـل على الجـرائم المتزايدة فى حق الاسلاميين ، ولانقاذ البـلاد من التدهـور ولسد الطريق على الشيوعيين الراغبين فى العودة الى السلطة من جديد٠

ان جميع هذه الأحزاب المتحالفة متقاربة فيما بينها فى الأهداف وتقوم سياستها على ارسـاء دعائم الدولة الديمقراطية ، والقضـاء على الشيوعية ، والمساواة بين جميع القوميات ، واطلاق حـرية العبـادة ، وتنمية اقتصـاد الدولة الفقير ، ودعم التعليم الدينى ، واستعادة جذور الثقافة الأصيلة لشعب طاجكستان ٠

ان العنصـر الرئيسى الذى تميزت به أحداث طاجكستان هو نجاح القـوى ذات الاتجـاه الاسـلامى فى استقطاب الشعب حولهـا وجمـع صفوفه لاسقاط الشيوعية فى بلده ٠

لقد تحرك الاسلام فى طاجكستان لمـلء الفـراغ الذى خلفه انهيار الأيدلوجية الشيوعية ونتج عن ذلك مطـالبة الاسـلاميين بالعـودة الى استخدام الأبجدية العـربية التى كان الطاجيك يكتبون بها قبـل فـرض الروس عليهم الكتابة بالحرف الروسى « الكيريلى » عام ١٩٣٩ م ٠

وعلى الرغـم من أن غالبيـة السـكان من الطاجيك لكن القـادة الفعليـين من الروس وهم يمثـلون العقـل البشـرى المـاهر والمتعـلم والمتخصص والذى يقوم بادارة البلاد وتصريف شئونها ويدرك الاسلاميون ذلك ، لذلك ينادون بضـرورة تعلم المسلمين أولا قبل المطالبة بالحكم ٠ ويقول بعض الزعماء المسلمين هناك : « ان المـرأة التى طالب البعض بأن نسـارع بفرض الحجاب عليها لا تعرف عن الدين شيئا ، ولا تعرف سـوى أنها مسلمـة ، ومن ثم لابد أن نربى شخصيتها الاسلامية أولا » ٠

ويرى هؤلاء أن أولويات المسلمين تنحصـر فى اعادة بنـاء ذلك الانسـان الجديد بمناهج تربوية اسـلامية ولا يمكن انجاز ذلك خـلال

فترة أقـل من ٢٠ عاما لأن هذه الفترة هى الحد الأدنى لبنـاء جيـل جـديد .

ويرى هؤلاء أن الظروف المحيطـة لا تسمح بقيام حكم اسـلامى أصـولى لأن اقتصـاد البلاد مرتبط بروسيا بنسبة ٩٠٪ وتحتاج البـلاد سنويا الى مليون و ٣٠٠ الف طن من القمح الروسى . وقد يؤدى قيام حكومة اسلامية الى حصـار اقتصادى .

الحـــركة الشيوعيـة :

تعد طاجكستان معقـلا من معـاقل الشيوعية فحتى بعد سقـوط الشيوعية فى موسـكو بعد الثورة الفاشـلة التى قامت ضد جورباتشوف وجدنا فى طاجكستان من ظل يتمسـك بالمبـادىء الشيوعية ويرى فيها الخير والرشاد . كما تعد طاجكستان مرتعـا ليس فقط للحكم الشيوعى وانما أيضـا للنظام الادارى البيروقراطى القديم الذى أدى فى المقـابل الى اشتداد النزعة الأصولية فى حركة النهضة الاسلامية .

ومن مظاهر سيطرة الشيوعية فى طاجكستان سيطرة الشيوعيين على البرلمـان .

ومن الأمـور الملفتـة للنظر أن القيـادة الشيوعية فى طاجكستان حظيت بتاييد غير متوقع من جورباتشوف ابان حكمه فقد أعلن قبـل تنحيته عن السلطة فى تصـريح قال فيه : « أن قـرارات عدة اتخذت فى طاجكستان فى صـورة غير دستورية منهـا حظـر نشـاط الحـزب الشيوعى ، وازالة تماثيل لينين » .

ومن العجيب أن هذه القيـادة الشيوعية فى طاجكستان التى تعصب لهـا جورباتشوف أيدت الانقـلابين الشيوعيين فى موسكو فى أغسطس ١٩٩٠ ضد جورباتشوف .

وبذلك يتضح أن استبقاء الشيوعية فى طاجكستان وبقية الجمهوريات الاسلامين هدف تبذل من أجله الجهود . ويؤكد هذا ما أعلنـه رئيس الحزب الديمقراطى فى طاجكستان من أن الهدف الأسـاسى للانقلابين هو جعـل طاجكستان واحة شيوعية فى الاتحاد السوفيتى بعد انتهـاء الحكم الشيوعى فى جميع الجمهوريات ، ومنع التحولات الديمقراطية ، ومقـاومة المد الاسلامى .

ومما يدل على قوة الحــزب الشيوعى فى طاجكستان فى فترة من الفترات طلب أعضائه الشيوعيين انعقــاد البرلمــان ، واعــلان حــالة الطوارىء فى البلاد ، ووقف نشــاط حزب النهضــة الاسلامية ، ورفض طلب المعارضة البحث فى حل لجنــة الاشراف على الاذاعة والتلفــاز ، كما رفض البرلمــان حظر أنشطة الحزب الشيوعى • والبرلمــان بسلطة الشيوعيين هو الذى عين رحمن نبييف رئيس البرلمــان رئيسا للجمهورية وهو من الحرس الشيوعى القديم رغم كره الاسلاميين له •

وللحــركة الشيوعية مؤيدون فى جميع أنحــاء البــلاد يقــدرون بحوالى ١٠٠٠٠٠ر١٠٠ عضــو وهؤلاء يقودون حــرب الاغتيالات واختطاف العناصر النشطة والقيــادية فى الحزب الاسلامى • وقد بلغت هذه الأفعال ذروتها باغتيال رئيس فــرع حزب النهضة الاسلامى فى مدينة «وحش» •

ومن الواضح أن المؤامرة على الوجود الاســلامى والصحوة الاسلامية فى آسيا الوسطى ما زالت مستمرة وبشكل قوى • وما يحدث فى طاجكستان ليس ســوى رسالة موجهة الى الاسلاميين فى كل المنطقة خاصة جمهورية أوزبكستان المجــاورة التى تشهد مدا اسلاميا متميزا •

وطاجكستان هى الجمهــورية الوحيــدة من جمهوريات الاتحــاد السوفيتى التى يتحكم فيها الشيوعيون فى ولايتين كاملتين هما كويلاب، وخوقند • والولاية الثانية تقع شمال طاجكستان وهى مسقط رأس نبييف•

والشيوعيون فى خوقنى مستعدون أن يعمــلوا أى شىء كى يبقى الحــزب الشيوعى على رأس السلطة فى طاجكستان • وقد يصل التهور بهم الى اعــلان الانفصــال وتشكيل دولة خوقند المستقلة ، ولهذا السبب الأخير لم تشتمــل مطــالب الاســلاميين فى مــايو المــاضى على اسم عبد الرحمن نبييف ضمن الأسماء الشيوعية التى طالبوا باقالتها •

وقد وزعت الحكومة الشيوعية قبــل مايو المــاضى الأسلحــة على أنصــارها الشيوعيين وكونت بذلك ميليشيات شيوعية مسلحــة أكثرها يتمركز فى ولاية كويلاب ، وهذه المليشيات تتدخل عندما تحس بالخطر على السلطــة الشيوعية •

تطــور الأحـداث :

بعد استقلال جمهورية طاجكستان عن الاتحاد السوفيتى بعد أحداث أغسطس ١٩٩٠ أصدر رئيس الجمهورية (قدر الدين صلانوف) قرارا بحظــر أنشطة الحزب الشيوعى ورفع تماثيل لينين لكن البرلمـان الذى يسيطر عليــه النواب الشيوعيين اجتمع وأقال قدر الدين صلانوف وعين (رحمن نبييف) ٠

وفى شهر أبريل ١٩٩٢ ثارت المعــارضة على حكومة البلاد الشيوعية وطالبت بسقوط رئيس الدولة رحمن نبييف الذى لجـأ الى مقر جهــاز أمن الدولة السوفيتى الســابق فى البــلاد (كى ، جى ، بى) ٠ وقد حدثت عدة اشتباكات بين قوات المعارضة وقوات وزارة الداخليــة أدت الى سقوط عدد من القتــلى ٠ ولم يقتصــر التوتر على مدينة دوشنبه العاصمة بل وجدنا أنصــار نبييف بمسقط رأسه فى مدينة لينين يهددون باعــلان الاستقلال عن بقيــة أنحاء طاجكستان اذا تم اقصاء زعيمهم ٠ وقد اكتفى المعارضون فى ذلك الوقت بتقديم الحكومة لاستقالتها وتشكيل حكومة وطنيــة مع بقاء رئيس الجمهورية ٠

ولكن فى تطــور لاحق تطالب الحكومة والمعارضة رئيس الجمهورية بالاستقالة بسبب اخفاقه فى منع وقوع الصدامات التى أدت الى عشرات من القتلى ، ثم تقبض المعارضة عليه وتحتجزه عند محاولته الهرب من دوشــانبيه ٠ وفى ٧ من سبتمبر ١٩٩٢ أجبر نبييف على الاستقالة بعد أن حوصر ثلاث ساعات داخل قاعة كبار الزوار بالمطار ٠

وعقب هذه الاستقالة التى أجبر عليهــا نبييف بدأت الحرب الأهلية بين أنصــار نبييف وأحزاب المعارضة وخصومه ٠

وفى الأسبوع الأخــير من شهــر أكتوبر ١٩٩٢ شهـدت طاجكستان اشتباكات عنيفــة بين مؤيدى نبييف المخــلوع والقــوات الموالــية لأكبر شواسكندروف القــائم بأعمال الرئاسة ٠

ويستعد رئيس طاجكستان المخــلوع للعــودة الى الحكم بعــد أن اقتحم أنصــاره البرلمــان وقصــر الرئاسة والمرافق الرئيسية الحكومية فى العــاصمة دوشنبيه ٠

الحـــرب الأهليـة :

بدأت هذه الحـرب فى أوائل مايو ١٩٩٢ عندما جاءت المليشيات الشيوعية المسلحة من ولايتى كويلاب وخوقند واقتتلت فى دوشنبيه مع المليشيـات المسلمـة ، واستخدمت المليشيات الدبابات التى تمتلـكها ٠ ولم تحسم المعركة حتى الآن لصـالح أى من الطرفين المتصارعين ٠

وقد أدت المعـارك التى اندلعت فى جنوب طاجكستان بين معارضى نبييف ومناصريه الى وقوع أكثر من عشرة آلاف قتيـل ٠

كما سقط قتلى عندما استولى أنصـار نبييف على البرلمـان وقصر الرئاسة وقد استمرت المعـركة بين الطرفين ١٢ ساعة شنت خلالها القوات الحكومية هجوما لاستعـادة المبنى ، ونتج عن ذلك تدمير البرلمـان ، ومركز الاعلام ، والاتصالات ٠

وبعد يومين من الاشتباكات الشـرسة بين القوات الحكومية ومؤيدى الرئيس السـابق رحمن نبييف وصلت الأطراف المتنـازعة الى اتفـاق يقضى بانسحـاب أنصـار الرئيس السـابق من مبنى وزارة الداخليـــة بلا أسلحة وعقد جلسـة طارئة للبرلمـان وبذلك يكون الانقلاب الذى قام به الشيوعيون فشـل كما فر قسم من الكولياببين وألقى القبض على قسم آخـر منهم ٠ وبسطت القوات الحكومية سيطرتها كاملة على دوشنبيه ٠ وفرضت حظر التجول فيهـا ٠

وقـد أرسـل أكبر شواسكندروف القـائم بعمـل رئيس طاجكستان طلبـا الى الأمم المتحدة للحصول على مساعدتها لحفظ السـلام ووقف القتـال المستمر فى طاجكستان ٠

ان الحــرب الأهلية المشتعلة فى طاجكستان ليست فقط صراعا بين مسلمين وشيوعيين ولكنها اتخذت طابعا عرقيا فالطاجيك يهدفون الى طرد الأوزبك والتركمان من المناطق الجنوبية ٠ ويؤكد هذا اشتداد الصراع فى بلدة كورجان تيوبى (كورنمان شيويه) الواقعـة على بعد ٨٠ كيلو مترا جنوبى العاصمة فقد لقى فى هذه البلدة عشـرات الأشخاص مصرعهم منهم رئيس الشـرطة و ١٣ شـرطيا ، ونتـج عن ذلك هجـر أكثر من ٣٠ ألف من سكان المدينة الذين يتجاوز عـددهم ٨٠ ألفـا ويشترك فى هذه الحـرب أيضـا المسلمون والشيوعيون الذين تتدفق عليهم كميـات

من الأسلحة تأتى معظمها من القواعد العسكرية الروسية فى المنطقة سواء عن طريق الشــراء أو التهريب ٠

ان كل المحاولات التى بذلت من أجـل اخماد نيران القتــال فى طاجكستان حتى الآن باءت بالفشــل ٠ وتشــير الدلائل الى ضــلوع موسكو فى مؤامرة تستهدف زعزعة استقرار طاجكستان المسلمة حيث قررت ارسال قوات عسكرية الى حدود طاجكستان ـ أفغانستان بدعوى أن الأفغــان يهربون كميــات من الأسلحــة الى طاجكستان وأن المجاهدين الأفغــان يثيرون اضطرابات داخليــة فى طاجكستان بهدف اقامة دولة اســلامية هنــاك ٠



٢ ـ حقيقة الصراع
بين جمهورية الأنجوش وجمهورية أوسيتا

حقيقـــة الصـــراع
بين جمهورية الانجوش وجمهورية أوسيتا

جغـــرافية المنطقـــة :

بدأت جمهورية الانجوش تظهر كجزء من جمهورية التشتشان التى كان يطلق عليها فى بادىء الامر اسم « جمهورية التشتشينو ـ اينغوش الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتى » .

وجمهـــورية تشتشينو ـ اينغوش أو تشتشينيا انجوشيا كما يحـــلو للبعض أن يسميها جمهورية صغيرة تتمتع بالحكم الذاتى ، وتقع شمال جورجيا بين بحـــر قزوين ، والبحـــر الأسود ، وهى جـــزء من روسيا منذ غزتها روسيا القيصرية عام ١٨٥٩ م . ومعظم سكانها من المسلمين السنة . والأصـــل أن الأنجوش والشاشان شعب واحد من جد واحد ولغتهم واحدة ، وفى سنة ١٩٣٦ م كانوا جمهورية واحدة لها دستورها المستقل ، وكانت أراضيهم ضعف أراضيهم الحـــالية .

وتغطى أراضى هذه الجمهورية مساحة ١٩٣٠٠ كيلو متر مربع ، وكان عـــدد سكانها فى عـــام ١٩٧٩ م ١١٥٥٠٠٠ نسمـــة ، وعدد سكان عاصمتها غروزينى ٣٧٥ر٠٠٠ نسمة معظمهم كان من الروس .

ويمثـــل المسلمون الأصليون (التشتشين والاينغوش) والأجانب الداغستانيون ٦٦ر٥٪ من مجموع السكان الموزعين كما ورد فى احصاء ١٩٧٩ م على النحـــو التـــالى : تشتشين : ٦١١٠٠٠ نسمة ، اينغوش : ١٣٥٠٠٠ نسمة ، داغستانيون : ٢٢٠٠٠ نسمة .

ولم يكن يمثـــل المسلمون فى عام ١٩٨٠ م ســـوى نسبة ٦١٪ من العدد الكلى لسكان الجمهورية ، ولكن خلال العقدين الأخيرين أخـــذت تتناقص الأهميـــة النسبية للعنصـــر الروسى بسبب العـــداء بينهم وبين السكان الأصليين من المسلمين . وكان الروس يشكلون فى عام ١٩٥٩ م نسبة ٤٩٪ من سكان الجمهورية ، لكن هذه النسبة هبطت فى عام ١٩٧٠م الى ٣٤ر٥٪ ، والى ٢٠٪ فقط فى عام ١٩٧٩ م . وبينما كان عدد السكان الروس فى الجمهورية ٣٦٧ر٠٠٠ شخص فى ١٩٧٠ م نزل هذا العـــدد الى ٣٣٦ر٠٠٠ روسى فى عام ١٩٧٩ م ، الأمـــر الذى يعنى أنهـــم مع

غيرهم من غير المسلمين يغادرون الجمهورية التى تحولت أكثر فأكثر الى بلد اسلامى أصيل السكان .

لقد بلغ عدد التشتشين فى كل أراضى الاتحاد السوفيتى ٧٥٥٨٠٠ نسمة فى عام ١٩٧٩ مقابل ٦١٢٠٠٠ فى عام ١٩٧٠ م و ٤١٨٠٠٠ فى عام ١٩٥٩ م .

ويبدو من هذه الأرقام أن نموهم الديموغرافى من أسرع معدلات النمو التى سجلها مسلمو القفقاس . ويعيش ٨١٪ من تشتشين الاتحاد السوفيتى فوق ترابهم الوطنى ، أما الـ ١٩٪ الباقون فيعيشون موزعين بين الأقاليم المجاورة (الداغستان ، وأوسيتيا الشمالية ، وآسيا الوسطى) حيث نمت وتكاثرت عائلاتهم .

أما **الاينغوش** فهم أقل عددا من التشتشين ، وبلغوا بموجب احصاء ١٩٧٩ م ١٦٨٠٠٠ر نسمة مقابل ١٥٧ر٠٠٠ نسمة فى ١٩٧٠ م و ١٠٥ر٠٠٠ فى ١٩٥٩ م . ويماثل نموهم السكانى نمو اخوانهم التشتشين .

وفى سنة ١٩٧٩ م كان ١٣٥ر٠٠٠ اينغوشى (أى ٧٢٪) يقطنون أرضهم القومية ، ولا يعلم عدد الاينغوش الذين ظلوا فى آسيا الوسطى ولم يرجعوا الى بلادهم بعد اعادة الاعتبار اليهم ، ولكن يقدر أنه مرتفع نسبيا .

والتشتشين والاينغوش فى غالبيتهم من الفلاحين الذين يهتمون بتربية الماشية . وتبلغ فى سنة ١٩٧٠ م نسبة الذين يسكنون المدن من التشتشين أقل من ٢٠٪ ، ومن الاينغوش أكثر من ٣٠٪ بقليل ، أى حوالى ٩٠ر٠٠٠ تشتشانى و ٣٥ر٠٠٠ اينغوشى ، معظمهم من شغيلة المعامل البتروكيميائية فى غروزينى .

وعلى الرغم من نفى التشتشين والاينغوش الى سيبريا ، وكازخستان مدة دامت خمسة عشر عاما لكنهم لم يتأثروا إلا قليلا جدا بعملية الهضم الثقافى من قبل الروس والقزح ، وظلت لغتهم الأم ثابتة لم تتغير . لذلك عندما عادوا من المنفى الى موطنهم أظهروا هويتهم الاسلامية ، وتمسكهم بتقاليدهم ونظامهم العشائرى .

تاريــخ المنطقـــة :

دخل الاسلام الى منطقة الشـاشان ـ اينغوش فى القـرن الثامن عشـر الميلادى (الثانى عشر الهجـرى) على يد الدعـاة الى الله من الصوفية ٠ وعلى مر العصـور يستولى القياصرة فى القرن التاسع عشـر الميلادى (١٨٥٠ م) أى الثالث عشر الهجرى (١٢٦٧ هـ) على البلاد ٠

ولم تنجح سياسـة روسيا القيصـرية فى تنصـير السكان المسلمين ولكن سياستها التنصـيرية ان كانت فشلت فشلا ذريعا فى هذه المنطقـة لكنها نجحت فى أوسيتيا المنطقة المجـاورة لها ٠

وعنـدما استولت قوات لينين فى نوفمبر ١٩٢٢ م على القوقاس بما فيه أرض الشـاشان وجعلها مقاطعة ذات حكم ذاتى ٠ ويحـول فى يوليــه ١٩٢٤ م منطقة الاينغوش أيضـا مقاطعة ذات حكم ذاتى ٠ وفى ١٥ من يناير سنة ١٩٣٤ م يقوم بدمج المنطقتين ٠ وفى ٥ من ديسمبر ١٩٣٦ م يعطيها اسم جمهورية ذات حكم ذاتى ٠ ولكنه عندما غضب على سكان هذه المنطقة أصدر أوامـره فى ٢٣ من فبراير سنة ١٩٤٤ م بنفى كل السكان الى سيبيريا ، وآسيا الوسطى ، وألغى جمهوريتهم ٠ وفى ٣ من مارس سنة ١٩٤٤ م وزع أراضى الجمهورية على جمهورية روسيا الاشـتراكية الفدراليـة السـوفيتية ، وجمهـورية جيـورجيا الاشتراكية السوفيتية ، والى أوسيتيا الشمالية ٠

ويذكـر التاريخ أن عشرات الألوف من شعب التشتشان والاينجوش ماتوا فى الطريق بسبب ثلوج سيبيريا ، فى رحلة الموت التى أجبرهم ستالين على القيـام بها ٠

وقد أدان مجلس السوفيت الأعلى قـرار ستالين ووصفه بأنه أبشع ما شهدته البشـرية ، وأصدر قـرارا بالغـاء قرار ستالين وسمح لشعب الشاشان والاينغوش بالعودة الى وطنه فى عام ١٩٥٧ م ، لكنهم وجدوا بعد عودتهم أن جميـع مساجدهم مهدمة وأن قسما كبيرا من أرضهم ضم الى جمهورية أوسيتيا الشمالية ٠

الاستقـلال عن روسيا :

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى تنتخب جمهورية تشتشينيا ـ انغوش الجنرال جوهر دودابيف رئيسـا للبـلاد وتعلن الاستقلال عن جمهـورية روسيا ، أسـوة بما قامت به الجمهوريات الأخرى .

ولكن يلتسين يرفض هذا الاستقلال ويعلن حالة الطوارىء ويجتمع برلمـان روسيا ويصدر قـرارا بالغـاء حالة الطوارىء التى أعلنها يلتسين فى الجمهورية الصغيرة ، ويواجه يلتسين نفس الموقف المهين الذى واجهه جورباتشوف حين أعلنت جمهوريات البلطيق الثلاث استقلالها فاضطر الى سحب قواته خاصـة وأن يلتسـين كان قد أرسـل قوات روسية الى مطار العاصمـة (جروزنى) ، ولكن القوات المحليـة حاصرت قوات يلتسـن .

ويرفض الجنرال دودابيف الاجتماع الى الوفد الروسى الذى بعث به يلتسـين الا بعد اعتراف روسيا باستقلال بلاده ، ويهـدد دودابيف روسيا بأنهـا اذا حاولت فرض ضغوط اقتصـادية على جمهوريته فانه سوف يغلق حـدود جمهوريته مع روسيا ، وسـوف تتأثر روسيا سلبـا أكثر من تأثره هو وجمهوريته بذلك .

ومن المعـروف أن جمهورية الشـاشان والانجوش تعد جمهـورية نفطيـة وهى حلقـة وصـل رئيسية بين روسيا والجمهوريات الشمـالية بما فى ذلك جمهورية أذربيجان النفطية .

ولتقليل الخسـائر قامت جمهورية الشـاشان والانجوش فى ذلك الوقت بتوقيع عقود مع الأردن وتركيـا التى ينحـدر رئيس وزرائهـا السـابق من الشاشان ويتردد من حين الى آخر على الجمهورية .

وبعد أن حل الجنرال دودابيف البرلمـان وتولى السلطة باسم المؤتمر الوطنى ، عادت روسيا فطالبته باعادة البرلمان واتهمت زعماء الجمهورية باثارة الاضطـرابات وأعلنت أن انتخابات ٢٠ من أكتوبر ١٩٩١ غير شرعية . وتزداد ضغوط روسيا بقيـادة يلتسين على الجمهورية الوليدة .

وفى محاولة لاحتجاج بعض أبنـاء الجمهورية الوليدة يقوم بعض السكان باختطاف طائرة توبوليف ١٥٤ تابعـة لشركة الخطوط السوفيتية

(ايروفلوت) ويجبروها على الهبوط فى مدينة جروزنى عاصمة تشتشينيا اينجوشيا احتجاجا على رفض الحكومة الروسية الاعتراف باستقلالهم .

وأمام هذا الصـراع قام الجنرال دودابيف صباح ١٩٩١/١١/٩ م بتوجيه نداء الى جميـع الشعوب الاسلامية طالبا المساعدة لمواجهة حالة الطوارىء التى أعلنها يلتسين . وعلى الفور يتصـل به زياد جامسـا خورديا رئيس جمهورية جورجيا فى ذلك الوقت عارضـا المسـاعدة ، كما اتصـل به رئيس وزراء داجستان ذات الحـكم الذاتى ، وتعـرض عليه أيضـا المساعدة تتارستان كبرى الجمهوريات ذات الحكم الذاتى مع تأييدها لموقف جمهوريته ، وبدأ الحديث عن قيـام اتحاد لشعوب شمال القوقاز والاستقلال عن روسيا .

تفرق جمهورية الشاشان والانجوش الى جمهوريتين :

بعد استقلال جمهورية الشاشان انجوش عن روسيا بدأ الانجوش بالمطالبة باستعادة أرضهم الواقعـة فى اقليم أوسيتيا الشمـالية والتى طردوا منهـا فى عام ١٩٥٣ م . ولكن السلطـات الأوسيتية لم تستجب لمطلبهـم .

ويطمح الانجوش فى استعادة الاقليم الحدودى مع أوسيتيا الشمالية كما يطمحون فى الاستيلاء على نصف فلاديكافكاز التى تعد حاليا عاصمة أوسيتيا الشمـالية .

ويذكـر عيسى كودزييف زعيـم الانجوش وشـاعرهم أن بوريس يلتسن غـرر به ابان زيارته للمنطقة حيث وعده باستعادة القرى السليبة الى الانجوش .

وقال : « كان شعب الانجوش يعقد آمالا عراضـا على يلتسن مما حدا بهم الى دعمـه فى الانتخابات الرئاسية السـابقة حيث صوتوا الى جانبه بنسبة ٩٩٫٧٪ » .

ثم يطلب يلتسن من الانجوش الانفصـال عن جمهورية الشيشـان مقابل أن يعيد اليهم أراضيهم . وقد انفصلوا فعـلا الا أن يلتسن لم يف بوعده لهم رغم مطالباتهم العديدة ثم يعود فيطلب منهم ارجاء بحث وعده لهم الى خمس سنوات أخـرى .

ويستمر الانجوش فى المطـالبة بأرضهم المغتصبة بعد أن خدعوا وبعد أن تبين لهم أن يلتسن لم يف بوعده الذى قطعـه لهم الا أن أوسيتيا الشمالية ترفض اعـادة الأرض اليهم ٠

بـدء القتـــال :

وتبدأ المعـارك بين جمهورية الانجوش الاسلامية المطالبة باستعادة أراضيها المغتصبة وبين جمهورية أوسيتيا الشمالية التى ترفض اعـادة الأرض اليها وذلك فى ٣١ من أكتوبر ١٩٩٢ م ٠ وتدخل القوات الروسية بأمـر من يلتسـن الى الجمهوريتين المتنـازعتين بعد أن أعلن حـالة الطوارىء ٠ وتشن القوات الأوسيتية تسـاندها قوات روسيا الاتحـادية هجوما ضد جمهورية انجوش الاسـلامية المستقلة فى محاولة لجرها الى القتـال لتهيئة الظروف لمهاجمتها على نطاق واسع ٠

وبعد أن نجح الانجوش فى تحـرير منطقة (بريجو رودنى) التى ألحقت فى عهد ستالين بجمهورية أوسيتيا عام ١٩٤٤ يعود المتطرفون الأوسيتنيون بهجماتهم المستمرة رغبـة فى الاستيلاء على المنطقة وطرد الانجوش منها ٠ ويستعملون فى قتـالهم الأسلحة الثقيـلة التى تزودهم بها قوات روسيا الاتحادية ٠ وقد أفادت الأنبـاء أن ضحايا المسلمـين تعد بعشـرات الآلاف ٠

وتدخل القوات الروسية يوم الثـلاثاء ١٠ من نوفمبر ١٩٩٢ الى جمهورية انجوشيا ٠ ويعلن يلتسن حـالة الطوارىء لمدة شهر ٠ ولم تكتف القوات الروسية بدخولها انجوشيا انما دخلت الى جمهورية الشاشان ، لكن رئيس الشاشان جوهر دودابيف يعلن حـالة الطوارىء ويهدد باعلان الحرب مما اضطر القوات الروسية الى الانسحاب على الفور ٠

ان الكابوس المـروع الذى يجثم على صدر الروس هو خوفهم من مطالبة بقيـة الجمهوريات ذات الحكم الذاتى الثلاثين داخل الاتحـاد الروسى بالاستقلال أسـوة بما حدث فى الشاشان وانجوشيا ٠ ولا شـك أن هذا لو حدث سيتفكك الاتحاد الروسى فيما يعـرف بنظرية (الدومينو) وانسـلاخ بقية الجمهوريات عنـه ٠



٣ ـ انضمام الجمهوريات الاسـلامية لمنظمة التعاون الاقتصادى الاسلامى

ست جمهوريات اسلامية انضمت لمنظمة التعاون الاقتصادى الاسلامى (ايكو) في اجتماعها بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٩٢ م

تعـــريف بالمنظمـة :

تعد منظمـــة التعاون الاقتصادى الاسلامى (ايكو) من المنظمات الاقتصادية القديمة التى نشـأت فى آسيا فقد تأسست قبـل ٢١ عـاما من جانب ايران ، وباكستان ، وتركيا تحت اسم منظمـة التعاون الاقليمى للتنمية ، وكان ذلك عام ١٩٦٥ فى عهد شـاه ايران ، ثم حلهـا الامام الخمينى عام ١٩٧٩ بعد أن وصفها بأنها أداة أمريكية ثم أعادها الرئيس هاشمى رفنسجانى . وتحـاول ايران احيـاء المنظمة وفق مسار جديد عن طريق ادخـال دول آسيا الوسطى .

وسبق اجتمـاع قمـة المنظمـة فى ايران فى الفترة من ١٦ ـ ١٧ فبراير ١٩٩٢ توقيع ممثلى الجمهوريات الاسلامية (السوفيتية) الست فى طهران فى ١١ من فبراير ١٩٩٢ على اتفاقيات الانتساب الى المنظمة .

وفى اجتماع المنظمـة الأخير الذى عقد فى اسلام أباد بتاريخ ٢٨ من نوفمبر ١٩٩٢ م أدخـل وزراء خارجية الدول المؤسسة للمنظمة حكمت جيتين (تركيـا) ، وعلى أكبـر ولايتى (ايران) وصـديق كانجو (باكستان) تعديلات على معـاهدة أزمير التأسيسية وقبلوا عضـوية الجمهوريات الاسـلامية ، أوزبكستان ، وتركمنستان ، وقرغيزستان ، وكازاخستان ، وأذربيجان ، وطاجكستان كما قبلوا عضوية أفغانستان ، ووقع وزراء خارجية هذه الدول المعـاهدة المعدلة مؤسسين بذلك أكبـر تجمع اقتصادى بعد السوق الأوربية المشتركة .

وبقبـول دول آسيا الوسطى الست وأفغانستان أعضـاء عـاملين جدد تكون السوق قد ضمت مجموعة من الدول الاسلامية غير العربية فى حـزام يمتد عبر معظم الأراضى الآسيوية . وبذلك تكون سـوقا اسلامية تشكل انطلاقة اسلامية تضم ٣٠٠ مليون نسمة يجمع بين شعوبها تراث ، وثقافة مشتركان ، ويصل ناتجها القومى إلى اكثر من ٣٠٠ مليـــار دولار سـنويا .

وبعد انضمام سبعة أعضاء جدد للمنظمة بدأت ايران تعول على هذه السوق حتى ان الرئيس الايرانى هاشمى رافسنجانى يصفها فيقول : « انها أسرة اسلامية كبرى ، سوف تتحول الى قوة عالمية سياسية واقتصادية عملاقة فى المنطقة وسوف تطرح نفسها كقوة عظمى فى العالم والى شكل من أشكال السوق الاسلامية المشتركة تربط أوروبا بآسيا على طول طريق الحرير التاريخى » . وهى الفكرة التى ربما عارضتها تركيا مع أنها اقترحت مشروعا لخفض الرسوم الجمركية بين الدول الأعضاء يصل الى ١٠ فى المائة من التعريفة فى المنطقة لكنها تريد التقليل من الجانب الاسلامى للمنظمة لطموحاتها المتمثلة فى ان تعد أوروبية بما فيه الكفاية من أجل الانضمام الى المجموعة الأوروبية .

وفى اجتماع المنظمة الذى عقد فى طهران من ١٦ - ١٧ فبراير ١٩٩٢م أعلن الرئيس هاشمى رافسنجانى تشكيل « المجلس القزوينى » المنفصل والذى يضم ثلاث جمهوريات سوفيتية سابقة تطل على بحر قزوين ويتكون من ايران ، وروسيا ، واذربيجان ، وتركمانستان وكازاخستان ، وأوضح الرئيس رافسنجانى أن « المجلس القزوينى » لن يحدث نزاع مصالح مع منظمة التعاون الاقتصادى الاسلامية لأنه سوف يعمل باستقلال عنها .

ولم يمر اجتماع طهران لمنظمة التعاون الاقتصادى الاسلامية دون أن يفرز بعض الخلافات التى ظهرت فى اجتماعات المنظمة بين القطبين الكبيرين من اقطاب المنظمة وهما ايران وتركيا فقد رفضت ايران انضمام قبرص التركية المسلمة الى المنظمة ، ورفضت تركيا أنضمام جمهورية طاجكستان ذات الأغلبية السكانية من أصول ايرانية الى المنظمة ، وحاولت باكستان ايجاد حل وسط للخلاف لا سيما بعد فشل وزير خارجيتها فى التوفيق خلال اجتماعات أنقرة .

ويكتسب الخلاف طابعا خاصا فايران من ناحية لها مصالح إقتصادية فى احتكار أسواق الجمهوريات الاسلامية علاوة على ما تراه فيها من روابط تاريخية وانسانية مع سكانها ، ومجال حيوى ، وتركيا أيضا لها مصالح وروابط اقتصادية وعرقية ولغوية .

ومع وجود هذه الخلافات لكنها لم تمنع من سير أعمال المنظمة بقوة وتقدمها فى بناء نفسها باقتدار ودعم من جميع الاعضاء ، وتبدو تركيا عازمة على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع ايران ، وهى تدرك

تماما قصور امكانياتها الاقتصادية فى مواجهة تطلعات دول آسيا الوسطى ٠

على أن بعض المحللين السياسيين ينظرون الى هذه المنظمة الاقتصادية نظرة سوداء متشائمة فى اطار تقاصر حالات النجاح فى تاريخ التجمعات الاقليمية فى المنطقة ٠ ويرون أن من المرجح ألا تحقق منظمة التعاون الاقتصادى الاسلامية ، ومنظمة بحر قزوين أى تقدم أكثر مما حققته منظمة البحر الأسود للتعاون الاقتصادى التى كانت تأمل أنقرة من خلالها فى تدارك مساعى البعض لتقسيم العالم الى شطرين أحدهما اسلامى والآخر مسيحى ٠

ويستشهد أصحاب النظرة التشاؤمية بأن صانع القرار فى النظام العالمى الجديد الذى بدأ يظهر منذ انتهاء الحرب الباردة فى أواخر عام ١٩٨٩م يضع فى حساباته ضرب أى تجمع عربى أو اسلامى ٠ خاصة مع وجود استراتيجية ثابتة فى الغرب يهمها ألا يتحول العالم العربى والاسلامى الى قوة اقليمية كبرى ومؤثرة، وهو ما أوجد ما يسمى الآن فى الدراسات الاستراتيجية فى الغرب باسم « الجسر المقطوع » بين الناحيتن ٠

لماذا دخلت الجمهوريات الاسلامية الجديدة منظمة التعاون الاقتصادى الاسلامى ؟

تضافرت عوامل كثيرة جعلت الجمهوريات الاسلامية تسعى الى الانضمام الى منظمة (الايكو) الاسلامية ، خاصة وأن هذه الجمهوريات قد نهب الشيوعيون السوفيت ومن قبلهم القياصرة كل ثرواتها وخبراتها مما جعلها تعانى بعد الانفصال عن الحكم الشيوعى صعوبات اقتصادية بالاضافة الى ضعف الموارد فى بعضها ، وهى تامل فى انضمامها الى منظمة التعاون الاقتصادى ما يساعدها على النهوض من عثرتها الاقتصادية ٠ وقد وعدت المنظمة بالفعل تقديم المساعدات الاقتصادية الى هذه الدول ٠

يضاف الى ذلك أن الجمهوريات الاسلامية السوفيتية لا توجد لها منافذ الى المياه الدافئة الا عبر ايران وتركيا ٠ وقد كان الوصول الى العالم الخارجى عبر المياه الدافئة حلما قديما للامبراطوريتين القيصرية

والماركسية ، ولكن الحاجز البشرى الاسلامى ظل يحول دون تحقيقه ، وهذا ما دعا الى أن تكتسب كل من ايران وتركيا أهمية خاصة بالنسبة لهذه الجمهوريات لأنها أصبحتا حلقة الوصل ، ومساحة التفاعل مع الجمهوريات الاسـلامية السوفيتية على مختلف الأصعدة السياسـية والاقتصادية والدينية .

وتدرك كل من تركيا وايران أن الجمهوريات الاسلامية مازالت تجرى مع الروس سبعين بالمائة من تجارتها وأنها بدأت فى بداية استقلالها تبدى حذرا ملحوظا ازاء التهافت الخارجى على خطب ودها . ولعل العبارة الموجزة التى قالها الرئيس الأذربيجانى عياد مطاليـوف تعكس ما تبغيه هذه الجمهوريات من انضمامها لمنظمة الايكو أو لغيرها من المنظمات عندما قال « نحن لسنا معقدين لا من الشيطان الاصغر ، ولا من الشيطان الأكبر ، وعلاقاتنا الخارجية تنطلق فقط مما تمليـه علينـا مصالح بلادنا » .

دور الدول المؤسسة فى تشجيع الجمهوريات الاسلامية للانضـمام الى المنظمة :

لكل عضو من اعضاء المؤسسين لمنظمة الايكو وهم الباكستان وتركيا وايران أسبابه الوجيهة التى تجعله يسعى لاستقطاب هذه الجمهوريات والعمل على ضمها للمنظمة الاقتصادية الاسلامية **فالباكستان** كانت تشكو منذ زمن بعيد ، وعلى وجه الخصوص جنرالات الجيش فيها من عـدم وجود عمق استراتيجى لها فى حالة تعرضها لهجوم مرتقب من الهند ، وهى تحلم بخلق هذا العمق الاستراتيجى من خلال علاقات وطيدة تقيمها مع الدول الاسلامية المستقلة الجديدة على حدودها الغربية . وقد وقفت الاضطرابات فى افغانستان ، وارتباط الباكستان بها كقضية رئيسية فى وجه تقدم الباكستان ، وتحقيق أهدافها فى جذب هذه الدول ، وصارت بعد تحرر أفغانستان من بقايا الحكم الشيوعى مرشحة لأداء دور كبير فى المنطقة .

أما تركيا فتعد فى مقدمة الدول المستنفرة للعمل على اسـتقطاب واستقبال هؤلاء الضيوف الجدد الوافدين حديثا للانضمام الى منظمة الايكو الاسـلامية . ونجد رجال الأعمال الأتراك يحلمون فى أن يكونوا ورثة السوق التى خلفها الروس ، وسوف يقدمون بالمقابل لتلك البلدان الاسلامية الشقيقة نماذج وخبرات جاهزة فيما يحتاجونه من اقتصـاد

السوق الى الديمقراطية ، وحتى العلمانية أيضا ، وهى نماذج تكاد لا تتوافر على أية أرض اسلامية باستثناء تركيا . وتدرك تركيا أنها لا تملك بمفردها الامكانات العملية والمادية لتحقيق هذا الاحتواء لكنها تعتمد على دعم الغرب صاحب المصلحة فى تحويل الصحوة الاسلامية السوفيتية باتجاه تركيا العلمانية والسائرة فى ركاب الغرب لضمان عدم سيرها فى الاتجاه الايرانى المتشدد والمعادى للغرب .

ويسود اعتقاد فى واشنطن ، وفى أوروبا بأنه إذا ما أريد تحجيم النفوذ الايرانى لابد من تقديم بديل له ، وبصفة أساسية طرح النموذج التركى العلمانى الموالى للغرب لاسيما وأن تركيا تتمتع بعلاقات صداقة مع خمس من الجمهوريات الست التى يغلب عليها التحدث باللغة التركية .

وتدرك تركيا أن أمامها آفاقا رحبة للتعاون الاقتصادى مع جمهوريات آسيا الوسطى عن طريق هذا التجمع الاقتصادى ، وحقيقة لتركيا دور بارز فى استقطاب هذه الجمهوريات وقيام المنظمة الاقتصادية ويتأكد هذا مما يردده الرئيس التركى « تورجوت أوزال » والسياسيون البارزون الآخرون مراراً وتكرارا لشعبهم بأن القرن الواحد والعشرين سيكون مباركا بالنسبة للأتراك .

ووضعا لهذه السياسة التركية موضع التنفيذ قام مصرف « اكسيمانك » التركى بانشاء بنك مشترك فى الجمهوريات الاسلامية الجديدة كخطوة أولى أمام تسهيل التبادل التجارى والاستثمار ، وكانت تركيا من الدول السباقة الى الاعتراف باستقلال الجمهوريات الاسلامية على أساس الاحترام المتبادل للحدود القائمة » .

وتسعى تركيا من وراء كل ذلك الى أن تأخذ دور القائد والنموذج لهذه الدول الاسلامية المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفيتى يؤهلها الى ذلك ارتباطها التاريخى ، والدينى ، والحضارى مع هذه الدول .

كما نجد لايران دورا كبيرا فى استقطاب هذه الجمهوريات وحثها وتشجيعها للانضمام لمنظمة الايكو الاسلامية تمثل ذلك فى قيام وزير خارجيتها فى ديسمبر ١٩٩١ بزيارة الجمهوريات الاسلامية المستقلة كما تمثل التقارب فى عقد الصفقات التجارية مع هذه الجمهوريات حتى

أن الحدود بين ايران وهذه الجمهوريات صارت مفتوحة لحركة تجارية متبادلة فى كل الاتجاهين ، ومن ذلك التقارب أيضا تأسيس (منظمة الناطقين باللغة الفارسية) بالاشتراك مع طاجكستان وقسم من المجاهدين الأفغان .

وأعلنت ايران أنها ستقدم قرضا قيمته ٥٠ مليون دولار لجمهورية تركمنستان ، وفتح فروع لبنك (صادرات ايران) فى تركمنستان ، وتدريب موظفى تركمنستان على الأعمال المصرفية والجمارك فى ايران.

كما بحثت ايران مع تركمنستان فى الفترة الأخيرة مشروع اقامة سد عند مدخل (خليج قره بوغازا) على ساحل تركمنستان المطل على بحر قزوين والذى ينظر اليه على أنه من عوامل ارتفاع منسوب مياه البحر التى أغرقت مناطق ساحلية كبيرة فى ايران وتركمنستان وأزربيجان فى العام الماضى .

وهذا التقارب الشديد بين ايران وتركمنستان أقلق امريكا حتى أن وزير خارجيتها جيمس بيكر زار تركمنستان ووعد الرئيس نيازوف بالاسراع فى افتتاح بعثات دبلوماسية محبذا أن تحذو تركمنستان نهجا يعتمد على التجربة التركية أكثر من اعتماده على التجربة الايرانية .

وتبرز ايران روابطها التاريخية مع هذه الجمهوريات بجانب مصالحها وروابطها الاقتصادية والعرقية ، وترى فيها تناميا للقوة الاسلامية فى المنطقة فى مقابل تنامى قوة الشيوعية والعلمانية .

وتتردد أنباء عن استقطاب ايران لعلماء ذرة سوفيت وحصولها على صواريخ من الجمهوريات الاسلامية وعلى وجه الخصوص اذربيجان ذات الأغلبية الشيعية .

وقد نجحت ايران بدبلوماسيتها الجديدة فى محو بعض الأخطاء التى ارتكبتها فى الماضى القريب ومنها تأخرها فى الاعتراف باستقلال هذه الجمهوريات فى وقت سارعت فيه تركيا بالاعتراف باستقلالها .

على أن هذا التجمع الاسلامى الكبير الذى تمثله هذه السوق الاسلامية ويضم دولا تعدادها يصل الى حوالى ٣٠٠ مليون نسمة يعد فى نظر

الغرب الآن أخطر افرازات تفكك الاتحاد السوفيتى . فبثقل هذه الجمهوريات الديموغرافى الذى يتجاوز السبعين مليونا ، وبضخامة رقعتها الجغرافية المترامية من شواطىء بحر قزوين الى اقليم سينكيانغ عند الحدود الصينية تبدو الجمهوريات الاسلامية الآن أشبه بالعملاق الخارج من القمقم السوفيتى .

ولأن الاتحاد السوفيتى كان دولة الحادية ، فإن صحوة جمهورياته الاسلامية وارتباطها بالدول الاسلامية المجاورة فى منظمة الايكو يأخذ شكل ثورة اسلامية تختلف عن شكل الثورات الاسلامية التى قامت فى بعض الدول الاسلامية والعربية والتى يسعى أصحابها الى الحكم لأن المسألة هنا مسألة تحرك من هذه الدول باتجاه تأكيد شخصيتها الاسلامية ويؤكد كل ذلك فداحة البعد العالمى الذى تأخذه مسار الأمور الجارية الآن فى هذه المنطقة من العالم .





● الرئيس الايراني خلال اجتماعه بالرئيس التركمنستاني خلال قمة الايكو التيعقدت في ايران



○ هاشمي رافسنجاني



○ جيمس بيكر

٤ ـ اسرائيل تغزو الجمهوريات الاسلامية
فى الاتحاد السوفيتى (سابقا)

اسرائيل تغـزو الجمهوريات السوفيتية
فى الاتحـاد السوفيتى

مقـــــدمـة :

لم يكن المراقبون الغربيون يبالغون عندما حذروا من أن صحوة الجمهوريات الاسلامية ستكون أخطر افرازات تفكك الاتحاد السوفيتى .. فبثقلها الديمغرافى الذى يتجاوز السبعين مليونا ، وبضخامة رقعتها الجغرافية المترامية من شـواطىء بحر قزوين الى اقليم كنجيانغ عنـد الحدود الصينية تبدو الجمهوريات الاسلامية الآن اشبه بالعملاق الخارج من القمقم السوفيتى .

ولأن الاتحاد السوفيتى كان دولة الحادية فإن صحوة جمهورياته الاسلامية تأخذ شكل الثورة الاسلامية وإن بطريقة مختلفة شكلا ومضمونا عن النماذج الأصولية فالمسألة هنا مسألة دول تتحرك باتجـــاه تاكيـد شخصيتها الاسلامية ، وليست شعوبا تتحرك لتأكيد نفسـها بامتـــلاك السلطة فى دولها .

ومن هنا تجىء فداحة البعد العالمى الذى تأخذه مسار الأمـور الجارية فى اوزكستان ، وتركمنستان ، وطاجكسـتان ، وقيرغيزيا ، وكازخستان ، وتتارستان ، واذربيجان .

فبعد استقلال هذه الجمهوريات نشب صراع جديد بين قوى عالمية كثيرة تحركت جميعها باتجاه هذه المنطقة ، تحمل كل منها خططها ، ونواياها الخاصة بها ، بعضها معلن ، والآخر مغلف بستار من السرية والكتمان ومن الدول التى التفتت الى هذه الجمهوريات الولايات المتحدة الامريكية ، وانجلترا ، واليابان ، والصــين ، وتركيـا ، وايـران ، واسرائيل .

لقد بذلت اسرائيل محاولات جادة لتطوير علاقاتها القائمة مـــع هذه الجمهوريات بسبب وجود جاليات يهودية فيها مما يوفر لاسرائيل الفرصة فى محاولة تحجيم محاولات الدول الاسلامية فى الوجـود فـى هذه الجمهوريات خاصة بسبب تخوف اسرائيل من احتمـــالات وصول بعض الأسلحة التكتيكية الموجـــودة فى هذه الجمهوريات الى البـــلاد الاسلامية خاصة باكستان باعتبارها دولة نووية حديثة .

لقد تسللت اسرائيل ودخلت الى هذه الجمهوريات تريد أن تستأثر بالتركة ، وتمنع أى طرف من أن يكون له نصيب خاصة اذا كانت هويته العروبة أو الاسلام .

ويقود المسيرة الاسرائيلية الى الجمهوريات الاسلامية فى آسيا الوسطى بعض رجال الأعمال الاسرائيليين الذين استطاعوا رؤية الفرص العظيمة فى منطقة يبدو أنها تزخر بحقول الغام اقتصادية وسياسية ، وهم مستعدون للمخاطرة بأموالهم الخاصة فى السعى لتحقيق ذلك الحلم ، ومن وجهة نظرهم كما يقولون « ان العلاقات التجارية تعد أكثر اهمية من العلاقات السياسية فيما يختص بالعلاقات بين الدول » .

لقد توجه رجال الأعمال الاسرائيليين الى الجمهوريات الاسلامية بحكم أن يكونوا ورثة السوق الكبيرة التى اخلاها الروس وهم فى المقابل سيقدمون لتلك البلدان الاسلامية نماذج وخبرات جاهزة فى مجال الزراعة ، والصناعة والاقتصاد .

وعلى الرغم من أن اسرائيل تمتلك كل هذه الخبرات الا أنها تستفيد فى الوقت نفسه من دعم الغرب لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التى يعنيها أن يتحول التعاون بين اسرائيل وهذه الجمهوريات ضمانا لعدم سيرها فى الاتجاهات الاسلامية المتشددة والمعادية للغرب .

لماذا تغزو اسرائيل الجمهوريات الاسلامية ؟

تملك بعض الجمهوريات الاسلامية أسلحة نووية متطورة كما تملك قواعد اطلاق الصواريخ طويلة المدى فى العالم بالاضافة الى تملكها لطائرات حربية لنقل هذه الأسلحة الى معظم أقطار الدنيا بدون توقف .

فإذا أخذنا على سبيل المثال جمهورية كازاخستان نجد عندها كما من الأسلحة النووية يضم ١٠٤ صواريخ بالستية عابرة للقارات منصوبة على منصات ثابتة ، وأربعين قنبلة نووية ، وميدان تجريب للأسلحة الذرية ، وصواريخ مضادة للصواريخ بالاضافة الى وسائل النقل واطلاق هذه الآلة المرعبة .

إن اسرائيل تجد نفسها فى مأزق حرج فهى تملك الأسلحة النووية لكن وسائل النقل ومدى الاطلاق لا يوصل هذه الأسلحة الى حدود الجمهوريات الاسلامية فى آسيا الوسطى بينما تستطيع بعض هذه الدول

الاسلامية فى دقائق أن تمسح اسرائيل من الوجود . وتأمل اسرائيل أن تستفيد من علماء هذه الدول المستعدين لتقديم خبراتهم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، ومساعدتها فى سعيها الدؤوب لتطوير الصواريخ المضادة ، والأقمار الصناعية ، وتأمل اسرائيل وهى تعرف أن كازخستان تملك بمفردها ١٧٫٠٠٠ سبعة عشر ألف خبير نووى أن يتم لها الافادة من من بعض هذه الخبرات وتبادلها فيما بينها وبين هذه الدول ، وهى تعلم أيضا ان خام اليورانيوم موجود فى أراضى هذه الجمهوريات .

ولا يمكن اغفال التحدى الاقتصادى من الجانب الاسرائيلى ، فجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية بلاد غنية بثرواتها الطبيعية كالقطن ، والنفط ، والمعادن كاليورانيوم ، والذهب وغيرها وقد أصبحت روسيا مجرد زبون على قدم المساواة مع سائر البلدان ، ويشتد فى المنطقة بأسرها الميل الى اجتذاب رأس المال الأجنبى ، يتبين لنا ذلك من العقد الأخير الذى وقعته شركة سيفرون الأمريكية لاستثمار ٤٠ مليار دولار فى حقول النفط فى كازاخستان على مدار ٤٠ سنة . وما ذكرته يعد مثالا واحدا لما يمكن أن يؤديه رأس المال الأجنبى فى تغيير بنية هذه البلاد .

ومن أهم الدول الزاحفة للحصول على عروض اقتصادية هى المانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وإيطاليا ، واليابان ، وكوريا الجنوبية ، وتركيا ، وايران ، وباكستان ، وبعض الدول العربية ، واسرائيل .

وترغب اسرائيل أمام كل هذه التحديات أن يكون لها نفوذ أكبر داخل هذه الجمهوريات تعزيزا لوجودها التجارى والسياسى . وهى تعلم أنها تضع قدمها على أرض تعد من أغنى البلدان فى العالم بثرواتها الطبيعية تحت الأرض ، لكنها فى نفس الوقت من أقل البلاد تنمية على السطح .

اشكال ومظاهر الغزو الاسرائيلى لهذه الجمهوريات :

يتخذ الغزو الاسرائيلى لهذه الجمهوريات أشكالا متعددة لكنها جميعا تهدف الى تحقيق غاية واحدة وهى الاستقطاب وفتح أسواق جديدة للخبرة الاسرائيلية ، ومن هذه الأشكال :

- قيام الشركات الاسرائيلية **بابرام عـدد من الصفقات** مـع هـذه الجمهوريات ، وقد قامت بالفعل بعض الشركات الاسرائيليـة بابـرام صفقات مع ثلاث جمهوريات من الجمهوريات الاسلامية ، تضمنت هذه الصفقات تنفيذ مشروعات زراعية ضخمة ، بالاضافة الى بعض المشروعات الأخرى فى المجال الصناعى ومجال الاتصالات ٠

- **وقعت اسرائيل عقودا مع** أوزبكستان ، كما جرى توقيع عقـود مشابهة مع كازاخستان ، وطاجكستان لتطوير الزراعة وتحسين انتاجيتها ، فقد أقنعت اسرائيل حكومة أوزبكستان بأن الخبرة الاسرائيلية يمكن لها أن تحسن انتاجية القطن هناك بصورة كبيرة ، وبأقل استخدام للمياه ، وتعد أوزبكستان ثالث أكبر دولة منتجة للقطن ، وتأتى فى المرتبة بعد كل من الولايات المتحدة والصين ٠ لكن بحيرة ارال التى تعتمد عليها فى عمليات الرى نضب ٤٠٪ بالمائة من مخزون المياه فيها ، وتعانى البقية من تلوث كبير بالمبيدات الحشرية ٠

لقد بدأت اسـرائيل زراعـة القطـن منذ أربعـين عـاما لكنهـا تتفوق فى زراعته على أوزبكستان التى بدأت زراعته منذ ألفى عام ٠

وقد بعثت اسرائيل بموجب هذه العقود فرق عمل فى عدة مزارع تبلغ مساحة احداها ٥٠٠ر٢ فدان كان ذلك فى أوائل عام ١٩٩٢ ، واستخدمت هذه الفرق نظام الرى بالتنقيط الذى يتم فيه تزويد الميـاه والأسمدة بطريقة مباشرة الى جذور النبات ، وغير ذلك من التقنيات التى طورها الاسرائيليون ٠ وقد أدهشت النتائج الأوزبك حيـث زاد انتاج القطن بنسبة ٤٠٪ بالمائة ، وانخفض استخدام مياه الرى بنسبة الثلثين ، كما انخفض استخدام الأسمدة ، والمبيدات الحشرية بنسـبة تراوحت بين ١٠ ٪ ٠

- **تبادل الزيـارات** بين المسئولين فى اسرائيل وهذه الجمهوريات كالزيارة التى قام بها رئيس وزراء كازاخستان سيرعى تيرشينكو الى اسرائيل فى شهر سبتمبر عام ١٩٩٢ وصحبه فيها وفد كبير للتفاوض حول بعض المشروعات المشتركة ، وعن هذه الزيارة يقول تيرشينكو بأن بلاده لا تسعى للحصول على معوقات وانما تأمل فى تعاون مفيد متبادل يؤدى الى تطوير التكنولوجيا فى كازاخستان ٠

ومن الزيارات التى تمت الوفد العالى المستوى الذى بعثت بـه

اسرائيل خلال عام ١٩٩٠ م إلى جمهورية أوزبكستان حيث قدم الوفد تسهيلات كثيرة فى مجال التجارة وتبادل الخبرات والنقل ، والتعليم ، والتدريب ، وقدم دعوة مفتوحة لرئيس الجمهورية لزيارة اسرائيل ، واتفق الوفد معه على انشاء خط طيران مباشر بين طقشند عاصمة أوزبكستان وتل أبيب ، كما تم توقيع عدة اتفاقيات فى السياحة والتبادل التجارى تبلغ قيمتها ٦ ملايين دولار امريكى ٠

ومن الطريف أن السفراء العرب فى موسكو عندما علموا بأمر هذه الزيارة اجتمعوا وبعثوا مندوبا قابل رئيس أوزبكستان وعاتبه على ذلك فكان رد الرجل أن المشكلة الاقتصادية فككت الاتحاد السوفيتى ، وأن الواقع يفرض ضرورات تأخذ الأولوية على المواقف الايديولوجية ، وأنه على استعداد لو أن الدول الاسلامية استثمرت بما يعادل نصف المبلغ أى ثلاثة ملايين دولار أن ينصرف عن اسرائيل ٠

بكل صراحة يطلب رئيس جمهورية أوزبكستان المسلم من الدول العربية والاسلامية استثمار ثلاثة ملايين دولار فى بلده ، وهو على استعداد أن يبتعد عن اسرائيل والمبلغ جد زهيد ، وتستطيع أى دولة عربية أو اسلامية أن تقدمه ، بل يستطيع أن يقدمه أحد الأثرياء العرب وهو لن يضيع بل سيستثمر ولكن هيهات ٠

ـ نشط اليهود وقاموا بفتح عشرات المراكز ، وبدأوا يصدرون عشرات الصحف والمجلات وكلها تدعو للصداقة والتعاون مع اسرائيل ، والافادة من الخبرات المتقدمة والتكنولوجيا المتطورة التى تأخذ بها اسرائيل فى مناحى الحياة المختلفة ٠

ـ غزا **المستثمرون الاسرائيليون** بتشجيع من الحكومة الاسرائيلية التى تبدو حريصة على خلق روابط تساعدها على ابعاد الجمهوريات الاسلامية من الارتماء فى أحضان ايران والأخذ بالمبدأ العلمانى الذى تأخذ به تركيا ٠

ومن هؤلاء المستثمرين : ـ

أولا : مجموعة شول ايز ينبيرغ :

وشول ايز ينبيرغ من كبار الأثرياء الاسرائيليين يتميز بشخصية تلتزم السرية فى كل ما تقوم به ، وهو يجوب أطراف الكرة الأرضية

لعقد صفقات تصل قيمتها الى بـــلايين الدولارات بخـــبرات وكـــوادر اسرائيلية .

ومجموعة ايزينبيرغ هى التى قامت بتطوير زراعة القطـــن فى أوزبكستان وزيادة انتاجية الأرض ، كما قامت بعد ذلك ببناء مصنع لتطوير غزل القطن فى كازاخستان بواسطة الفنيين الاسرائيليين ويقول ايزينبيرغ « أتوقع أن تصل المبيعات من هذا المصنع سنويا الى بليون دولار بعد سنوات قليلة » . وكان ايزينبيرغ قد قـام ببناء حوالى ٢٥٠ مصنعا فى الصين وحدها خلال الأربعة عشر عاما الماضية . ويقول : ان ماكينات غزل القطن هذه سيجرى تسويقها فى البلدان الاسلامية الأخرى التى لا تعترف باسرائيل حيث انها لا تحمل أية علامات تشـــير الى اسـرائيل .

وقد قامت مجموعة شول ايز ينبيرغ فى أواخر ديسمبر ١٩٩٢ م ووفد من جمهورية كازاخستان بتوقيع اتفاقية تبلغ قيمتها ١٦٠ مليـون دولار تتعلق بعمليات رى لمنطقة مساحتها ٥٠ر٠٠٠ فـــدان تقـــع فى شيمكينت وهى مقاطعة تقع فى جنوب هذه الجمهورية . وهناك خطط أخرى لبناء مصنع فى كازاخســتان لانتاج أنابيب الـرى بالتنقيط التى ستجد لها سوقا ضخمة فى منطقة آسيا الوسطى .

ويخطط ايزينبيرغ فى مرحلة لاحقة لانشاء مصنع فى المنطـــقة الاسلامية لانتاج مادة البوليثيلين ، وهى المـادة التى تستخدم فى صناعة انابيب الرى . وتلقت المجموعة أيضا عقـــداً لبناء أربعـــة مصـــانع فى كازخستان لانتاج زيت الطعـــام .

وتقدم بيوت الخبرة والمصانع الاسرائيلية كافة التسهيلات من أجل أن تفتح لها أسواقا فى هذه الجمهوريات ، فهى تدرك مثلا النقـص فى العملات الصعبة الذى تعانى منه هذه الجمهوريات لذلك نجد أن هذه الصفقات فى أجزاء كبيرة منها تمت من خلال ترتيبات مقايضة حيـث يتم السداد بواسطة بعض المنتوجات مثل القطن ، والنفط حيـــث ان لدى كازخستان وحدها مخزونا نفطيا كبيرا يفوق مخزون المملكة العربية السعودية .

ثانيا : مجموعة ميرهاف الاستثمارية :

وتشبه مجموعة ايزينبيرغ ، وقد بدأت عملياتها الاستثمارية فى الجمهوريات الاسلامية بعد تفكك الاتحاد السوفيتى واستقلال هذه الجمهوريات . وعن مشروعاتها الاستثمارية فى كازخستان يقول نمرود نوفيكل نائب رئيس المجموعة : « إن كازخستان تعد أحد أغنى البلدان فى العالم فى ثرواتها ، والفرص هناك لا حصر لها ، وهم يرحبون بالاسرائيليين » ويقول نوفيكل بأن لدى مجموعة ميرهاف فى كازخستان « مشاريع تبلغ قيمتها عشرات الملايين من الدولارات » هذا وقد تركز نشاط هذه المجموعة التجارى على مشاريع زراعة القطن .

دعم امريكا لاسرائيل

تؤيد امريكا وتدعم التقارب بين اسرائيل والجمهوريات الاسلامية فى آسيا الوسطى ، كذلك تؤيد التقارب بين هذه الجمهوريات وبين تركيا رغبة منها فى تحجيم النفوذ الايرانى . فالنموذج الاسرائيلى والنموذج التركى كلاهما موالى للغرب وبالنسبة لاسرائيل فان مجموعاتها الاستثمارية وما تقدمه لها أمريكا من دعم وتسهيلات يساعدها على تنفيذ مشروعات التطوير والانماء فى الجمهوريات ، أما تركيا فان ظروفها تجعل منها اكثر الدول الاسلامية المهيأة لان تتغلغل فى هذه البلاد بالاضافة الى متاخمتها لبعض هذه الجمهوريات فانها دولة اسلامية علمانية وتتمتع بقدر كبير من الديمقراطية فضلا عن اعتدال مواقف طوائفها الاسلامية بصفة عامة الأمر الذى يجعلها وجها مقبولا للجمهوريات الاسلامية الجديدة ويتصل بهذا كونها الضلع الجنوبى لحلف الاطلنطى الأمر الذى جعل الولايات المتحدة تبارك تدعيم الأواصر بين أنقرة وهذه الدول .

وتدعم أمريكا اسرائيل بمنحها القروض الميسرة لمساعدة المصانع العسكرية فى هذه الجمهوريات للتخلى عن تصنيع بعض الأسلحة ، وجذب المستثمرين الغربيين للاستثمار فيها (التايمز فى ١٩٩٢/٤/١٥)

كما تساعد الولايات المتحدة اسرائيل على الدخول الى هذه الجمهوريات عن طريق تمويل حكومى لمشروع تقدر تكلفته بمبلغ خمسة ملايين دولار يعمل فيه خبراء اسرائيليون فى مجالات الزراعة والرى والصحة العامة لمساعدة هذه الجمهوريات الاسلامية .

وهكذا تبـدو اسرائيل مستنفرة لاستقطاب واستقبال هؤلاء الضيوف الجدد الوافدين حديثا على المسرح الدولى لتقوية الروابط وعقد الصلات معهــم ٠

على أن هذه الجمهوريات تتعرض بسبب هذا التغلغل الاسرائيلى لضغوط سياسية من قبل ايران لايقاف العقود التى أبرمت مع اسرائيل ٠ لكن هيهات لأن الطرفين يعملان جاهدين لتمتين هذه الروابط فى سعيها للتوصل الى تحقيق النمو الاقتصادى ، والأخذ بالأسلوب الغــربى ، وبجانب ما تقدمه اسرائيل عن طريق التكنولوجيا فانه ينظر اليها بصورة عامة على أنها بوابتهم الى الغرب وبوجه خاص الى الولايات المتحـدة الامريكية ٠

وتبدو مصلحة هذه الجمهوريات من وجهة نظر المسئولين فوق الاعتبار يتضح ذلك من قول الرئيس الاذربيجانى « نحن لسنا معقدين لا من الشيطان الأصغر ولا من الشيطان الأكبر، وعلاقاتنا الخارجية تنطلق فقط مما تمليه علينا مصالح بلادنا » وذلك فى اشارة واضحة الى رفض النموذج الايرانى الرافض للتعامل مع اسرائيل وامريكا ٠



الفصل السادس

موقف مؤتمر دول عـدم الانحياز
العـاشر من القضـايا الاسـلامية
(جاكرتا أول سبتمبر ١٩٩٢م)

دول عـدم الانحياز تعقد مؤتمرها العاشر فى جاكرتا فى أول شـهر سـبتمبر ١٩٩٢م

تعريف بحـركة عدم الانحيـاز

يعد مؤتمر باندونج الذى عقـد فى الفترة من ١٨ ـ ٢٤ ابريل ١٩٥٥ الشرارة الاولى لبدء حركة عدم الانحياز . وقد شاركت فى المؤتمر تسـع وعشرون دولة .

وتمثلت اهداف حركة عدم الانحياز بصفة عامـة فى محـاربة الاستعمار بجميع انواعه واشكاله ، ورفض سياسة الحرب الباردة ، والتكتلات والأحلاف العسكرية ، وسياسات الاحتواء ، وتفسيم مناطق النفوذ والتنافس فى مجال التسلح ، ورفض مبدأ التدخل فى الشئون الداخلية للدول ، واحـترام الانظمة السياسية والاجتماعية لها ، ودعم وتأييـد حركات التحرر الوطنى والقومى ومناصرة شعوب المستعمرات فى محاولاتها لنيل الاسـتقلال والحرية .

ومن اهم ما جمع بين دول مؤتمر باندونج الذى شهد أول تجمع لدول العالم بعد الحرب العالمية الثانية هـو معارضـة هذه الـدول لسياسة الارتباط بأى من الكتلتين غربية كانت أو شرقية ، ومطالبتهما بوضع اسس جديدة للعلاقات الدولية تضع نهاية للسيطرة والهيمنـة الاجنبية بمختلف أنواعها واشكالها .

وأدى قادة حـركة عدم الانحياز التاريخيون عبد الناصر ، وتيتو ، ونهرو ، وسوكارنو دورا هـاما فى تجسيد أصوات المجموعة المتنـاغمة والمتناسقة ازاء القوى الكبرى آنذاك ، وعكسوا بوزنهم السياسى ، ومكانة بلدانهم الدولية الضمير الحى لهذا التجمع المتعدد الروافد والثقافات .

ولا شك أن قيـام حركة عدم الانحياز التى تمثل وتجمـع بعض دول العـالم الثالث يعطى هذه الدول قوة فى مواجهة تحديات كثيرة ، وعلى الرغم مما أصـاب الحركة من تصدع الا أنها لا زالت تمثـل ضمير الجنوب الحى ازاء الشمال وقراراته وسياساته المختلفة .

وربما كان التيـار الحيادى والدعوة اليـه فى بعض الدول أقوى من الدول الأخرى ، فقد كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م من العوامل

التى دعمت التيـار الحيادى فى مصر ويجىء التيار الحيادى منطقيـا فى الهند مع سياسية اللاعنف التى اشتهر بها التاريخ ومؤسسها غاندى والتى تأثر بها كثير من زعماء الهنود الذين جاءوا بعده وعلى رأسهم جواهر لال نهرو ٠

على أن سياسية عدم الانحياز لم تلق تأييدا وقبولا من الكتلتين الكبيرتين فى ذلك الوقت ووصفت هـذه السياسـة « باللاواقعيـة » و « اللاأخلاقية » و « قصـر النظر » ٠ وقد ترددت الولايات المتحدة الأمريكية طويلا فى قبول موقف عدم الانحيـاز من كثير من دول الحركة وهو ما عبر عنه جون فوسـتر دالاس أشهر وزراء خارجية أمريكا فى العصـر الحديث بقوله : « ان الحيـاد بين الخـير والشـر موقف غير أخـلاقى » ٠

وعلى الرغم من اتفاق دول مجموعة عدم الانحياز على الخطوط العـامة الا أن كثيرا من المؤتمـرات التى انعقدت قبل مؤتمـر جاكرتا شهدت كثيرا من الخلافات التى كادت فى بعض المؤتمرات أن تعصف بجلساتها فقد اختلف أعضـاء هذه المؤتمرات على سبيل المثـال حول المسـألة الكمبودية والنزاع الفيتنامى الكمبودى وانعكاسه على عضـوية كمبوديا فى الحـركة أو مسألة عضوية مصـر فى الحركة اثر توقيع الرئيس الراحل محمد أنور السادات اتفاقيات كامب ديفيد ٠ والاختلاف حـول حجم ووظيفة مكتب التنسيق لحركة عدم الانحياز خلال فترة رئاسة كوبا ٠

وكان لهذه الأزمات التى تعرضت لها الحركة من خلال مؤتمراتها انعكاساتها الخطيرة على سياسة وتوجه الحـركة حيث تعرضت الى صعاب واختبارات من خلال سعى القوى الاستعمارية المختلفة فى العـالم الى محـاولة تقسيمها واضعاف دورها وقدرتها على العمـل لأنها أصبحت تشكل قـوة حقيقية يحسب لها حسابها فى العـلاقات الدولية آنذاك ، الأمـر الذى جعلها تتعرض لضغوط مباشرة وغير مباشرة من قبل الكتلتين من خلال الهجوم على استقلاليتها فى العمـل ، والتدخـل فى شئونها الداخلية ، واستغلال الخلافات وسوء التفاهم الذى كان يظهر فيما بين أعضـائها ٠

نقد حـركة عدم الانحيـاز :

نظـرا لطبيعـة تكوين الحـركة والحساسيات المختلفة التى كانت سائدة لم يول أعضـاء الحركة الاهتمام الكبير بهياكلها التنظيمية ، وآليات عملها ، لتكون أكثر فاعلية فى أدائها السياسى أو فى مجالات عملهـا المختلفة ، لذلك فشلت المحاولات التى قامت بها بعض الدول الأعضـاء لانشـاء سكرتارية دائمة للحـركة تتولى التنسيق والاتصـال بين الدول الأعضـاء ، وضمان فعاليتها على الصعيد العالمى .

واذا مضينا نتعرف على معنى عدم الانحياز لفظـا سنجد نقصـا من حيث ما يريد أن يعبر عنه اللفظ ، فعدم الانحياز المقصود هو عدم الانحيـاز مسبقا ، ولا توجد فى الواقع حالة واحدة لا يمكن الانحيـاز فيها ، فحتى الذين يدعون لعدم الانحياز هم فى الواقع منحازون لموقف كلمـا أعلنوا رأيا ، أو اتخذوا موقفـا فى موضـوع يتعلق بالمعسكرين أو القضايا العالمية ، فالحكومات والحركات الشعبية التى تنادى بعـدم الانحياز لا تقصد بذلك تجريد نفسها من امكانيات اتخاذ مواقف مؤيدة لأى من المعسكرين فى ذلك الوقت انما تعنى أن مواقفها لا تكون مسبقا منحازة الى جهـة من الجهات بل ان انحيازها يأتى نتيجـة لدراسـة وتقييم مستقـل للمسـألة أو القضية المطروحة ، فالانحيـاز كامن على أسـاس كل قضية على حدة . لقد كانت ـ كما يقـول بعض النقـاد ـ المصلحة الوطنية والقومية هى التى تملى مواقف بعض هـذه الدول ، ويخرجون من ذلك الى القول بأنه لا يوجد عدم انحياز ثابت انما توجد مواقف غير منحازة أى حياد ايجابى .

ولا يمكن القول بأن هذه الدول كانت غير منحـازة تماما ، فقد واجهت حـركة عدم الانحياز متغيرات عديدة ، كما واجهت دولها أزمات متنوعة من أهمها تعثر عديد من مشروعات التنميـة ، ووقعت بعضها فريسة للديون الخارجية ، وتدهور معدلات أدائها الاقتصادى والاجتماعى ، مما دفع بعض دولهـا الى اتخاذ مجموعة من السياسات ازاء القـوتين العظميين ، بهدف مواجهة هذه المشكلات ، فنشـأت أشكال من العلاقات السياسية والاقتصادية الخاصـة بين هذه الدول وبين الاتحاد السوفيتى الذى كانت تلتقى معـه هذه الدول حـول مناهضـة الاستعمار بأشـكاله التقليدية والحديثة ، وضـرورة اعتماد نظام الاقتصاد الموجه القائم على التخطيط المركزى ، وسيطرة الدولة على وسـائل الانتاج كشرط أساسى لتحقيق أهداف التنمية ، وذهبت بعض الدول فى هذا الاتجاه الى حد

بعيد ، دفعها الى الدخول فى علاقة تقترب كثيرا من علاقة التحالف العسكرى ، والسماح بمنح قواعد أو تسهيلات عسكرية ضخمة للأصدقاء السوفيت ، فى حين أن عددا أقل من الدول غير المنحازة اختار اقامة هذه العلاقة الحميمة مع القطب الدولى المضاد ، أى الولايات المتحدة ٠

ولا شك أن انحياز بعض دول الحركة الى أحد القطبين فى ذلك الوقت كان خروجا على مبادىء الحركة مما أضعف أرصدتها السياسية فى الحياة الدولية ، اذ ترتب على هذه العلاقة الخاصة التزامات وقيود تحد من حرية حركة الدول اللا منحازة ازاء القوة العظمى التى تربطها بها التزامات واتفاقات وسياسات خاصة ٠

ويرى المتابعون لتوجهات الحركة انها كانت فى بياناتها ومواقفها تبدو فى أحيان كثيرة منحازة الى الاتحاد السوفيتى ، من خلال ادانتها التى كانت تقليدية للولايات المتحدة ٠ لكن هذا الرأى يغفل حقائق هذه الفترة وطبيعة الاختيارات السياسية التى كانت سائدة فى مجال التنمية والتنظيم السياسى فى هذه الدول ٠

وتتطور العلاقات بين القوتين العظميين ويتم الاتفاق بينهما على تسكين الأوضاع الدولية ، وتتقلص التناقضات السياسية والعقائدية بين القوتين وتتطور العلاقات من الحرب الباردة بينهما الى الوفاق الدولى ويتم الاتفاق بينهما على عدم السماح للمشكلات والأزمات الدولية والاقليمية فى دول العالم الثالث ومناطقه الساخنة بدفعهما للصراع ، واللجوء الى القوة المسلحة ٠ وظهر هذا التوافق بوضوح عندما طفت الى السطح أزمات اقليمية كانت تهدد باتساع نطاق المواجهة مثل مشكلة الشرق الأوسط ومشاكل فيتنام ، وكوريا ، وأفغانستان فى آسيا ، وكوبا وشيلى فى أمريكا اللاتينية ، ومشاكل أثيوبيا ، وانجولا ، وموزمبيق فى أفريقيا ٠

ونتيجة لهذا التقارب بين القوتين ضاق هامش المناورة والحركة أمام دول عدم الانحياز مما أدى الى تفاقم المشكلات الاقليمية فى دول العالم الثالث ودفعها الى البحث عن حلول لهذه المشاكل من خلال اقامة مزيد من العلاقات الخاصة والمتميزة مع احدى الدولتين ٠

على أن أهم ما واجه حركة عدم الانحياز انهيار الاتحاد السوفيتى والنظرية الماركسية وفشل التجربة السوفيتية تحت وطأة البيروقراطية والارهاب وعجز الاتحاد السوفيتى عن استيعاب التكنولوجيا المتقدمة

ومشكلة ادارة جهاز الدولة ووسائل الانتاج ، مما جعل الاتحاد السوفيتى كما قال عنه جورباتشوف « دولة تنتمى للعالم الثالث فى كل شىء عدا الصناعات الحربية والفضاء » .

ونتيجة لسقوط الاتحاد السوفيتى وتفككه الى دول مستقلة برزت الولايات المتحدة كاكبر قوة دولية لا منازع لها مما جعل غالبية دول الانحياز تتحدث بلغتها وتردد مبادىء وحقوق الانسان واقتصاديات السوق وآلياته ، وهى لغة تختلف عما كانت تردده هذه الدول عن التخطيط المركزى ، وسيطرة القطاع العام ، وفوضى السوق ، وأزمات الرأسمالية وحتمية الصراع الطبقى ، وديكتاتورية البروليتاريا ، وأصبح الجميع يطبقون سياسات صناديق التمويل الدولية بحثا عن أشكال جديدة للتطوير والتحرير الاقتصادى وكفاءة الأداء فى دول الجنوب والتى تشكل غالبيتها حركة عدم الانحياز .

التطوير والتجديد :

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى نتسائل هل لا يزال لاسم عدم الانحياز مشروعيته ؟ وفى الحقيقة لم يعد الاسم ملائما فقد كان الاسم على مسمى فى ظل وجود قوتين متعارضتين ومتناقضتين فى اختياراتهما وسياساتهما ، أما الآن فلم يعد سوى خيار الديمقراطية وآليات السوق .

لقد باتت الضرورة ملحة لتغيير اسم الحركة حتى يعكس طبيعة التغير الذى حدث لكن ينبغى ألا يقتصر التغيير والتبديل على المسميات وانما ينبغى أن يمتد الى الأهداف والغايات أى الى صميم الحركة نفسها وجوهرها ، ومعنى هذا أن تظل الحركة باقية مع بعث الحيوية داخلها باستحداث فكر جديد وأساليب عمل جديدة لها بما يتفق مع المتغيرات الحديثة واستراتيجية القرن الواحد والعشرين . خاصة وقد برزت صراعات عنيفة فى بعض دول عدم الانحياز بين المفاهيم القومية والتيارات الاسلامية وهناك مشاكل أفرزتها عوامل عرقية أو قبائلية .

ولعل المجال الاقتصادى من أهم المجالات التى ينبغى أن يحتل الحيز الكبير من اهتمامات الحركة باعتباره هو التحدى الذى يواجه الانسان فى القرن الحادى والعشرين وحين أتكلم عن الاقتصاد فأنا أتكلم عن البيئة ، والتكنولوجيا ، والتقدم العلمى ، فقد أصبحت كلها تشكل عناصر لا يمكن فصلها عن الاقتصاد بمعناه الضيق . ومن الأمور التى

تساعد على تطوير الحركة والتنسيق بين دولها ومجموعة الـ ٧٧ عبر تنسيق المواقف بين دول الحـركة فى اطار المنظمات الدولية والاقليمية ، والمنظمات الدولية غير الحكومية ٠ ومطلوب أيضا دخول بعض التعديلات فى أهداف الحـركة وميثاقها بما يتفق مع الوضع الدولى الجديد ومطلوب من الحـركة فى الوقت الراهن أن يكون لها دور فعـال فى اصـلاح دور الأمم المتحـدة من حيث هيكلها ، وترشيد أسـلوبها ، وتعـزيز وزيادة قدرتها فى اطار الميثـاق وأحكامه ٠ وهنـاك تجارب ناجحة لمنظمات ووكالات متخصصة يمكن أن يستفاد منها مثـل مؤتمر الأمن والتعـاون الأوربى الذى طور من آليـات عمله ، واستحدث مجموعة من المـراكز واللجان التى تقوم بمهام محددة فى مجالات الأمن والتعاون الاقتصادى، والتنسيق السياسى ٠ وهذه التجـارب الناجحة يمكن أن تكون هـاديا لحـركة عدم الانحياز تستفيد منهـا ، ومن خبراتها تطوير حـركتها ، وأساليب عملهـا الجديدة ٠ كما يمكن أن يفـاد من محاولات تطـوير الحـركة التى قامت بها مصـر ، والهند ، وأندونيسيا والمحافظة على الانجازات التاريخية الهـامة للحركة والمبـادىء التى أفرزتها كالاستقلال السياسى ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول غير المنحازة وحق الشعوب فى التنميـة والاستقلال ٠

مؤتمـر جاكرتا وحصـاد قراراته :

وتعقد الحـركة مؤتمرها (العاشر) فى أوائل شهر سبتمبر ١٩٩٢ فى جاكرتا فى أوضـاع جديدة ودقيقة فى الحيـاة الدولية المتغيـرة ، ولعـله من الدلالات الهامة أن يعقد المؤتمر فى أندونيسيا احـدى طلائع الحـركة ، والتى ساهمت بدور بارز فى ارسائها تاريخيا على أمل أن يكون هذا المؤتمـر بداية لهذا الدور الجديد ، وهذه الوظائف المتطورة التى ينبغى أن تضطلع بها الحـركة ويؤكد انعقـاد هذا المؤتمر جدوى استمرار حـركة عدم الانحيـاز مع تأكيد أهميـة تطويرها بما يعطى دولها وشعوبها قـوة فى مواجهة تحديات جديدة وقد أصدر المؤتمر فى نهاية اجتماعاته وثيقـة هامة سماها « اعـلان جاكرتا » اشتمـل على رسـالة من حركة عدم الانحياز الى العـالم تعبر عن وجهات نظر الحركة بشـأن مختلف القضـايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى العـالم النـامى ، والجنوب بالاضـافة الى مواقفها بشـأن القضـايا الاقليمية الرئيسية على السـاحة السياسية ، ومنها الشرق الأوسط وجنوب أفريقيا والصـومال ٠

كمـا قبلت الحـركة فى هـذا المؤتمـر عضـوية أربـع دول هى أوزبكستان ، وبروناى ، والفلبين ، وبورما ليرتفع بذلك أعضاء الحركة الى ١٠٨ دولة ٠

ولنـا على اجتماعات هذا المؤتمر وقراراته ملاحظتان هامتان :

أولا : لقد سعت فى اجتماع وزراء خارجية دول عدم الانحيـاز التى سبقت اجتماع رؤساء الدول بعض الدول الاسـلامية الى طـرد جمهورية الصـرب والجبل الأسود من الحركة وعلى رأسها الهند٠

ان بقيـة الدول الاسـلامية لم تقف فى المؤتمر موقفا صلبا وتصر على طرد يوغسلافيا من عضوية المؤتمـر ، ولقد كان هذا هو أقل واجب أمام ما يفعـله الصـرب بالمسلمين فى البوسنة والهرسك بعد أن تنكرت دولة الصـرب لمبـادىء عدم الانحياز ٠ لقد كان الأمل معقودا أن يخرج مؤتمر القمـة العاشر لدول عدم الانحياز بقرارات تعالج قضية البوسنة والهرسك ٠ وكل ما صدر عن المؤتمر بشـأن هذا الموضـوع هـو تكليف وزراء خارجية دول عدم الانحيـاز عندما يجتمعون فى نيويورك على هامش الدورة الجديدة للجمعية العـامة فى شهرى سبتمبر وأكتوبر ببحث مسـألة أحقية جمهورية الصـرب بخـلافة يوغسلافيا فى مقاعدها فى الأمم المتحدة وفى التجمعات الجغرافية والسياسية الأخرى ٠

ان الفرصة الوحيدة المتـاحة أمام يوغسلافيا للبقاء هى احترام حق المسلمين والكروات فى الاستقلال والحـرية ، وعدم التدخل فى شئونهم الداخلية ، ولكن يبدو أن القيادات الصـربية المتعصبة أرادت أن تجعل من المذابح فى البوسنة والهرسك شهادة منهـا بخروجها على مبـادىء الحـركة وقيمها الأساسية ٠

ثانيـا : لم تحتـل المسائل الاقتصادية مكانة هامة فى مؤتمر جاكرتا ، لأن النهضـة الاقتصادية سواء فى أفريقيا ، أو فى آسيـا هى قاعدة للأساس فى الدول الأفروآسيوية فى الميادين الاخرى سواء فى الميدان السياسى أو الاجتماعى، أو الثقافى، وأنه فى اليوم الذى تتوصل فيه شعوب دول عدم الانحيـاز الى التغلب على العـوز الذى تعانى منه سوف لن يصبح هناك مبرر واحد للجوء الى أية دولة كبرى وبدون نهضـة دول عدم الانحياز اقتصاديا ستبقى هذه البلدان دون شك لقمة سائغة أمام الرأسمال الأجنبى٠



الفصل السابع

دخول القوات الأمريكية الى الصومال
بين الغبطـة والخـوف

دخـول القـوات الأمريكية الى الصـومال
ببين الغبطـة والخـوف

بارك العـالم دخول القوات الأمريكية الى الأراضى الصومالية يوم الأربعاء التاسع من ديسمبر ١٩٩٢ م بقـرار من مجلس الأمن فى مهمة اغاثة لاطعـام الجوعى ، وانقـاذ شعب طحنته الخـلافات والنزاعات المسلحة بين الفصـائل والقبائل المتنـاحرة ، بعد أن فشلت المنظمـات الدولية ذات العـلاقة القوية بالصومال فى التدخل ووقف القتـال بدءا بجامعة الدول العربية ، ومـرورا بمنظمة المؤتمر الاسلامى ، وانتهـاء بمنظمـة الوحدة الأفريقية ٠

ويبارك ـ ولا شك ـ كل من يحرص على أن يظل الشعب الصومالى العـربى المسلم على قيد الحيـاة هـذا التدخل الذى فرضته المنظمـة الدولية ، وتم بمقتضاه ارسـال القوات لوقف القتـال وضمان وصـول امدادات الغذاء للجوعى الذين يتساقطون جوعا بالمئـات كل يوم خاصة بعد أن أعلنت الأمم المتحدة أن ٣٠٠ر٠٠٠ (ثلاثمائة الف صومالى) ماتوا جوعا خلال هذا العـام ، وأن هناك مليون ونصف المليون مهددون بالموت جوعا اذا لم تصلهم امدادات الاغاثة سـريعا ، وحوالى ٧٠٠ر٠٠٠ (سبعمائة ألف) قتلوا فى الحرب الأهلية ٠

إن كل عربى يقبـل دخول القوات الأمريكية المسلحة الى الصومال طالمـا ظلت العمليـة فى اطار أهدافها المحددة والمعلنـة وهى انقـاذ الضحايا ، ولكننا نحذر فى الوقت ذاته من أن يتسـع التفسـير لحـق التدخل الانسـانى ليشمل مناطق أخرى مجاورة فى المستقبل ٠ وعندئذ يصبح الوجود العسكرى حتى ولو كان يحمـل أعلام الأمم المتحدة وجودا مشكوكا فى نواياه وأهدافه ٠

ومقبول أيضـا أن تخالف القوات التى دخلت الى الصومال الشرعية الدوليـة بدون طلب من الصـول بشكل يتعارض تعارضـا صريحا مع مبدأ ثابت أقـره ميثـاق الأمم المتحـدة وهو عدم جـواز التدخل فى الشئون الداخلية لأية دولة دون استدعاء أو اذن من السلطات الحـاكمة فيهـا ، والا كان ذلك خرقا لسيادتها وارتكابا لعدوان عليها ٠

على أن بعض فقهاء القانون الدولى يرون أن هذا الحظر لا يعد حظرا جامعا مانعا كما يقول المناطقة اذ قد توجد بعض الحالات التى يسوغ فيها استعمال القوة المسلحة خاصة اذا أضفى مجلس الأمن بقرار له صفة الشرعية على هذه الخطوة بقصد تغليب واجب الدفاع عن حقوق الانسان على حق السيادة المطلق ٠

ومن ناحية أخرى يذهب بعض المحللين السياسيين الى أن التدخل الأمريكى فى الأزمة يشكل منعطفا جديدا فى مسارها ويؤكد عدم فاعلية الدور العربى ممثلا فيما قامت به جامعة الدول العربية من جهد ضعيف ، والدور الدولى ممثلا فيما قام به مجلس الأمن والأمم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة المؤتمر الاسلامى مما أتاح لأمريكا والحلفاء التدخل وتعريض المصالح العربية فى القرن الأفريقى لمخاطر الاحتواء الأجنبى ، خاصة وأن هذا العدد من القوات الذى بعثت به أمريكا كبير للغاية بالنسبة للصومال وحجمها ولا يتفق مع هذه المهمة ٠

ويتردد سؤال : الى متى سوف يستمر بقاء القوات فى الصومال ؟ وتجيب أمريكا بقولها : ان مهمة قوات المارينز الأمريكية تنحصر فى تسهيل وصول الامدادات واطعام الجوعى فهى مهمة انسانية وهذا كلام معقول ومقبول ، لكن البعض الآخر يحذر ويتخوف من أن المهمة ذات الغطاء الانسانى قد تتحول بالضرورة الى مهمة سياسية ذات أهداف معينة ، خاصة فى هذا الموقع الهام والحساس فى القرن الأفريقى ٠

ان هذا التخوف هو الذى دعانى الى أن أعنون هذا الفصل بأن دخول القوات الأمريكية الى الصومال يثير الغبطة لكنه فى نفس الوقت يثير الخوف ، خشية أن تكون من وراء هذا التدخل أهداف ودوافع غير معلنة من بينها البقاء والهيمنة ٠ أسجل ذلك رغم أن أجهزة الاعلام الأمريكية سمت هذه العملية بعملية اغاثة الصومال ، وصورتها على أنها عملية انسانية بحتة يقوم بها رجال أمريكان طيبون باسم أمريكا لا باسم الأمم المتحدة ٠

تأخير التدخل الأمريكى حتى نهاية ١٩٩٢ يثير التساؤل :

ان تغيير خطط أمريكا المفاجئة وتقريرها التدخل بعد أن كانت ترفض ذلك من قبل أوقع كثيرا من المحللين السياسيين فى حيرة . فقد صرح كولن باول فى العام الماضى بأن مجرد فكرة تدخل لا تطرأ على بال أى مسئول فى أمريكا ، وقد رفضت أمريكا المشاركة حتى فى ارسال الاغذية الى الصومال فى الصيف الماضى .

لقد عملت الولايات المتحدة على استمرار الوضع متدهورا فى الصومال ، ورفضت معالجته يوم كانت المعالجة الجزئية تجدى وتركت الأمور تستفحل والمأساة تتفاقم بما يسمح ويبرر عملية الاحتلال . لقد كان فى وسع الولايات المتحدة ودورها فى قيادة النظام الدولى الجديد لا ينكر أن تضع حدا لهذه المأساة منذ بدايتها لكنها تاخرت كثيرا ولا شك أن رجال الاطفاء أكثر فعالية عند بداية الحريق عما لو كان هذا الحريق قد امتد وأتى الى الحى كله .

أقول ذلك لأن أمريكا تعرف كل ما كان يدور فى الصومال فهى التى قدمت السلاح لزياد برى بكميات كبيرة فى الثمانينيات وظلت تقدمها الى وقت قريب ولم تتوقف الامدادات الا فى عام ١٩٨٨م ، وهى التى أيدت الصومال خلال فترة الحرب الباردة . ووصلت العلاقات بين أمريكا والصومال الى الحد الذى جعل زياد برى يعرض موافقته على اقامة قاعدة عسكرية بريطانية فى الصومال فى ميناء « بربرة » على الشاطىء الصومالى .

لقد كان اندلاع الحرب الأهلية وانتشار المجاعة يشكلان مبررا كافيا للتدخل ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية لم تسمح لأحد بالتدخل وعطلت أى تحرك عربى من الجامعة العربية أو من منظمة الوحدة الافريقية لاعداد المسرح الدولى وحتى تنشر تليفزيونات العالم صور الأطفال والنساء والعجائز يحتضرون جوعا كى تفتح الطريق أمام التدخل الأمريكى بجدارة . لقد تركت واشنطن الوضع يتعفن ويستفحل دون أن تبادر أو تسمح حتى لأحد أن يبادر أو يتحرك لفعل شىء . لماذا لم يستيقظ ضمير أمريكا وضمير العالم قبل ذلك ؟

لماذا الصومال وليس البوسنة ؟

وفى الوقت الذى تتحرك فيه الولايات المتحدة لانقاذ الجوعى فى الصومال لا تتحرك لانقاذ الذين يقتلون فى البوسنة ، وتتترك هذه المهمة للقوات البريطانية . والفرنسية . ان البوسنة دولة مستقلة معترف بها من الأمم المتحدة لها سيادتها على أراضيها تتعرض لعدوان بربرى فاضح تقوم به دولة مجاورة ورغم ادانة الجميع للصرب لكن العقوبات الفعلية غير مسموح بتنفيذها ويكفى التهديد ، والشجب ، وعدم الموافقة . لماذا الصومال ، وليس البوسنة ، أو ليبيريا ، أو بيرو ، أو بورما ، أو جنوب السودان ؟ ، هل لأن تنفيذ العملية فى الصومال أيسر ؟ أم هل لأن الاعلام نهض بدور أساسى فى تنبيه المجتمع الدولى الى مأساة الصومال بالذات ؟ وهل يصلح الاعلام أصلا لبناء حكم تقرير التدخل ؟ أو هل أريد بعملية الصومال ايجاد مبرر لتحاشى التدخل فى البوسنة بسبب صعوبة العملية ومخاطرها ؟ رغم الحاح الدول الاسلامية وحثها على ضرورة تدخل عاجل .

يجيب عن بعض هذه الأسئلة (جوناثان ايال) الذى يعمل فى المعهد الملكى المتحد للخدمات فى لندن بقوله « ان العملية الخاصة بالصومال قفزة هائلة من حيث الاسراع الى نجدة البشرية ، وهو أمر ضرورى من الوجهة الأدبية » ونقول نحن ان هذا الأمر يصدق أيضا على البوسنة ، ان الاجابة ببساطة هى أن الغرب ولاسيما امريكا على استعداد للتدخل فى منطقة ما دون الأخرى ، وتمثل الأمم المتحدة ورقة التوت المشروعة ـ كما يقول جوناثان ايال ـ والملاذ الأخير الذى تلجأ اليه الحكومات كى تشرع فى هذه المهام حينما تناسبها .

ويوافق (بول بيفر) فى نشرة جينز الدفاعية الأسبوعية على هذا الرأى قائلا لوكالة (رويتر) (ان الطريقة التى تتم بها معالجة هاتين الأزمتين تثير أسئلة فى غاية الخطورة وشكوكا بشأن الطريقة التى تعمل بها الأمم المتحدة) .

ويعجب الانسان عندما يستمع الى تعليق كولن باول على هذا الموضوع حيث يقول : « ان الجريمة القصوى تبرر العقوبة القصوى والتدخل العسكرى السريع ، والجرائم الصغرى كما يحدث فى البوسنة تحصل على تعاطفنا وليس جنودنا . وهناك أناس يذبحون فى حروب أهلية فى ليبريا وموزمبيق ، والبوسنة ، ونشعر بعقدة الذنب لعدم

تدخلنا . ولكننا نفهم انه اذا تدخلنا فى كل مرة تقع فيها جريمة قتل سوف نصاب بالاعياء سريعا ...

ان الصرب يطردون المسلمين من البوسنة لكن الطرد ليس استئصالا . وقد يكون الطرد أفضل من البقاء فألمان الفولفا وتتار القرم (طردهم ستالين) ثم سمح لهم بالعودة الى ديارهم وهم فى منفاهم بقوا على قيد الحياة وكانوا فى حال أفضل من العديد من مواطنيهم الذين تركوا وراء الستار الحديدى .

ان التطهير العرقى قد يبدو فظا وبربريا لانه ينتزع الارض من سكانها الاصليين ، لكنه ليس ابادة مثلما يحدث فى الصومال » .

هذا هو منطق باول كما نشره (تشارلز كورثمر) فى (انترناشونال هيرالد تربيون Herald Tribune فى ١٧ من ديسمبر ١٩٩٢م) فهو يرى أن جريمة الصرب فى حق البوسنة جريمة صغرى لا تستحق التدخل انما تستحق الأسف والاستنكار وأن طرد الصرب للمسلمين من ديارهم لا يعد ابادة بل ان تركهم ديارهم ربما يكون أفضل لهم من بقائهم .

ان الحقيقة التى لم يذكرها كولن باول وغيره تتركز فى أن الغرب يريد أن يقول انه من غير المسموح به أبدا قيام دولة اسلامية فى قلب أوروبا ، وكل ذلك يدعونا الى القول : أن أسلوب التدخل كأداة لاحتواء العنف بات قريبا من الانهيار اذا كانت الولايات المتحدة جادة فى معالجة المشاكل ليس فى الصومال فحسب وانما فى البوسنة وكمبوديا ، وفى كل مكان ، وستظل المزاعم الخاصة باقامة نظام عالمى جديد مقولة جوفاء إلا اذا كان الكيل بمكيال واحد دون تفريق .

تفسيرات دخول امريكا للصومال

تعددت التفسيرات التى ترددت بشأن دخول القوات الامريكية للصومال ويمكن ايجازها فى :

أولا : ترجع بعض التفسيرات دخول امريكا للصومال الى شخصية الرئيس الامريكى بوش باعتبارها الباعث الاساسى لعملية الغزو ويتفرع عن هذا التفسير احتمالان **الأول** إن الرئيس بوش أراد أن ينهى حياته

السياسية بصورة مشرفة تنفض عنه غبار هزيمة الانتخابات وهزيمة عدم قدرته الاطاحة بالرئيس صدام حسين فأراد أن يذكره مواطنوه وأن يذكره العالم أجمع بانه أنهى حياته الرئاسية بعملية انسانية أنقذ بها شعبا من براثين الجوع والعنف والاحتمال الثانى ٠

يرد ذلك الى شخصية بوش الانتقامية فهو يريد الانتقام من الرئيس المنتخب كلينتون بتوريطه فى أزمة دولية جديدة ربما يصعب الخروج منها فى أمد قريب لاسيما اذا وضعنا فى الاعتبار ضعف خلفية الرئيس المنتخب فى مسائل السياسة الخارجية والصراع الدولى ، ان مثل هذه العملية تحرج الرئيس كلينتون كما قد تورط ادارته مستقبلا فى التزام خارجى بينما بنى حملته الانتخابية كلها على أن تكون الأسبقية فى سياسته المستقبلية لمشاكل امريكا الداخلية ٠

ثانيا : يذهب التفسير الثانى الى أن السياسة الامريكية بدخولها الصومال تنفذ بعض الأهداف لحساب بعض حلفائها الاقليميين الذين أقضت مضاجعهم تطورات ميزان القوى فى القرن الافريقى وبخاصة فى اثيوبيا ، فبعجز هذه القوى الاقليمية عن التعامل مع الوضع هناك لجأت الى الحليف الأقوى ، وصاحب العصى الأغلظ ليقوم بتطويع تلك الدول بما يضمن كسر شوكتها وانقيادها لتلك القوى الاقليمية ، ولذلك فمن المحتمل أن تمتد آثار التدخل الأمريكى للصومال الى اختراق حدود اثيوبيا وارتريا والشمال الافريقى بهدف تسكين التحركات التى لا ترضى عنها بعض القوى ، خاصة بعد أن أصبح الاسلام عند واشنطن هو العدو الأول الدولى البديل عن الشيوعية ٠ وقد دعا كل ذلك بعض المراقبين الى القول بأن امريكا بدأت بالعراق ومن بعده جاء الصومال والدور على الأرجح قادم على السودان ، فمهما تنوعت الأسباب ، واختلفت المبررات لكن النتيجة فى معظم الاحوال واحدة ٠

ثالثا : استمرار تأكيد أن ذراع النظام الدولى الجديد بقيادة امريكا طويلة وقوية ويمكن أن تصل الى أى مكان فى العالم حتى ترضخ دول العالم وتتأكد أن امريكا لاتزال تمثل القوة العظمى الوحيدة القادرة على تشكيل النظام الدولى الجديد ٠

وهذا التفسير ينفى أن يكون بالضرورة لأمريكا مصالح ملموسة فى الصومال أو فى القرن الأفريقى أو فى افريقيا وانما يكفى أن يكون الصومال مسرحا لمغامرة جديدة تؤكد مبدأ الهيمنة الأمريكية على العالم ٠

رابعا : مواجهة النفوذ الفرنسى والاوروبــى فى افريقيا وهــذه سياسة أمريكية معروفة بدأت منذ سنوات ٠

خامسا : يميل هذا التفسير الى الأخذ بجميع التفسيرات السابقة فهو يرى أن الحقيقة ربما تكون مزيجا ممـــا ذهبت اليه التفســيرات الأربعة السابقة ٠

الوضع الراهــن واحتمــالات المسـتقبل :

يمكن القول بأن الولايات المتحدة هى قائد عملية دخول الصومال بلا منازع وهى التى اكسبت عملية الدخول الشرعية الدولية ، وحشدت لهــا التأييـــد ٠

وقد وافقت واشنطن تحت ضغوط من عدة دول فى الأمم المتحدة على اشراك المنظمة الدولية بصورة أكبر فى قيـــادة العملية الخاصـــة بالصومال ، ومن قبل تمت حرب الخليج تحت قيادة كاملة من الولايات المتحدة ٠ وعلى النقيض لم تحقق دول اسلامية نجاحا يذكر فى سعيها للحصول على تأييد عسكرى من الأمم المتحدة للسكان المســلمين فــى البوسنة الذين يبــادون يوما بعد يوم من دولة الصرب المعتدية ٠

ومن الواضح فى الوقت الراهن وجود خلاف بين امريكا والأمــم المتحدة حول العملية التالية للاغاثة وهـــى تجريد كل الفصــائل من أسلحتها فامريكا تعارض أن تبدأ هى هذه المهمة وتريــد أن تتركهـــا للمنظمة الدولية عندما تبدأ قيادة عملية بناء الصومال ٠ وترى المنظمة أن الوجود الدولى المكثف كفيل باعــادة السلام الى الصــومال وأنــه لا وسيلة الى السلام الا بنزع السلاح ، ومن هذا المنطلق يؤيــد كثير من الصوماليين بقاء القوات الدولية بحجمها الذى يضم ثلاثين دولة حــتى تعود الأوضاع الى طبيعتها وحتى تعاد بصفة جزئية البنية التحتية للدولة الصومالية الجديدة ٠

وفى تقدير كثير من المهتمين بأوضاع الصــومال أن اســـتقرار الأوضاع الأمنية فى الجنوب والشمال يتطلب أكثر من ثلاثة أشــهر اذا راعينا أن الأمن لن يتحقق الا اذا تم تجريد الميلشيات من أسلحتها ٠

وقد نجحت الترتيبات التى أعدتها الأمم المتحدة فى عقــد لقـــاء مصالحة بين الزعيمين المتناحرين على مهدى والجنرال عيديد وبحضور

الأمم المتحدة وتبنى اتفاق من ست نقاط ، اتفقا فيه على وقف اطلاق النار وأظهرتهما شاشات التليفزيون العالمية وهما يتعانقان بعد ان ظلا يرفضان كل النداءات التى وجهت اليهما حتى من الممثل الشخصى للأمين العام للأمم المتحدة ، وبدون أن ندخل فى التفاصيل فإن هذين الرجلين يتحملان أكثر من غيرهما مسئولية الدمار الذى لحق بالصومال بعد التخلص من حكم سياد برى ، وقد خرج الأمر من يد الطغمة المتصارعة وعصابات نهب المعونات الدولية فى الوقت الراهن بعد أن تعرض شعب الصومال لمجاعة أتيح لتليفزيونات العالم كله مشاهدة بشاعتها ، ان قتالهما وما سبباه للشعب يعد جريمة ضد الانسانية تبرر محاكمتها على غرار محاكمات نيورمبرج لمرتكبى جرائم النازية فى الحرب العالمية الثانية .

ويتحدث المثقفون الصوماليون فى الوقت الحاضر عن الحاجة الى ابقاء العاملين الأمريكيين فى البلاد لمدة عام على الأقل لأن الأوضاع تحتاج لمثل هذا الوقت حتى يصبح فى الامكان حل مشكلة المجاعة ، ونزع السلاح ، والبدء فى عملية اعادة البناء السياسى ، كما يتحدثون عن اعادة فتح المدارس ، وتوفير التدريب المهنى للجماعات المسلحة ورصف الطرق على أن يتم ذلك تحت اشراف الولايات المتحدة بدلا من الأمم المتحدة التى لا يكن لها العديد من الصوماليين أى احترام .

وبشأن المستقبل تتردد تساؤلات منها : هل سيأمر الرئيس بوش قواته بالانسحاب فى موعد تنصيب الرئيس المنتخب بيل كلنتون يوم ٢٠ يناير ؟ ويثار سؤال آخر هل تتسلم الأمم المتحدة ادارة الأمور وتقوم بفرض وصاية على الصومال تمتد الى عدد من السنين ، وهذا يعنى عند البعض وضع الصومال تحت استعمار من نوع جديد .

ويشبه الذين ينادون بفرض وصاية الأمم المتحدة الصومال بمرآة عملاقة تهشمت الى ملايين القطع الصغيرة التى تحتاج الى اعادة تجميعها من جديد والصاقها فى مكانها الصحيح فى اطار المرآة القديمة ولكى يحدث شىء من ذلك لابد من فرض وصاية الأمم المتحدة على الصومال حتى يمكن اعداد قوات شرطة محايدة ، واعادة بناء الهياكل الرئيسية لمجتمع متحضر مثل المؤسسات الدينية ، والمنظمات النسوية وما شابه ذلك . « التايمز مقال بعنوان الصومال فى حاجة الى وصاية تمتد عشر سنوات ، فى ١٩٩٢/١٢/٢) » .

وعلى الرغم من أن الصومال دولة متجانسة من حيث اللغة والدين والعرق الا أن النظام العشائرى القبلى المتعصب هو الذى ينظم العلاقات فى الصومال ، وتحتفظ الذاكرة الصومالية بمقولة قديمة قد تفسر الوضع الحالى هناك وهى المقولة التى تترد على ألسنة البدو فى الشرق الأوسط وتقول « دنا مع بلدى على الغرباء ، ومع قبيلتى على بلدى ، ومع عشيرتى على قبيلتى ، ومع أسرتى على عشيرتى ، ومع اخى على بن عمى ، ومع نفسى على آخى » .

وتجرى الاستعدادات الآن لعقد الاجتماع التمهيدى فى أديس أبابا يوم ٤ يناير ١٩٩٣م لوضع الأسس الضرورية لانعقاد مؤتمر المصالحة الوطنية الصومالية تحت رعاية دولية بمشاركة الدول العربية ، ودول الجوار الجغرافى . وسوف يحضر اجتماع اديس ابابا الذى دعا اليه الأمين العام للأمم المتحدة كل الفصائل الصومالية (١١ فصيلا) وممثلون عن جامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة المؤتمر الاسلامى ، واللجنة الدائمة للقرن الافريقى ، وحركة عدم الانحياز . ويعد هذا الاجتماع تمهيديا للمؤتمر الأكبر الذى سيعقد فيما بعد فى زمن ومكان يتفق عليهما فى ضوء نتائج الاجتماع التمهيدى وتطورات كافية لتحقيق الغاية من عقده .



الفصل الثامن

عنصرية أوروبا ضد المسلمين

- موجة العنصرية والنزاعات العرقية المتطرفة تجتاح أوروبا
- استمرار هجوم حليقي الرؤوس النازيين علي الأحياء التركية في المانيا

موجة العنصرية والنزاعات العرقية المتطرفة تجتاح أوروبا

مدخـــــل :

يذكر كثير من المحللين السياسيين أن من بين الأسباب التى ساعدت على تفكك الاتحاد السوفيتى ظهور العنصرية والنزاعات العرقية والقومية المتطرفة فى جمهورياته · ونفس هذه القوميات والعرقيات هى التى أثارت الحرب الأهلية فى يوغسلافيا ، ثم انتقلت الى أجزاء كثيرة فى أوروبا ، بل ان أوروبا لم تشهد موجات من الحركات اليمينية المتطرفة ، والعنصرية مثلما تشهده فى الوقت الحاضر خاصة وأن الدول الأوروبية تمر الآن بقضايا حرجة ومنعطفات خطيرة ·

لقد بدأت الجماعات العرقية فى أنحاء كثيرة فى أوروبا فى الظهور بعد أن تم قمعها خلال فترة الحرب الباردة ، وقد حذر المستشار الألمانى هيلموت كول الدول الأوروبية من ظهور وتفشى الاتجاهات القومية والعرقية المتطرفة ووصفها بالأرواح الشريرة التى تقف حائلا دون التحرك الأوروبى الجماعى تجاه الوحدة الأوروبية ، وأكد كول أن التقسيمات العرقية داخل القارة الأوروبية لاتزال الخطر الأول الذى يهدد استقرارها مشيرا الى أن هذا الخطر أصبح اكثر وضوحا فى أوروبا عما هو فى الاتحاد السوفيتى السابق · ودعا كول فى مقال نشرته صحيفة « فيننشيال تايمز » البريطانية الى اسراع الدول الأوروبية نحو تكوين كتلة سياسية واقتصادية واحدة تقف حائطا قويا ضد القومية المتطرفة التى ظهرت فى أوروبا مع نهاية الحرب الباردة ، وأكد كول انه من الخطأ الاعتقاد بأن تلك الصورة القبيحة التى تشهدها أوروبا من القومية والعصبية والمغالاة فى الوطنية تقتصر على منطقة البلقان وحدها مشيرا الى أن بلاده تعانى منذ فترة من هجمات النازيين الجدد ضد اللاجئين الأجانب ·

أيـن يحدث ذلـك ؟

يمكن القول بأن دولا كثيرة وصلت اليها حمى النزاعات القومية والعرقية المتطرفة بحيث لم تسلم دولة من ظهور شكل أو آخر من أشكال هذه العنصرية البغيضة ، ظهر هذا التطرف فى المانيا على يد جماعات نازية عرفت باسم « ذوو الرؤوس الحليقة » أو « النازيون الجدد »

يحــدث ذلك فى الجزء الذى كان يطلق عليه « المانيا الشرقية » قبــل التوحيــد ، كما يحدث فى القسم الغربى من ألمانيا حيث يعيش ما يزيد على ٩٥٪ من العمال الاجانب ، وما يزيد على ٨٠٪ من طالبى اللجــوء السياسى ، ونجد فى ألمانيا نفسها قوى كثيرة تتعصب لقوميتها وتحمل العداء للاتحاد النقدى ، ولأى تكامل أوروبى أبعد من ذلك .

نجد هذا التطرف فى **فرنســا** حيث برزت الجبهة الوطنية بزعامة جان مارى لوبين زعيم المعارضة ، وتطالب بجعل فرنسا للفرنسيين وطرد الجزائريين منها ، وهذه الجبهة أقوى حزب سياسى معارض فى القارة الأوروبية ، وقد حقق ١٤٪ من أصوات الناخبين فى فرنسا .

وفى **النمســـا** نجح حزب الحرية الذى يرأسه جورج هايــدار فى كسب تأييد الكثيرين الى الحد الذى أصبح فيــه يهدد ائتــــلاف اليمين واليسار الذى يحكم النمســـا .

وفى مدينة « ولز » النمساوية ألقى شبان نمســــاويون قنــــابل المولوتوف الحارقة على ملجأ يقيم فيه ١٠٠ شخص من اللاجئين وفى **ايطــاليا** برزت حركة الجماعة الشمالية بزعامة قائدها (ابيرتوبوسى) والتى بدأت تكتسب شعبية كبيرة خاصة فى شمال ايطاليا الذى تطالــب هذه الجماعة بفصله عن جنوبها الفقير والفاسد ، واظهــــار أن رومـــا الفقيرة غير مؤهلة لحكم منطقة الشمال الغنية والصناعية .

وفى مدينة تورينتو الشمالية ظهر اعلان كبير فى شهر ديســـمبر ١٩٩٢ وضع من قبل الجماعات الشمالية المتطرفة يقــول الاعلان الــذى نصبوه فى مكان عام « أيها الايطاليون الجنوبيون ، كونوا شــجعانا ، وعودوا الى جنوبكم ، لكى تحاربوا المافيا » .

كما توجد فى ايطاليا جماعة متطرفة أخرى من اتبـــاع الرؤوس الحليقة وهى جماعة معادية للسامية وتطالب بطرد كل الساميين من ايطــــاليا .

وفى **بريطانيــا** بدأت الأحــزاب اليمينية المتطرفة تأخذ اتجاهات ثقافية وذلك من خلال جماعات الروك الغنائية التى تمجد النازيين وقد لقيت هذه الجماعات بعض التأييد من مختلف القطاعات الشعبية فى بريطانيا .

وفى **بلجيكا** برز حزب « **الفلامنكى** » وقد أصبح له أنصاره ومؤيدوه ويطلق على أبنائه اسم « **الوطنيين** » .

وفى **هولندا** ظهرت حزب يمينى صغير يطلق عليه « الديمقراطيون الوسطيون » .

ولا يخفى ما حدث فى **تشيكوسلوفاكيا** من انفصال بين التشيك والسلوفاك الأمر الذى أدى الى تقسيم الدولة الى قسمين ، فى وقت يشعر فيه السلوفاك بالحزن والشك والقلق من عواقب ذلك الطلاق المخملى الهادىء الذى جاء تلبية للمطامع الشخصية للقيادات السياسية أكثر منه تلبية لرغبة الشعب ، فالشعبان لم يمنحا حق ابداء رأيهما فى استفتاء حول الانفصال وانما تحدد مصيرهما فوق الموائد الخضراء . وتعود قصة هذا الانفصال كما تذهب « الصنداى تايمز » الى مطالبات السلوفاك بمزيد من الحكم الذاتى وهو الموقف الذى عززه انتخاب فلادمير ميشهار رئيسا لوزراء سلوفاكيا ، وبعد قرون من البقاء داخل امبراطوريات كبرى لا يزال الاحساس بالقومية كبيرا بين السلوفاك .

وهناك عنصرية تشيكوسلوفاكيا ضد امارة ليشتنشتاين الذين يتحدثون الألمانية فقد نظرت اليهم تشيكوسلوفاكيا على أنهم المان ، فى وقت يرفض فيه أمير ليشتنشتاين أن يكون ألمانيا أو تشيكيا . ويطالب بأرض امارته من تشيكوسلوفاكيا وامارة ليشتنشتاين عضو فى رابطة التجارة الأوروبية الحرة وتخشى أوروبا أن ينفذ أميرها تهديداته لأن الامارة تتمتع بحق التصويت ، وقبول عضو جديد فى الرابطة يجب أن يتم بموافقة جماعية من الأعضاء وبذلك يحول دون قبول انضمام تشيكوسلوفاكيا الى الرابطة وتملك دولة ليشتنشتاين حق الفيتو أمام تشيكوسلوفاكيا الى الرابطة .

وما يحدث فى يوغسلافيا من تصفية عرقية يقوم بها الصرب ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك وكرواتيا خير مثال على هذه العنصرية والنزعة العرقية التى تجتاح أوربا .

ومما يزيد من حدة العنصرية البغيضة والتطهير العرقى المخيف الذى يجتاح منطقة البلقان عجز وفشل السوق الأوربية فى معالجة الكارثة الضخمة التى تتطور فى البلقان وجنوب شرق أوربا والتى يمكن لها بسهولة أن تقوض السوق الأوربية والناتو ، ولا يقوم الأوروبيون الغربيون بأى مسعى للحيلولة دون اتساع نطاق الحرب من يوغسلافيا السابقة الى كل البلقان .

نار العنصرية تحرق مسلمى أوروبا :

يتزايد عدد المسلمين فى أوروبا عاما بعد عام ففى تقرير نشرته مجلة « جيل المستقبل عام ١٩٨٨ » التى يصدرها اتحاد الطلبة المسلمين فى أوروبا أوضح تطور عدد المسلمين فى أوروبا وجاء فيه أن عدد سكان ألبانيا ثلاثة ملايين و ١٤٣ ألف نسمة منهم مليون و ٧٥٠ مسلما ، وفى بلجيكا يبلغ عدد السكان تسعة ملايين و ٨٧٨ ألفا منهم ٢٥٠ ألف مسلم ، وفى بلغاريا ثمانية ملايين و ٩٨٦ ألفا منهم ٧٫٠٠٠ ألف مسلم ، وفى الدانمارك خمسة ملايين و ١٣٠ ألفا منهم مليون و ٦٦٦ الف مسلم ، وفى فينلندا ٤ ملايين و ٩٥١ ألفا منهم ١٥٠٠ مسلم ، وفى فرنسا ٥٥ مليونا و ٨٧٤ ألفا منهم مليون و ٩٥٠ ألف مسلم ، وفى اليونان ١٠ ملايين و ١٣ ألفا منهم ١٤٠ ألف مسلم ، وفى بريطانيا ٥٧ مليونا و ١٠٠ ألف منهم ٩٠٠ ألف مسلم ، وفى ايطاليا ٥٧ مليونا و ٤٤١ الفا منهم ٢٠٠ ألف مسلم ، وفى يوغسلافيا حسب احصائية عام ١٩٨١م ٢٣ مليونا و ٥٥٩ ألفا منهم ٥ ملايين مسلم ، وفى لوكسمبورج ٣٧٥ ألفا منهم ثلاثة آلاف مسلم . وجاء فى التقرير أن فى هولندا ١٤ مليونا و ٧٥٨ ألفا منهم ٢٨٠ ألف مسلم ، وفى النرويج ٤ ملايين و ١٩٦ ألفا منهم ١٢ ألف مسلم ، وفى النمسا ٧ ملايين و ٥٩٥ ألفا منهم ٨٠ ألف مسلم ، وفى بولندا ٣٧ مليونا و ٨٦٢ ألفا منهم ١٥ ألف مسلم ، وفى البرتغال ١٠ ملايين و ٢٩١ ألفا منهم ٣٠ ألف مسلم . ويبلغ عدد السكان فى رومانيا ٢٣ مليونا و ٤٢ ألف منهم ٣٥ ألف مسلم، وفى السويد ٨ ملايين و ٤٣٦ ألفا منهم ٢٥ ألف مسلم ، وفى سويسرا ٦ ملايين و ٥٧٣ ألفا منهم ٧٥ ألف مسلم ، وفى اسبانيا ٣٨ مليون و ٩٩٦ ألفا منهم ٨٠ ألف مسلم ، وفى تشيكوسلوفاكيا ١٥ مليونا و ٦٠٧ آلاف منهم ٣ آلاف مسلم ، وفى قبرص ٦٨٦ ألفا منهم ١٥٢ ألف مسلم بالاضافة الى ٥ آلاف مسلم فى بلاد أوروبية أخرى .

وهؤلاء المسلمون يتعرضون فى أوروبا لمضايقات لا حصر لها بسبب اعتناقهم الاسلام . وكثير من هؤلاء المسلمين من الترك ، والمغاربة ، والجزائريين ، والباكستانيين ومن سكان البوسنة والهرسك الذين هجروا بلادهم بعد عمليات التطهير العرقى التى قام بها الصرب . فقد جاء كثير من العمال الأتراك الى ألمانيا فى الستينيات وكانوا موضع ترحيب من الألمان ومن حكومة ألمانيا لتعويض النقص فى الأيدى العاملة لديها . أما الآن فقد تغير الوضع . ويعرف الألمان جيدا أن معجزتهم الاقتصادية ما كانت ستتحقق فى العقود الثلاثة

الماضية بدون العمال الاتراك المسـلمين الذين أصـبحوا الآن عرضـة للاضطهـاد .

لقد نجح الزعيم الصـربى سلوبودان ميلوسوفيتش فى الانتخابات التى جرت فى صربيا وتقدم على منافسه المعتدل بانيتش . وقد اكتسـح الحزب الصـربى اليمينى المتطرف بقيادة شيشيلاك الأحزاب المعتـدلة الأخـرى لأن فوجوسلاف هو الذى رفع شعار « الضـرب بالأحذية القديمة للمسلمين على أدمغتهم حتى الموت » .

ولا تقـل هذه الروح العدوانية ضد المسلمين فى المـانيا عنهـا فى صـربيا لأن اذاعة الـ B. B. C. تحدثت عن فرق البوب الجديدة فى المـانيا والتى تسمى نفسها Skin heads وكل أغانيها على نمط واحد من الصـراخ والصياح والعنف تقول احدى هذه الأغنيات :

اقتلوا أطفالهم ، احـرقوا بيوتهم ، استأصلوا شأفتهم ، خـربوا ديارهـم .

هذه هى النغمة السائدة فى أوروبا بلاد حقوق الانسـان ومعقـل الديمقراطية والتقدم والحضارة الانسانية .

وكثيرا ما تقوم فى المـانيا الجماعات اليمينية المتطرفة بالهتافات العرقية مثل « عودوا الى بلادكم أيها الشحاذون ، ارجعوا الى وطنكم أيها النفايات ، لا نريد مسلمين ، المسلمون زبالة العـالم » .
MOSLEMS ARE THE RUBBISH OF THE WORLD

ومن الحوادث المؤسفة التى قام بها هؤلاء المتطرفون الألمـان مقتل ثلاثة أتراك مسلمين بعد أن أضرم هؤلاء العنصريون النار فى منازلهم .

ومن الحوادث المؤسفة أيضـا ما حدث فى ٣ أكتوبر ١٩٩١ م فى الذكرى الأولى للوحدة الألمانية فقد ألقى ثلاثة شبان قنبـلة مولوتوف نافذة احدى الشقق التى يقيم فيهـا مهاجر لبنـانى مسلم اسمه محمد سعدو أدت الى اصـابة ابنتيه بجراح خطيرة . وقد نسبت دوائر الشرطة الحادث الى بعض السكارى وأعلنت أن بعض الشباب يخـرج من البارات ويهاجم مراكز تجمع الأجانب لمجرد اثارة المشاكل .

ويتعرض أبنـاء المسلمين الأوروبيين ، وأبنـاء الجاليات الاسلامية للضرب فى المدارس من جانب زملائهم ، وتتعرض الفتيـات المسلمات

للاغتصاب . ومن المناظر المألوفة في ألمانيا انطلاق بعض الشباب الألمان عبر الشوارع بسرعة جنونية في الأحياء المسلمة وعندما تمر هذه السيارات بفتاة ، يمد الشباب من ذوى الرؤوس الحليقة الذين بداخلها رؤوسهم من نوافذ السيارة ويوجهون للفتاة الشتائم والكلمات النابية وتحتوى هذه الشتائم في أغلب الأحيان على مساس بالقيم الدينية .

وتزود الأمهات في بعض مدن ألمانيا المتعصبة الأطفال بالحجارة ليشاركوا فد رجم البنايات والمحال التى يقيم فيها العرب والمسلمون .

لماذا هذا العنف ؟

تنصب الاجابة عن هذا السؤال على ألمانيا لوضوح وتزايد ظاهرة التطرف العنصرى فيها . يقول بعض هؤلاء العنصريين : أن الاجراءات القمعية التى كان الشباب يتعرضون لها في ظل النظام الشيوعى قبل توحيد ألمانيا لم تكن تسمح لهم بالتعبير عن آرائهم اذا كانت تتعارض مع رأى الدولة الرسمى . أما الآن فقد أضبح بامكانهم التعبير دون قيود .

لقد ساهمت الحكومة في انتشار هذه الظاهرة عندما بدأت تنشر احصائيات عدد الأجانب الذين يطلبون اللجوء السياسى مما جعل المواطن العادى يشعر أن بلاده تتعرض لغزو رهيب من الخارج ، كما كانت الحكومة تقف موقفا متساهلا ازاء اليمين المتطرف الذى يشن اعتداءات على الأجانب . ويقول هؤلاء المتطرفون : انهم يطالبون حكومتهم بترحيل الأجانب للحفاظ على نقاء الثقافة الألمانية . ويعزو بعض الألمان الموجة اليمينية المتطرفة الى ركود الأوضاع الاقتصادية بسبب الأعباء الاقتصادية التى ترتبت على الاقتصاد الألمانى بعد اعادة التوحيد ويذكرون أن هذه الموجة سوف تستمر في الانتشار مع تحسن الأوضاع الاقتصادية .

وتذكر جريدة التايم TIME في مقال لها بعنوان (التاريخ يعيد نفسه) أن « الدول الصناعية الكبرى بدأت تعانى ركودا واسع النطاق في منجزاتها الصناعية ، كما ارتفعت نسبة البطالة في هذه

المجتمعات الى حد كبير ، ولهذا راحت بعض شعوب هذه الدول تبحث عن كبش فداء تصب عليه جام غضبها فوجدت المهاجرين الاجانب » .

ولا يخفى أن التطهير العرقى الذى قامت به الصرب تسبب فى نزوح عشرات الألوف من المسلمين الى ألمانيا فقد استقبلت ألمانيا كما تذكر الجارديان The Guardian ٢٢٠٫٠٠٠ لاجىء فروا من القتال فى يوغوسلافيا السابقة ، وأن ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ألمانى عرقى يعيشون فى الاتحاد السوفيتى على استعداد اذا ما واجهوا أدنى صعوبة للرحيل الى ألمانيا . كل ذلك بالاضافة الى المقيمين بصورة غير قانونية . ويتدفق المهاجرون واللاجئون الأجانب الى ألمانية فى وقت يعانى فيه اقتصادها خاصة قسمها الشرقى من مصاعب اقتصادية ضخمة ، ولعل السبب فى تدفق هؤلاء اللاجئين يكمن فى أن القانون الألمانى يفتح أبواب حق اللجوء السياسى الى ألمانيا بقيود أقل من أى قانون مماثل للجوء فى العالم .

خطورة الاستجابة للتطرف العنصرى :

ان التطرف العنصرى فى يوغسلافيا ينادى بانشاء مناطق متجانسة تجمع الصربيين ومناطق أخرى تجمع الكرواتيين ، ومناطق تجمع المسلمين وتؤدى هذه الدعوى الخطيرة الى اتباع سياسة التطهير العرقى وهذا ما تقوم به صربيا مع المسلمين والكروات . وتكمن خطورة هذه الدعوة فى ما اذا تم منح كل مجموعة عرقية دولة خاصة بها فان فرض سيادة القانون والنظام ستصبح ضعيفة للغاية ، ونجد أن ١٠٪ فقط من ١٧٥ دولة فى العالم الآن تتميز بتجانس عرقى أما بقية الدول ففيها أثنيات واعراق مختلفة ، ولعل خير مثال جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، ولا حل لهذه المشكلات الا على أساس منح حماية دولية لحقوق الانسان وحقوق الأقليات ومنح ضمانات دستورية لحقوق الانسان فيها ، والقبول بمواد تنص على المراقبة الدولية والتوسط الدولى للظروف التى تمر بها الأقليات .

ان فكرة التقسيم العنصرى على أساس التطهير العرقى فكرة خطيرة

فنهاك مدن وقرى تم فيها التزاوج بين العـرقيات المختلفة ، كمـا أن بعض هذه المدن والقرى تقع بين حدود الدول المزعومة والتى ينـادى بها المتطرفون ، كيف يمكن تقسيم هذه المدن التى على الحدود ؟ كيف يمكن التفريق بين المجتمعات والعائلات كما حدث فى برلين والكوريتين مما يضطر البعض فى يوم من الأيام الى استخدام جواز سـفر حتى يتمكنوا من زيارة الأهل والتسوق فى النصف الآخـر مـن مدينتهم أو قـريتهم .



استمرار هجوم حليقى الرؤوس النازيين على الاحيـاء التركيـة فى المـانيا

قام النازيون الجديد يوم السبت ١٩٩٣/٥/٢٩ بهجوم عنصرى على الحى التركى فى مدينـة سولنجين الالمانية لقيت خـلاله خمس تركيات بينهن ثلاث فتيات صغيرات مصرعهن حرقا ، وأصـيب ثلاثة اطفال باصابات خطيرة ٠

وينتمى النازيون الجدد الذين قاموا بهذا الهجوم الى جماعة حليقى الرؤوس اليمينية المتطرفة أو جماعة أبناء هتلر ، ويضع بعض هـؤلاء الشبان المتعصبين وشما على سواعدهم بجانب حلق رؤسهم ٠ وهـم يطالبون بطرد جميع المهاجرين من المانيا وعلى وجه الخصوص الاتراك المسلمين ٠

لقد أضرم الشـبان الالمـان النار فى منزل الاتراك فى مدينـة سولينجن بعد أن سكبوا البنزين فى المنزل ٠ وبعد أسـبوع من هـذا الحادث المؤلم ألقى النازيون الجدد المنتمون الى حزب الجبهة الوطنية قنابل حارقة على منزل تركى فى مدينة هاتينجن الالمانية ، كما أشعل هؤلاء المتطرفون حريقا فى مطعم تركى فى وسط (كونستانس) جنوب المانيا حيث أتت النيران على المبنى الواقع فى المدينة القديمة ، وقدرت قيمة الأضرار بنصف مليون مارك آلمانى (٣١٢ ألف دولار) ٠

وتعد هذه الاحداث التى وقعت خلال شهرى مايو ويونيه ١٩٩٣م استمراراً لأحداث مؤسفة سابقة قامت بها الجماعات اليمينية المتطرفة خلال الأعوام السابقة ، فقد سبق أن قام متطرفون ألمان بقتل ثلاثـة أتـراك مسلمين بعد أن أضرموا النار فى منازلهم ، ومن الحـوادث المؤسفة ما حدث فى ٣ من اكتوبر ١٩٩١م فى الذكرى الأولى للوحدة الألمانية فقد ألقى ثلاثة شبان قنبلة مولوتوف من نافذة احدى الشقق التى يقم فيها مهاجر لبنانى مسلم أدت الى اصابة ابنتيـه بجـراح خطيرة ، بجانب ما يوجهه هذا الشباب الألمانى المتعصب من شتائم تمس فى أغلب الاحيان القيم الاسلامية ٠

وتزود الامهات فى بعض مدن المانيا المتعصبة الأطفال بالحجـارة ليشاركوا فى رجم البنايات والمحال التى يقيم فيها العرب والمسلمين ٠

ويرجع هذا التعصب ضد العرب والمسلمين فى المانيا على وجه الخصوص لأسباب عديدة منها :

- ما تعرض له هؤلاء الشباب من اجراءات قمعية فى ظل النظام الشيوعى قبل توحيد المانيا ، فلم تكن السلطات تسمح لهم بالتعبير عن آرائهم اذا كانت تتعارض مع رأى الدولة الرسمى ، أما الآن فقد أصبح فى امكانهم التعبير دون قيود .

- ساهمت الحكومة فى انتشار ظاهرة التعصب ضد الأجانب عندما بدأت تنشر احصائيات عدد الأجانب الذين يطلبون اللجوء السياسى مما جعل المواطن العادى يشعر أن بلاده تتعرض لغزو رهيب من الخارج .

- وقوف الحكومة موقفا متساهلا ازاء اليمين المتطرف الذى يشن اعتداءات على الأجانب .

- ركود الأوضاع الاقتصادية بسبب الأعباء الاقتصادية التى ترتبت على الاقتصاد الالمانى بعد اعادة التوحيد ، وارتفاع نسبة البطالة مما جعل أبناء البلد ينظرون الى الأجنبى بانه منافس غير مرغوب فيه .

ويطالب هؤلاء المتطرفون حكومتهم بترحيل الأجانب للحفاظ على نقاء الثقة الألمانية خاصة وأن هؤلاء الأجانب يحملون معهم ثقافات بلادهم الأصلية . فسواء الأتراك الذين هاجروا الى المانيا أو من خرجوا من دول افريقيا الى الغرب الى فرنسا أو الى الولايات المتحدة أو الى ايطاليا أو غيرها إما هربا من نظم مستبدة ، أو بسبب الأزمات الاقتصادية أو الكوارث الطبيعية مثل الجفاف والمجاعات أو هربا من الحروب الأهلية المتفجرة كل هؤلاء رحلوا وهم يحملون معهم ثقافات بلادهم الدينية أو الاجتماعية أو القومية .

لقد كانت الهجرة الى الغرب دائما من الأمور المتوقعة حين كانت الدول الغربية دولا استعمارية تستقبل مواطنى مستعمراتها ليعيشوا ويعملوا فى الوطن الأم ، وقد اختار بعضهم الحصول على الجنسية والاندماج فى المجتمع الى حد أن عدداً كبيرا منهم أصبح ناخبا ومرشحا .

وقد بدأت هجرة الأتراك الى برلين منذ عام ١٩٦٢م حـــين تم تشييد سور برلين الذى منع زحف الألمان من الشرق الى الغرب ، ففى ذلك الوقت فقدت ألمانيا الغربية اليد العاملة الرخيصة ، واتجهت الى المهاجرين الأجانب المؤقتين مثل الأتراك الذين كانوا يعدون فى ذلك الوقت حلفاء لألمانيا ، كما كان عمالهم جادين فى عملهم ، واستقر عدد كبير من هؤلاء الاتراك فى المانيا ، ولم يعودوا الى بلادهم ، ووصـــل عددهم فى الفترة من ١٩٧٣ الى ١٩٩٣ ـ حسبما يذكر الكاتب الفرنسى جى سورمان فى كتابه عن المهاجرين ومشكلتهم فى الدول الغربية من مليونين الى خمسة ملايين نسمة .

ولم يقف الأمر عند تواجد اللاجئين الأتراك فحسب بل استقبلت المانيا اللاجئين من بولندا ، ورومانيا وفيتنام ، ويوغسلافيا حتى وصل عدد الأجناس على أرضها الى ٦٤ جنسا بسبب أن دستور المانيا يعطى حـق اللجوء السياسى بكل يسر لكل لاجىء يعيش فى كنف الولاية التى يسكن على أرضها .

لكن هؤلاء اللاجئين لم يلقوا فى السنوات الأخيرة سواء فى ألمانيا او غيرها من دول أوروبا الترحيب الذى كانوا يتابلون به فى الماضى لتدهور الأوضاع الاقتصادية ولمنافستهم للايدى العاملة من سكان البلاد الأصليين مما جعل الجماعات اليمينية المتطرفة تهاجم وتنادى بطردهم من البلاد كما حدث فى المانيــا .

ويمكن القول ان موجة العنف ضد الأجانب امتدت الى كثــير من المدن الألمانية من هوير سفيردا الى روستوك ، ومن مولن الى سولنجين ، وأصبحت هجماتهم اكثر دموية ، وصار كل هجوم على الاتراك المسلمين وغيرهم أشد ضراوة واهلاكا من سابقه بما يشوه وجــه المانيا الجديدة ، ويجعله يثير الاشمئزاز .

ولاشك أن لتهاون الحكومة دورا فى تكرار هذه الأحداث المؤســـفة لأنها فى حوادث سابقة لم تتخذا اجراءات صارمة لمواجهة أعمال العنــف النازية اليمينية المتطــرفة ، فلم تكن العقوبات فعـــالة ورادعــة كمـــا لم تقم أجهزة المباحث والأمن بتحريات عاجلة تعقبها محاكمات سريعة ، وكأن هذه الدول توفر غطاء لموجة العنصـــرية التى ترتكبها الفئـــات والتنظيمات الأوروبية المتطرفة مما يجعل العنف العنصرى يتصاعد أكثر فأكثر .

ومن المؤسف أن مناداة أوروبا بالديمقراطية ومطالبتها بحقوق الانسان هنا وهناك لا ينسجم مع رفضها لاستقبال المهاجرين وقد يكون بعضهم أو كثيرون منهم ضحايا ديكتاتوريات لا تحترم حقوق الانسان أو ضحايا اضهاد عرقى أو دينى فى بلدانهم .

لقد استقبلت أوروبا هؤلاء المهاجرين يوم كان وجودهم لمصلحتها ومصلحة اقتصادها ، فطالما أمنوا لها يدا عاملة رخيصة حتى أن بعضهم قدم دمه وحياته للوطن الذى تعلم أن يحبه منذ أيام الدراسة . فمعجزة المانيا الاقتصادية ما كان يمكن أن تتحقق فى العقود الثلاثة الماضية بدون العمال الاتراك الذين أصبحوا الآن عرضة للاضطهاد .

لقد شجعت أوروبا هؤلاء الوافدين واستقبلتهم أملا فى أن يتغربوا ويذوبوا فى المجتمعات الأوروبية ، ولكن لانهم لم يذوبوا بالسرعة التى تمنتها أوروبا بدات دولها تعيد النظر فى سياستها من الهجرة كلها .

لقد كان يمكن للمجتمعات الأوروبية أن تقبل سمرة هؤلاء المهاجرين لكنها لم تستطع أن تهضم ولاءهم لتراثهم وتقاليدهم من حجاب ، وممارسة طقوس دينية غريبة عن تلك المجتمعات ، واتباع أنماط حياة لا تريد تلك المجتمعات أن تقبلها مثل لافتات « اللحم الحلال » التى ترفع فوق مطاعم المسلمين .

ولا يخفى أن دول أوروبا الغربية الغنية بدأت تجد أو تحاول أن تجد بديلا لليد العاملة العربية أو الاسلامية لديها فى اليد العاملة الأوروبية الشرقية الوافدة اليها من دول انهارت فيها أوضاعها الاقتصادية من بلغاريا ، ورومانيا ، والمجر ويوغسلافيا ، وغيرها .



الباب الثاني

الفصل الأول : النظام العالمى الجديد هل يخدم قضـــايا العرب والمسلمين ؟

الفصل الثانى : مأساة البوسنة في ظل النظـام العـــالمي الجديد ٠

الفصل الثالث : المسلمون في مقدونيا ٠

الفصل الأول

النظام العالمى الجديد هل يخدم قضايا العرب والمسلمين ؟

العرب والمسلمون فى مواجهة النظام العـالمى الجديد

منذ أن انهار النظام الذى كان يحكم العالم ويدير أزماته وعلاقاته ابـان سنوات الحرب الباردة ساد اعتقاد أننا دخلنا مرحلة نظام دولى جديد تنفرد بالتحكم فيه قوة عظمى وحيدة هى الولايات المتحدة ٠

وحقيقة القول أن ما نعيشه الآن مجرد مرحلة انتقالية الى نظام دولى جديد بدأت تبرز ملامحه ، وتقوم أسسه ودعائمه وبدأنا نرى فيه تعددية القوى العظمى ، وصعود التكتلات الاقليمية ، وبروز العامـــل الاقتصادى ٠

ومعنى هذا أن النظام العالمى الذى عرفناه منذ نهاية الحـــرب العالمية الثانية قد تغير ، ونحن الآن فى مرحلة المخاض التى بدأ يظهر فيها نظام عالمى جديد ٠ ولا شك أن مرحلة التحول والانتقال والتشكل تعد من أصعب المراحل فهى أصعب من سابقتها لأنها تقوم على أنقاضها ، وتكون محصلة للصعوبات التى تواجهها منطقة معينة فى فترة معيّنـة كما تكون اعدادا للمرحلة التالية ٠

وبدأت فى هذه المرحلة المنظومة الدولية تتجه نحو الانشـــقاق الى كتل كبرى هى الولايات المتحدة ، واليابان ، وأوروبا الغربية بقيادة المانيا الموحدة ، والصين الشعبية ٠

ونتج عن ذلك تعرض المنظومة الدولية لاعادة صياغة فى علاقات الجغرافيا السياسية للعديد من أقاليم العالم كأوروبا ، وشمال ووسـط آسيا ، والشرق الأوسط ٠ ومن مظاهر اعادة الهيكلة الدوليـة تحـــول الاتحاد السوفيتى الى جمهوريات مستقلة وتفكك يوغسلافيا الى عـــدد من الجمهوريات المستقلة فى وقت كانت فيــه وحدة يوغسلافيا أحـــد التوازنات الدولية بين الاتحاد السوفيتى السابق وأوروبا ، وباختفـــاء القوة السوفيتية انهارت العوامل التى كانت تقوم عليها وحدة يوغسلافيا ٠

ويفسح النظام الدولى الجديد مكانا واسعا للقوى الاقليمية النامية مثل مجموعة دول جنوب آسيا وهى تايلاند ، واندونسيا ، وسنغافورة ، وماليزيا ، وبروناى ، التى استطاعت فيما بينها تشكيل قوة اقتصادية اقليمية بقوات عسكرية مشتركة لها دورها ٠ لقد نجحت مثـــل هـذه

التشكيلات النامية فى تشكيل كتل اقتصادية تنمو بطريقة واعية فى وقت لا تملك فيه هذه القوى امكانات عسكرية ضخمة ولكن ليس هذا هو الموضوع فاثنان من أعضاء المثلث فى النظام العالمى الجديد همـا المانيا واليابان ليست لديهما هذه القوة العسكرية ، لكن أهمية هذه القوة النامية بالنسبة لاقتصاد العالم أهمية قصوى ، لكنها تستطيع بقدراتها أن يكون لها دور فعال فى الأزمات والنزاعات الدولية .

لقد أدركت أوروبا أن عالما جديدا قد ولد ، وأنه لا مكان فيه الا للتجمعات الكبيرة القادرة على حماية مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية . وقد تناسب هذه الدول أنها تقاتلت فى حربين عالميتين سقط فيها ملايين القتلى والجرحى وتجمعت هذه الدول بادراك كامل للمصالح المشتركة بين دولها ، وغلبت هذه المصالح على التنافضات الثانوية بينها .

ونجد فى نفس الوقت دولنا العربية تتناسى ما يربطها من وشائج وعلاقات قوية من لغة ، وثقافة ، وتاريخ مشترك وجغرافيا مشتركة واستمرت فى تفرقها لم تدرك ما ادركته الدول الأخرى أنه لا مكان فى هذا العالم للكيانات الصغيرة وبعد أن تردد الحديث عن الوحدة العربية على السنة الساسة العرب طوال الخمسينات والستينات نجده يتبدد فى السبعينات والثمانينيات والتسعينات .

لقد نجحت الدول الأوروبية فى تخفيف الرقابة على الحدود فى وقت لا تزال فيه الدول العربية تتمسك بالعقبات الشديدة أمام حركة الأشخاص والبضائع والأموال .

لقد احتلت المجموعة الأوروبية بتوحد دولها مكانا بارزا دوليـا النظام الدولى الجديد . والسؤال ماذا فعل العرب بصفتهم تجمعا دوليا هاما من أجل المشاركة فى تحديد معالم النظام الدولى الجديد ، ومن أجل أن تكون لهم كلمة مسموعة فى عالم الغد ، والجواب لا شىء . ولم تستفد الدول العربية من التقارب الذى حدث بين دول الوحدة الأوروبية بل انقسمت الدول العربية ابان حرب الخليج الى معسكرين ، ولم تبذل حتى الآن الجهود الكفيلة بالقضاء على هذا الانقسام ، واعادة العلاقات العربية الى ما كانت عليه قبل هذا الغزو على أقل تقدير .

لقد عبرت الشعوب العربية اكثر من مرة عن رغبتها فى الوحدة ولكن عجز حكامها عن تحقيق هذا الهدف فهى الطريق الوحيد الى القوة والتقدم واللحاق بالعصر .

ان مصالح الدول العربية المشتركة ، وطبيعة عصر التكتلات الذى نعيش فيه أهم وأبقى من مصالحها المنفردة . وعندما تتحقق هذه الوحدة بأى شكل من الأشكال سوف يكون للعرب دور فى النظام الدولى الجديد ، وسوف يخشانا العالم ويقيم لنا ألف حساب خاصة وأن النظام العالمى القديم كان وبالا على العرب . فمنذ النظام العالمى الذى ولد بانتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ وما تلاه من بلقنة الوطن العربى ، وتنفيذ الحلفاء لاتفاقية سايكس بيكو ، ووعد بلفور ، والنظام الذى نشأ منذ صبيحة أنتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، وما تلاه من تأسيس دولة اسرائيل فى فلسطين ، واستنزاف الموارد العربية فى حروب متتالية مع الكيان الصهيونى . ومعنى هذا أن النظام القديم لم يحمل للعرب الا مضاعفات سالبة والأمل كبير فى أن يتعلم العرب فيواجهون النظام العالمى الجديد باستراتيجية القوة ولا يمكن ان يصلوا الى القوة الا بالوحدة ، وما لم يملك العرب وسائل هذه القوة فانهم سيظلون أسرى للاستغلال من جانب من يملكون هذه القوة . والقوة فى الوحدة والديمقراطية والشورى والتكنولوجيا ، والاقتصاد .

ان ما أصاب العالم العربى من نكسات فى ظل النظام الدولى السابق كان أساسا من تدبير الغرب . فقد اختار الغرب بعض المناطق العربية وزرع فيها قنابل التركيبات البشرية والعرقية القابلة للاشتعال والتى لم تلبث أن اشتعلت بالفعل وخلفت وراءها ومازالت جروحا لا يعلم سوى الله متى يمكن أن تندمل ولعل خير مثال لذلك ما حدث فى لبنان ، والعراق ، والصومال والسودان . لقد ترك الاستعمار الغربى فى هذه البلدان قنابله الزمنية التى تنفجر فى الوقت الحاضر ويأتى الغرب وبالحاح منا فى بعض الأحيان لكى يحتوى تداعياتها .

ان الخرائط السياسية البشرية التى صنعها الغرب للوطن العربى فى ظل النظام القديم احتوت منذ البداية على بذور التوتر والصراع . وقد غزاها الغرب قبل وبعد رحيله بما أدى الى انفجار معظمها ، وأخذ يبيع السلاح لكل أطرافها بشكل محكوم يمنع حسمها ، ومن ثم امتدت واستنزفت قدرا هائلا من موارد وطاقات الوطن العربى .



الواقع العربى والاسلامى فى مواجهة النظام العالمى الجديد

تدخل الدول العربية فى تقسيم العالم الى شمال وجنوب فى الجزء الجنوبى من الكرة الأرضية ، وحتى عام ١٩٩٠ كـان موقـع الصراعات من أجل تحرر بعضها من استعمار دول الشمال لها وسعيها للحصول على الاستقلال . وحتى بعد أن حصلت معظـم بلدان الجنـوب على استقلالها استدرجت لمحاربة بعضـها البعض احيانا بسـبب الحـدود المصطنعة التى تركها المستعمرون الشماليون قبل رحيلهم بلا منطق من الجغرافيا أو التاريخ أو الاجتماع أو الاقتصاد ، وأحيانا اخرى بسبب بنـاء الدولة المستقلة وأحيانا بسبب قضايا اجتماعيـة أو ثقافيـة أو عرقيـة .

وتأتى الدول العربية فى مقدمة دول الجنوب فى الصراع المسلح والخلافات منـذ عام ١٩٤٥ .

وفى دراسة حديثة « أن سكان منطقتنا لا يتجاوزون ثمانيـة فى المائة من سكان العالم ، وعلى الرغم من هذا فقد استحوذنا على حوالى أربعين فى المائة من صراعات العالم المسلحة » .

وكثير من صراعاتنا المسلحة من النوع الممتد فالصـراع العـربى الاسرائيلى تجاوز عمره أربعين عاما من سنة ١٩٤٨ ، والصراع فى جنوب السودان تجاوز ستة وثلاثين عاما من سنة ١٩٥٦م والصراع العـربى الكردى فى العراق تجاوز ثلاثين عاما من بداية الستينات ، والصـراع الأهلى اللبنانى دام لاكثر من خمسة عشر عاما (١٩٧٥ - ١٩٩٠) ، والصراع على الصحراء الغربية بين المغـرب والجزائر والبوليساريو تجاوز خمسة عشر عاما من ١٩٧٦ ، والصـراع الليبى التشادى دام اكثر من عشر سنوات ، منذ أواخر السبعينات الى أواخر الثمانينيات .

يضاف الى الصراعات الممتدة صراعات أخرى مسلحة تعد قصيرة نسبيا اذا قيست بالصراعات السابقة رغم أنها كانت كثيفة فى خسائرها مثل اشتباكات الحـدود التى حدثـت بين شـطرى اليمن قبل الوحدة ، أو فى الشـطر الجنوبى نفسه سـنة ١٩٨٦ ، أو بين الصومال وأثيوبيا حول أوجادين أواخر السبعينات ثم فى الصومال نفسها منذ عام ١٩٩١ ،

ثم جاءت الطامة الكبرى المتمثلة فى حرب الخليج وما نتج عنها من أنقسام حـاد فى الصف العربى ٠

وليس معنى هذا أن دول الشمال المتقدمة لم يحدث بينها صراعات ، بل حدثت مثل هذه الصراعات فى ظل الحرب الباردة لكن الفرق بينهـا وبين صراعات الجنوب انها لم تكن صراعات مسلحة بينما كانت فى دول الجنوب ومازال صراعات مسلحة ٠ وقد تمخضت كل هذه الصراعات التى حدثت عن انهيار القوة العسكرية العراقية ، وبروز مؤشرات قوية عـلى تفكك النظام الاقليمى العربى ، وانهيار مفهوم الأمن القومى العربى ، والعرب لايزالون مفككين لم ينجحوا فى بناء أى نوع من أنواع الوحدة ناهيك عن الوحدة الشاملة ٠

نعم يملك العالم العربى الكثير من القدرات والامكانيات وفى يديه كثير من أوراق الضغط التى يمكن استغلالها لكن هناك فرق بين من فى يـده قدرات وامكانيات وبين من يستطيع ويحسن استخدام هذه القدرات بحيث يكون له دور فى النظام الدولى الجديد ٠

لقد بات من المسلم به أهمية العامل الاقتصادى فى النظام العالمـى الجديد ، ولكن اذا نظرنا الى الدول العربية وهى تواجه النظام العالمـى الجديد سنجد اقتصادا مفككا غير متجانس ، فبينها فـــروق كبيرة فـى مستويات النمو والدخل وأعداد السكان ، وحجم السوق ٠ ومن المؤسف أن يدخل العرب الى السوق العالمى بغير تنظيم اقتصادى يوحد ويدعم قوتهم أمام التكتلات الاقتصادية الجديدة التى باتت تشكل أبرز ملامـح النظام العالمى الجديد ٠

ويدعونا هذا الى التساؤل ماذا فعل مجلس الوحـــدة الاقتصادية المنبثق عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ؟ لقد كان الأمل معقودا على قيامه بتحقيق التعاون الاقتصادى بين الدول العربية ارهاصا الى قيام السوق العربية المشتركة لتصبح ركنا فى بناء نظام اقتصادى عربى يأخذ مكانه فى النظام العالمى الجديد ٠

وهذا الواقع العربى الممزق جعل دولة كالولايات المتحدة الامريكية تتعامل مع العرب كدول منفردة ممزقة تعيش فرادى بعد أن أهتز مفهوم التضامن العربى ، وجعل (فوكوياما) صاحب أشهر كتاب فى السنوات

الأخيرة وهو كتاب (نهاية التاريخ) يذكر أن العرب والمسلمين سيظلون لعدة عقود قادمة المصدر الرئيسى للقلق والتوتر والخطر فى النظام العالمى الجديد حتى أنهم أطلقوا على بلادنا العربية اسم « هلال الأزمات » لكنهم فى كتبهم وبحوثهم ودراساتهم وتحليلاتهم لا يتعرضون لمسئولية الغرب أو الشمال فى جعل منطقتنا العربية والاسلامية مركزا للتوتر والقلق .

ان حقائق الحياة فى العالم المعاصر تعلن بوضوح أنه لامكان فى هذا العالم الا للكيانات الكبرى ، والموارد الضخمة والتكتلات السياسية والاقتصادية الأمر الذى يحتم على الدول العربية أن تبحث لنفسها عن صيغ للتعاون فيما بينها حتى تستطيع أن تجد لنفسها مواطىء قدم فى هذا العالم الذى بدأت تسوده التكتلات الاقتصادية الكبرى مثل الوحدة الأوروبية والسوق الأوروبية المشتركة ، ووحدة الولايات المتحدة وكندا والمكسيك .

والدول العربية مدعوة على الفور أن تبدأ مرحلة من التعاون الثنائى والجماعى لاستثمار ثرواتها ، وتوحيد صفوفها وسياساتها حتى تحتل موقعها فى النظام العالمى الجديد ويكون النظام العالمى الجديد بداية أن يضع العالم العربى نفسه فى المكان الذى يستحقه على خارطة العالم .



هل يمكن أن يكون للعرب وللمسلمين دور فعال في النظام العالمي الجديد ؟

من المسلم به أن لدى العالم العربى امكانات وقدرات كثيرة لكنه لم يحسن استغلالها والانتفاع بها حتى الآن اذ تحتل بلدانه موقعا استراتيجيا بين الشرق والغرب وما يجمع بين بلدانه أكثر مما يفرق ، وأهم ما يجمع بين بلدانه بجانب الجغرافيا والتاريخ ووحدة اللغة التى تعنى وحدة الثقافة والفكر والرؤى ، ومالنا لا ناخذ العدة من ألمانيا فقد وحدتها وحدة اللغة ، فقد كانت ألمانيا منذ قرنين مجزأة ٣٥٠ امارة مستقلة ، وقد ظهر مفكر عظيم يدعى فشته وضع مؤلفا سماه « حديث الى الأمة الألمانية » قال فيه : ان الرباط الذى يصل بين كل أبناء هذا الشعب هو اللغة الألمانية فالمواطن الألمانى هو الذى يتحدث اللغة الألمانية . وقد التقط هذا الخيط المستشار بسمارك الذى قام بعد ذلك بستين عاما بتوحيد ألمانيا فظهرت مرة جديدة ماردا فى قلب أوروبا .

واذا كان من الصعب أن نقارن بين الوضع فى العالم العربى وفى الامبراطورية الألمانية الممزقة فى بداية القرن التاسع عشر فان هناك تشابها هاما هو وحدة اللغة .

ويرى الجنرال جاكوا خبير الاستراتيجية الفرنسى أن العرب يمكن أن يكون لهم دور فعال فى النظام العالمى الجديد استنادا الى ما يملكون من مال وثروة بشرية كبيرة وموقع جغرافى متميز لكن ينقصهم كما يقول روح الوحدة والاقتناع بالمصالح المشتركة للعالم العربى .

ويتكرر هذا القول فى كتابات كثير من المفكرين الغربيين باعتبار أن العرب أصحاب رسالة تؤهلهم ليستحقوا مكانة لائقة فى أى ترتيبات دولية جديدة لكهم لم يجدوا طوال القرون الثلاثة الأخيرة الا كل استغلال . فالأمة العربية بما تملكه من امكانيات وحضارات وكثافة سكانية ستظل على هامش النظام العالمى الجديد اذ لا مكان لدول تعيش فرادى متناحرة ، فلم يع العرب بعد ضرورة توحيد الصف ، والاجتماع حول أرضية من المصالح المشتركة ووضع خلافاتهم فى حجمها ، ومحاولة تصفيتها فى ضوء المصالح الكبرى المشتركة .

ومن المؤسف أن كبار المسئولين فى العالم العربى لم يتوصلوا بعد الى الصيغة الملائمة التى تتيح لهم فرصة توحيد كلمتهم على الساحة الدولية فيكون لهم مكان وثقل على الصعيد الدولى ، ولا نرى من مسئولى كثير من الدول العربية بدرجات متفاوتة سوى تغليب المصالح الضيقة والمباشرة لبلادهم التى قد تفيد فى الأجل القصير لكنها قد تؤدى الى الخسارة فى الأجل البعيد .

وقد أدركت الدول الأوروبية هذه الحقيقة فنجحت فى بناء صرح أوروبى اقتصادى بطريقة ملموسة على الرغم من بحار الدماء التى سالت فى الحروب التى قامت بينها خلال القرون الماضية خاصة فى الحربين العالميتين الأولى والثانية . وسيؤدى هذا الصرح الاقتصادى فى المستقبل الى قوة سياسية كبرى من المتوقع أن تؤدى دورا حاسما فى العالم فى بداية القرن المقبل .

ان انفراط عقد العالم العربى لن يجعل لنا دورا فعالا فى المرحلة المقبلة . وسيجعل المفاوض العربى ليس بالقوة التى يمكن أن يكون عليها لو كانت تسنده جبهة قوية بتوحدها ، ويبدو أن الطريق مازال طويلا للوصول الى اليوم الذى تدرك فيه جميع الدول العربية أن مصالحها المشتركة أهم وأبقى من مصالحها المنفردة ، وعندئذ يخشانا العالم ويقيم ألف حساب لرأى العرب ووجهة نظرهم خاصة فى قضية الشرق الأوسط التى طال عليها الأمد الى ما يناهز نصف القرن ، وعندئذ يمكن أن يكون لنا دور فاعل فى النظام العالمى الجديد .

ان الانتكاسات التى مرت بالأمة العربية حولت الكلام عن الوحدة العربية والمطالبة بها الى حلم ، وهذه الانتكاسة الأخيرة اذا لم نأخذها بجدية ونسارع فى علاج الكسور ورأب الصدوع فسوف نجد هدف الوحدة تحول من حلم الى خيال بدلا من أن نحوله من حلم الى واقع .

ولا زالت الفرصة مواتية كى يكون للعرب دورهم الفاعل فى النظام العالمى الجديد لو سلطنا الضوء على ورقتين رابحتين **الأولى :** بديهية كل دولة فى السيادة على أراضيها ، وضمان حدودها وحقها فى ثرواتها ، والدفاع عن أمنها واستقرارها وهذا ما ينادى به ميثاق الامم المتحدة ، وميثاق جامعة الدول العربية ، والعدوان على هذا الحق يؤدى الى أزمات ومشاكل نحن فى غنى عنها لأنها تأخذ

من جهد ووقت العرب ما كان يتحتم عليهم توظيفه لقضـايا أكثر أهمية، وأشد الحـاحا .

والورقة **الثانية** : القناعة الراسخة لدى الجميع بأن ما يجمع العرب أكثر مما يفـرقهم ، وأن عوامل الوحدة والتكامل أقوى وأشد من عوامل الفـرقة والخـلاف .

ان من طبيعـة الأشياء أن نختلف ، وأن نتجادل ، وأن نتحاور ، ولكن المحظور الذى يجب أن يعمـل النظـام العربى الجديد على تفاديه هو أن نتخاصم ونتصادم ونتقـاتل ونتبادل السباب والشتائم عند كل أزمة أو مشكلة تواجهنا .

ان بلادنا العربية جـزء من كيان عالمى كبير تجـرى حاليا عملية اعـادة بنـاء نظامه الجديد ، ولا يمكن أن نظل بمنـأى عن التكيف مع اتجاهات رياح التغيير التى تهب على العـالم ، ومن الخير أن تكون مفردات لغـة نظامنا العربى الجـديد قابلة للفهم ، ومتجاوبة مع روح العصـر الذى لم نعد نملك ترف التخلى عن اللحاق به وبأدواته .

وليكن واضحا أيضا أننا جزء من نظام اقليمى تشـاركنا فيـه أطراف غير عربية لهـا مصالحها ، وأيضـا لها مطامحها ومطـامعها المشـروعة وغير المشروعة .

ويفضل بعض كتاب العرب سيناريو تعدد الاقطـاب فى النظـام العالمى الجديد . فقد عانى العرب كثيرا من الاستعمار الغربى التقليدى فى القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القـرن العشـرين ، ومن عمليات الاستغلال الاقتصادى للاستعمار الحديث بعد ذلك فى الشمـال والعـالم النـامى فى الجنوب ، كما عانت الدول العربية من الانحياز الكامل لاسرائيل فى المحـافل الدولية .

وكانت دول العـالم الثالث ومن بينها غالبية الدول العربية تستفيد فى ظل الحـرب البـاردة من تناقض المصالح بين المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى حتى أنها أقامت تحالفـا مع كتـلة الدول الاشتراكية التى أمنت لها مظلة حماية عن طريق استخدام النقض من قبـل الاتحـاد السوفيتى فى مجلس الأمن ، وعن طـريق التصويت الى جانبهـا فى الجمعية العـامة للأمم المتحدة . والآن وبعد الوفاق بين موسكو وواشنطن

وانفراط عقد كتلة الدول الاشتراكية أصبحت دول العالم الثالث مكشوفة امام أطماع الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين . خاصة وأن الدولة التى تتصدى لزعامة النظام العالمى الجديد تكيل بمكيالين وميزانين نرى ذلك فى التصدى لمشكلة البوسنة والهرسك وحرب المسلمين فى مواجهة دولة الصرب الغاشمة ، ونرى ذلك فى التعامل مع العدو الاسرائيلى وفى انتهاك الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى استرداد أرضه .

كيف يمكن اذن الاطمئنان الى زعامة من هذا النوع وهل يمكن لها أن تضمن للعالم الاستقرار والأمن ، ذلك الاستقرار الذى لا ينطوى على حالات من الظلم تتفاعل وتتحين الفرص لتعبر عن نفسها بأعمال عنف تجر وراءها ضحايا بشرية ومادية .

وأخيرا ينبغى أن يبنى العرب جزءا من هذا النظام العالمى الجديد ، ولا نترك ذلك لمجموعة قليلة من الدول تستأثر به وحدها ، ثم نقول بعد ذلك ان هذا النظام وضع على أسس ظالمة وغير منصفة، وانه تجاهل حقوقنا ومصالحنا وقضايانا ولم يدعونا الى الاشتراك معه فى عملية البناء . نحن مدعوون للاسهام فى تكوين هذا النظام بملامسه الأساسية لأنه يقوم على توازن بين قوى معينة ، ولن ننجح فى هذه المساهمة الا بدخولنا الى هذا النظام صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .



الولايات المتحدة الأمريكية
والنظام العالمى الجديد

خرج الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش ابان أزمة الخليج بفكرة جديدة دعما منه لدعوته من أجل تدخل عسكرى دولى ضد العراق سماها « النظام العالمى الجديد » .

وتضمنت فكرة بوش فى ذلك الوقت خضوع القوى للمساءلة اذا اعتدى على الضعيف ، ورعاية حقوق الانسان وحمايته من الاضطهاد ، وقيام الولايات المتحدة الأمريكية القطب الدولى الوحيد بتوفير القيادة المطلوبة للنظام العالمى الجديد من خلال الاجماع الدولى وتحت مظلة الأمم المتحدة .

وقد أبرزت قيادة أمريكا للجيوش التى اشتركت فى حرب الخليج الدور الجوهرى الذى يمكن أن تقوم به الولايات المتحدة فى السياسة الدولية ، لما لها من نفوذ خاصة بعد تراجع القوة السوفيتية واستسلامها ثم تفككها .

لقد تمت حرب الخليج تحت قيادة كاملة من الولايات المتحدة ، وبرزت فيها شعبية الرئيس بوش الذى نادى بالنظام العالمى الجديد وقصد به نظاما عالميا أحادى القطبية يهيمن عليه القطب الأمريكى وحده .

وهناك سؤال يتردد وهو الى أى مدى يمكن أن تتربع الولايات المتحدة على قمة النفوذ الدولى ؟ وترتبط الاجابة بتنامى القوى الدولية الأخرى خاصة أن مجموعة من الدول الكبيرة أحرزت معدلات من التقدم الاقتصادى والتكنولوجى والوزن السياسى والثقافى الكبير ، ولا شك أن هذه الدول الكبيرة تهيمن فى الوقت الحاضر بجانب أمريكا على النظام العالمى سواء من خلال عضويتها الدائمة فى مجلس الأمن بجانب أمريكا مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا ، والصين أم بسبب قوتها الاقتصادية الضخمة مثل اليابان ، وألمانيا ، وكوريا ، والبرازيل ، وكندا ، ودول شرق آسيا الأخرى . وهذا يدعونا الى القول بتعدد القوى العظمى ، وصعود التكتلات الاقليمية الى مكانة بارزة فى هذا النظام الجديد .

وحتى أولئك الذين يذهبون الى أن الولايات المتحدة أصبحت هى القوة الوحيدة التى تمارس نفوذها وسيطرتها الا أنهم فى الوقت نفسه يذهبون الى أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تمارس نفوذها الا بموافقة وتعاون قوى أخرى ، وهو ما أوضحته حرب الخليج ، فقد تعين على الولايات المتحدة أن تحصل مبدئيا على موافقة الامم المتحدة على هذا التدخل ، وتعطيها قرارا بذلك ، وكانت موافقة روسيا ، والصين ، ومصر ، وسوريا ضرورية كى تقوم بهذا التدخل. ويؤكدون أن الولايات المتحدة على الرغم من أنها قوة عظمى لكنها ستكون دائما فى حاجة الى تأييد الآخرين لتمارس سلطاتها .

وكما فعلت الولايات المتحدة فى حشدها لتأييد الدول وأخذها موافقة الأمم المتحدة فى حرب الخليج فعلت كذلك فى عملية الصومال، وهذا ما دعا دولا نامية كثيرة الى القول بأن الأمم المتحدة موجودة كأداة للغرب .

وفى الوقت الذى تبعث فيه الولايات المتحدة بقواتها الى الصومال ترفض أن تبعث بها لوقف القتال فى البوسنة والهرسك كما تقول أمريكا خشية أن يزج بها الى مستنقع يصعب عليها الخروج منه مع اقتناعها بضرورة وقف المذبحة التى تحدث فى يوغسلافيا السابقة . وهذا ما دعا بعض الدبلوماسيين الى القول بأن المزاعم الخاصة باقامة « نظام عالمى جديد » ستبدو مقولة جوفاء اذا استندت قرارات التدخل الى الحسابات العملية فقط .

لقد أوصلت حرب الخليج الرئيس السابق بوش الى شعبية لم يسبق ان حصل عليها رئيس امريكى من قبل حتى بدا أن انتصاره فى انتخابات ١٩٩٢ أمرا مؤكدا . لكن جاءت انتفاضة (لوس أنجلوس) لتظهر أن شعبيته بدأت تتآكل وتتضاءل نتيجة تردى الأوضاع الاقتصادية ، واستحكام الكساد ، واستشراء التوترات العرقية والعنصرية .

لقد كشف التدهور الذى أصاب الاقتصاد الأمريكى أن أمريكا غير مؤهلة لتصبح قطب « النظام العالمى الجديد » الأوحد . وأن حرب الخليج كانت لها ظروف استثنائية مكنت الرئيس السابق بوش من أن يصور أمريكا فى صورة « القطب الأوحد » مع افتقارها الى أسانيد القوة الداخلية ـ الاقتصادية بالذات ـ التى تؤهلها لهذا المركز لقد حمل بوش أطرافا أخرى : دول الخليج ، واليابان وأوروبا قسطا

وفيرا من أعبـاء الحرب ، كما حيد الاتحاد السوفيتى ومعنى هذا أن حـرب الخليج وما حققته الولايات المتحدة منها بأنها القوة العسكرية الوحيدة ، وأن أوضـاع أمريكا الاقتصادية المتردية لا تنـال من هـذه الحقيقة ، ثم جاءت أحداث لوس أنجلوس لتكشف خلل هذا المنطق .

ويذهب كثير من السياسيين الى أن من يتابع تطور الأحداث داخل حلف الأطلنطى يتضـح له أن الدور الأوروبى الآن فى السيطـرة على مقاليد الحلف ، وفى تحـركه السياسى يتفوق على الدور الأمريكى ، فألمـانيا وفرنسا تقومـان بدور أهم بكثير من الدور الأمريكى بالنسبة لموقف الحلف من الحـرب الدائرة فى البوسنة والهرسك . كما يذكرون أن الحجم العسكرى والسياسى للدور الأمريكى داخـل حلف الأطلنطى سوف يقـل مع انخفـاض حجم القوات الأمريكية الى مائة ألف جندى ابتداءا من عام ١٩٩٣ مما سوف يجعـل الولايات المتحدة قـوة ثالثـة داخل الحلف بعد الفرنسيين والألمـان . من المتوقع أن يظـل الوجود الأمريكى فى أوروبا ، لكن لن تكون هنـاك أى سيطـرة أمريكية على دول أوروبا فى المستقبل .



الملامح والمعالم فى ظل النظام العالمى الجديد

اقتصرت الحرب الباردة فى النظام العالمى القديم على هيمنة قطبين كبيرين هما الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى . وكان احتكارهما للهيمنة على المقاليد بسبب دورهما الحاسم فى هزيمة دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية (وهى ألمانيا ، وايطاليا ، واليابان) وبسبب مساحتهما الشاسعة ، ومواردهما الضخمة ، وكثافتهما السكانية الكبيرة وقوتهما العسكرية التقليدية الضخمة ، وأهم من كل ذلك لسبق هاتين الدولتين فى امتلاك ترسانة نووية رهيبة وفى غزوهما للفضاء .

وظل العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تحكمه قوتان متصارعتان لم يكن معروفا فى بادىء الأمر من سوف تكون له فى النهاية الغلبة على الآخر .

ومنذ ذلك الوقت بقى النظام الدولى تتنازعه قوتان أحدهما الكتلة الرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة والثانية الكتلة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتى ، أو ما عرف فى قائمة المصطلحات السياسية المعاصرة باسم الكتلتين الغربية والشرقية ، واستقر الرأى على أنهما جناحا الثنائية القطبية فى قيادة العالم تهيمنان على مصير البشرية وتتحكمان فى مسيرة الأحداث الدولية .

غير أنه لعوامل شتى بدأ الاتحاد السوفيتى يتخلف فى مؤشرات القوة العلمية التكنولوجية الاقتصادية عن الولايات المتحدة وعن كل من اليابان وألمانيا . ثم يحدث ميخائيل جورباتشوف بدعوته الاصلاحية هزة لكل النظم الاشتراكية داخل الاتحاد السوفيتى وفى دول أوروبا الشرقية فى صحوة كاسحة جعلت شعوبها تستيقظ للخلاص من وطأة السياسات الشمولية والقمعية وكانت ذروة هذه الصحوة فى إندفاع ثورة الجماهير الرومانية على أشهر الحكام الشيوعيين « شاوشيسكو » الذى كان يعيش حياة القياصرة ، وتمت محاصرته ، والقبض عليه ، ومحاكمته محاكمة عاجلة ، واعدامه مع زوجته بعد أقل من أسبوع من اندلاع ثورة الشعب الرومانى . ثم ينهار الاتحاد السوفيتى ويتفكك فى نهاية عام ١٩٩٢ م ولم يبق فى النظام العالمى الا قطب واحد

مهيمن وهو الولايات المتحدة مع بزوغ وصعود كتـل ودول أخرى مثل المجموعة الأوروبية ، واليابان ، ومجموعة النمـور الجدد فى شـرق آسيا ، وان لم ترق أى منها بعد كى تصبح قطبا عالميا أعظـم يضـارع الولايات المتحـدة .

ويستنتج المتـأمل لعمليـة التغيـير فى النظـام الدولى الجديد العوامل الجـديدة لصعود وهبوط الدول والكتـل الدوليـة ، فلم تعـد العوامل التقليدية مثـل ضخامة السكان ، واتسـاع المسـاحة والمـوارد الطبيعيـة ، والقوة العسكرية هى وحدها المحددات الرئيسية لمكانة أى دولة فى النظـام العـالمى ولكن الفيصـل الحاسم هو الكفاية العلميـة والتكنولوجية ، وكفاية الطـاقة البشـرية التى تمتلكها أية دولة فهذه القدرات هى الأسـاس الراسخ للقوة السياسية والاقتصادية .

وبهذا المعنى لا تزال الولايات المتحدة هى الدولة التى تملك كلا من العوامل التقليدية ، وكذلك العـوامل الجديدة للقـوة ، ومن المقدر أن يظل هذا الحـال طوال ما تبقى من عقد التسعينات والعقد الأول من القـرن الحادى والعشرين . وهناك العديد من المؤشـرات التى توحى بأن كلا من المجموعة الأوربية بقيـادة ألمـانيا الموحدة وشـرق وجنوب شـرق آسيا بقيـادة اليابان ستصبح منافسـة جادة للولايات المتحدة ، وقد تسبقها مع نهاية العقد الأول للقرن القـادم .

وفى ظل النظـام العـالمى الجديد يتسـاءل المـرء هل من مصلحة العـالم أن ينضوى تحت لواء زعـامة قطبية واحدة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ؟ وهـل من مصلحة هذه الزعامة أن تتحمـل وحدها مسئولية التفـرد بزعامة العـالم ؟ خاصة والعـالم يرى ظهور قوى ضخمة بدأت تحتـل مرتبة الصـدارة مثـل اليابان التى برزت فى المجـال التقنى والصناعى ، والصين البـارزة بامكاناتها البشرية والاقتصادية والصناعية، ودول السـوق الأوربيـة المشـتركة التى تسعى نحو الوحدة والتفـوق فى الانتاج ، والتحـالف الجديد بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك . أليست كل هذه القـوى النـامية لها انعكاساتها على حركة النظام العالمى الجـديد بما تحمـله هذه القـوى من مفـاهيم مغـايرة لمـا يدور فى رؤوس المخططين للهيمنة على النظـام العـالمى الجديد ؟

وتشير هذه الدراسات التى صدرت حتى الآن الى أن النظام العالمى حقيقة وليس خيالا فهناك نمط جديد من العلاقات الدولية برز فعلا على الساحة العالمية ، ولم يعد الأمر محصورا فى ترقب نظام جديد . وأن هذا النمط الجديد اتسم فعلا بمتغيرات سياسية وأمنية واقتصادية ظهرت نتائجها فى جهات متعددة من العالم ، ولاسيما فى منطقة الشرق الأوسط ، وأن بعض ملامح النظام العالمى الجديد تتعارض ولو تعارضا جزئيا مع الشرعية الدولية ، وأن هذا التعارض يهمش القانون الدولى بمواده ، ومبادئه ، وتنظيماته ، وآلياته ، فقد أظهر هذا النظام حتى الآن أن المعيار للقوة المادية وليس لقوة العهود اوالمواثيق والقانون ، وان كان هذا النظام يحاول جاهدا أن يسبغ على خطواته وتصرفاته صبغة الشرعية الدولية .

ولعل من أبرز سمات وملامح النظام العالمى الجديد الاتجاه نحو **التكتلات الدولية الاقتصادية العملاقة ومن أبرز هذه التكتلات :**

أولا : المجموعة الأوربية : وتضم ١٢ دولة صناعية وتسمى « السوق الأوروبية المشتركة » ودولها متلاصقة جغرافيا فى غرب وشمال وجنوب القارة الأوروبية ويصل تعداد سكانها الى حوالى ٣٥٠ مليونا من البشر ، وتعد أقوى التكتلات على الاطلاق من حيث عدد السكان ، واجمالى الناتج لدولها مجتمعة وكذلك من حيث تقدمها الصناعى .

ثانيا : مجموعة الاسيان (جنوب شرق آسيا) : وتضم أندونيسيا ، والفلبين ، وتايلاند ، وماليزيا ، وسنغافورة ، وسلطنة بروناى ، ويصل مجموع سكانها الى حوالى ٣٢٠ مليون نسمة ، ويصل اجمالى ناتجها المحلى الى ٣٢٠ مليون دولار سنويا أى أن هذه المجموعة تعادل المجموعة الأوروبية ، ومجموعة اتفاقية التجارة الحرة الأمريكية التى سيأتى الحديث عنها من حيث حجم السكان ، وان لم يكن فى مجمل القوة الاقتصادية (حوالى عشر كل من المجموعتين) ولكن بلدان هذه المجموعة تعد أسرع نموا حيث يصل معدل النمو السنوى فيها الى ثلاثة أمثال نظيره فى المجموعة الأوروبية ، والمجموعة الأمريكية ، ومن المقدر أن تلحق بهما خلال العشرين سنة القادمة ، بل يمكن لمجموعة الآسيان أن تتفوق عليهما فورا اذا انضمت اليها اليابان وكوريا وتايوان ، وهونج كونج ناهيك عن الصين .

ثالثا : مجموعة دول منطقة التجارة الحرة : وتشمل الدول الثلاث التى تتكون منها قارة امريكا الشمالية وهى الولايات المتحدة ، وكندا ، والمكسيك ، وهى تقارب المجموعة الأوروبية من حيث حجم السكان واجمالى الناتج المحلى ، والتقدم الصناعى ، غير أنها أحدث التكتلات العملاقة ، وأصغرها عمرا ، ومع ذلك فمن المنتظر أن تنضم بلدان أخرى من امريكا اللاتينية الى اتفاقية التجارة الحرة ، لتجعل هذه المجموعة اكبر من المجموعة الأوروبية ٠

ومن الملاحظ أن هذه التكتلات الاقتصادية الكبيرة لا تلتفت الى الدول الفقيرة بل تسعى الى زيادة ثراء الدول الغنية دون الاهتمام بالدول الفقيرة ٠ حتى اتفاقية ماستريخت لا تتحدث عن البعد الافريقى لسياسة فرنسا ويتخوف كثير من الساسة من أن تطبيق هذه الاتفاقية سيحرم فرنسا من أن تمارس سياستها الخارجية التقليدية ازاء افريقيا والعالم العربى ، وتكتفى يان تلعب دورها كدولة أوروبية غنية لأن النظام الاقتصادى العالى يقوم على تركيز الثروات والحصول عليها فى مناطق معينة من العالم دون غيرها ٠ ان هذه الكيانات الجديدة التى تبلورت فى ظل النظام العالمى الجديد تتحكم بغناها فى كل ما حولها ٠

وفى ظل النظام العالمى الجديد يتم **تحقيق حلم أوروبا الموحدة** بسقوط القيود والحواجز بين دول المجموعة الأوروبية الاثنى عشرة أمام تحرك الأفراد ، ورؤوس الأموال ، والسلع ، والبضائع ٠

لقد نجحت دول المجموعة الأوروبية فى ازالة العقبات من أمام الوحدة ٠ لكن هذا الحلم الجميل كاد يتحرك فى سنة ١٩٩٢م الى كابوس مزعج عندما رفض الشعب الدانماركى التصديق على اتفاقية « ماستريخت » للوحدة السياسة والاقتصادية والنقدية فى استفتاء جرى فى شهر يونيه ١٩٩٢ ٠ وبفارق ضئيل نجا هذا الحلم الجميل من الانهيار بعد أن تغلبت « نعم » الفرنسية على « لا » وخلال شهر ديسمبر ١٩٩٢ وقفت دول المجموعة الأوروبية على شفاجرف هار مع بدء اليوم الأول لمؤتمر قمة أدنبره فى محاولة لانقاذ اتفاقية ماستريخت ، وعلى الرغم من أن كل التوقعات حكمت على قمة أدنبره بالفشل لكن المدهش أنها حققت نجاحا أعاد المجموعة الى طريق الوحدة الذى تسير عليه دون أن تتخلف احدى دول المجموعة عن هذا الركب ٠

لقد وقف كثير من الأوروبيين ضد مؤسسات مجموعة الوحدة الأوروبية خشية أن تؤدى قيادة هذه المؤسسات الى محو هويتهم الوطنية ، ولم يكن الدانماركيون والبريطانيون فقط هم الذين أعربوا عن هذه المخاوف ، وانما أبدى عدد كبير من الفرنسيين والألمان مخاوف مشابهة من أنصهار هويتهم الوطنية فى بوتقة المجموعة الأوروبية ، غير أن اصرار القادة الأوروبيين على ازالة العقبات من أمام المجموعة دفعهم الى البحث عن حلول وسط تنقذ الاتفاقية من الانهيار ، وجاءت تصريحات الرئيس الفرنسى « ميتران » لتبدد مخاوف الخائفين عندما أعلن « أن كل شىء قابل للحل » وتصريحات المستشار الألمانى « كول » « بأن قطار أوروبا لن يتوقف » ولاشك أن فى هذه التصريحات دليلا واضحا على الرغبة فى اتمام عملية التصديق على (ماستريخت) بحلول منتصف ١٩٩٣م ٠

لقد أدركت « قمة ادنبرة » هذه المشاكل ، وأعدت العدة للتعامل معها من خلال الاتفاق على منح الدانمارك وضعا خاصا ، والاستجابة لمطلبها بعدم تدخل المجموعة الأوروبية فى الشئون الوطنية لدولها مما يضمن للشعب الدانمركى التصديق على الاتفاقية فى استفتاء ثان ٠

وباستكمال قرار عدم التدخل فى الشئون الوطنية تكون المجموعة الأوروبية قد مهدت الطريق بشكل كبير امام استكمال تصديق بريطانيا والدانمارك على اتفاقية ماستريخت ٠

ولعل أهم ما برز فى النظام العالمى الجديد ظهور صراعات متعددة فى كثير من مناطق العالم مثل حرب الخليج (يناير ١٩٩١م) والحرب الأهلية فى الصومال (منذ ١٩٩١م) والحرب بين الصرب والكروات (١٩٩١م) والحرب الأهلية فى بورما (١٩٩١م) والحرب بين الصرب والبوسنة والهرسك (١٩٩٢م) ، والحرب بين تركيا والأكراد (١٩٩٢م) ، وانفجار الحرب مجددا فى انجولا (١٩٩٢م) وانفجار عدة صراعات مسلحة بين الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتى (١٩٩١ — ١٩٩٢م) كالصراع بين الأرمن وآذربيجان ، والصراع فى طاجكستان كل هذا فضلا عن استمرار عدة صراعات مسلحة كانت قد بدأت قبل انهيار النظام العالمى القديم أى قبل عام ١٩٨٩م من ذلك الصراع الأهلى المسلح فى سريلانكا والسودان ، والعراق ، والصراع بين اسرائيل المعتدية والمقاومة الفلسطينية واللبنانية الباسلة ، وعدة صراعات مماثلة فى بلدان امريكا اللاتينية ٠

وهناك صراعات أخرى ظهرت فى النظام العالمى الجـديد وان لم تـكن مسلحة لكن آثارها المادية والاجتماعية والنفسية لا تقـل عـن الصراعات المسلحة ضراوة بل ان بعض هذه الصراعات اتخذت أيضـا الشكل المسلح من ذلك صراع القوميات والاقليات والأديان ومن ذلك أيضا الصراعات الاقتصادية والتجارية ٠

ولعل أبرز الأمثلة على الصراعات القومية والعصبية الصراع الذى يتزعمه النازيون الجدد فى المانيا ضد اللاجئين مما دفـع الحكومـة الألمانية الى تعديل قانون الهجرة للحد من تدفق اللاجئين الى المانيـا ، وكذلك صراع القوميات فى يوغسلافيا المفككة ، وفى بلاد القوقاز ، وفى ليبيريا ، وانجولا ، وكمبوديا ، والصومال ، وقد ذكر الأمين العام للأمم المتحدة وجـود ٢٥ صراعا فى العالم اليوم ٠

ومن المعالم الرئيسية فى ظل النظام العالمى الجديد انحسار مبـدأ السيادة المطلقة أمام دوافع جماعة حقوق الانسان ، فحمايـة حقـوق الانسان صارت مسوغا شرعيا لاختراق جدار السيادة الوطنية لأية دولة ، فالدوافع الانسانية تأتى فى المقدمة ٠ وهذا ما فعلته الأمـم المتحـدة لتسبغ الشرعية على دخول القوات المتحالفة الى الصومال فعلى الرغم من أن البند الثانى من ميثاق الأمم المتحدة يمنع التـدخل فى الشـئون الداخلية للدولة العضو الا أن هذا البنـد تم اختراقه كمـا ذكـرت فى الصومال وفى جنوب افريقيا ونراه ينمحى تدريجيا اليوم حيث تسيطر الاهتمامات الانسانية على احترام حقوق كل دولة فى حسن أو سوء ادارة أمورها الخاصـة ٠

لقد بات واضحا فى ظـل النظام الدولى الجـديد انه ليس فى استطاعة أية دولة عظمى مهما كانت امكاناتها أن تقوم بمفردها بتوفير الأمن للعالم ومن ثم فهى مجبرة على التعاون مع دول أو إطراف أخرى لتحقيق أهداف الأمن والاستقرار العالميين ، والأمر الآخر أن الاتحاد السوفيتى مهما كانت الصعوبات التى واجهها قبـل تفككه فانه مـازال يحتفظ ببعض مقومات الدولة العظمى ولا سيما من ناحيـة القـدرات النووية والتى تسمح له بتهديد امريكا وأجزاء اخرى فى العالم ٠



النظام العالمى الجديد بين الحقيقة والخيال

مدخـــــل :

تتردد على مسامع الرأى العام العالمى عبارة « النظـــام العالمـى الجديد منذ أن أطلقها الرئيس الأمريكى السابق بوش فى مارس ١٩٩١م والتى كرر استخدامها فى خطبه وتصريحاته الصحفية والسياسية ٠

وعنى الرئيس بوش بهذه العبارة عدة أمـور منها : مساءلة القوى اذا اعتدى على الضعيف ، ورعـاية وحماية حقوق الانسـان ، وتوفير القيـادة المطلوبة للنظام العـالمى الجديد بزعامة الولايات المتحدة من خلال الاجماع الدولى تحت مظـلة الأمم المتحدة ٠

غير أن الآمال التى علقت على النبرة الخطـابية للرئيس بوش ذهبت أدراج الرياح حيث لم يفـرز النظـام العـالمى الجديد سوى مهازل فى كثير من بؤر التوتر فى أنحـاء العـالم ٠ الأمـر الذى جعـل هذا المصطلح يقترن فى معظم الأحيـان بغير قليل من الغموض والايحاءات التى زرعت القلـق فى نفـوس الكثيرين ، وجعلتهم يتلمسون السبـل لمعـرفة ماهية هذا النظام ؟ ومن هم الذين يقومون بصياغته وتشكيله ؟ ، وكيف يتسنى التعـامل الآمن معـه أو من خلاله ؟ ، وأين سيكون موقع كل دولة منـه ؟ الى آخـر هـذه التسـاؤلات التى تداخلت بصـورة لم تساعد على التوصل لاجابتها وانما أضفت عليهـا المزيد من الغموض والتعقيـد ٠

تعريف « النظام العـالمى الجديد » ومفهومه :

لم يأخذ مصطلح من مصطلحات العـلوم السياسية هذا الاهتمام وهذا الوهج على السـاحة العـالمية مثلما أخذ هذا المصطلح منذ أن أطلق كشعار انتقـالى الى عالم ما بعد القرن الحـالى ٠ وحتى هـذه اللحظة تتباين الآراء والتفسيرات حول هذا المصطلح ، فالأمريكيون مثلا لم يستطيعوا أن يحـددوا مفهوما لمعنى النظـام الجديد ، وان كانوا مشغولين بقضية ريادتهم لهـذا النظـام ، هم مختلفون فى التفسـير تعتصرهم الحيرة أمام وافد خطير لم يكن يدور فى خلدهم ٠

ومعنى النظـام لغـة أى الترتيب ، والاتسـاق ، والطريقة التى على أساسها عمـل ما بشكل ما وبانتظام وترتيب وتواتر . وعندما نقول النظـام الدولى لا نبعد عن المعنى اللغـوى كثيرا لأننا نقصـد شـكل العلاقات القـائمة بين الدول وأسـلوب التعـامل بينها ، وهى أمـور ولا شك يحكمها ويحدد ضوابطها وأبعادها حجم كل دولة ومكانتها على خارطة القـوى والمصـالح الدولية وقدرتها على التـأثير فى مجـريات الأحـداث .

وعندما نصف النظـام الدولى بصفة الجديد فهذا يعنى أن هناك نظاما دوليـا قديما وهو النظـام الذى مازلنـا نشهد فصوله الختاميـة حتى الآن .

المـــؤيدون :

لقد أعطى الرئيس الأمريكى السابق بوش تعريفا للنظام العـالمى الجديد بعد وقف قتـال حرب عاصفة الصحراء بأسبوع فى اليوم الخامس من مارس عام ١٩٩١م أمام الكونجرس الأمريكى عندما قال : « اننـا أمام نظام دولى جديد ، يبرز الى الأفق ، وعالم جديد تتحـرر فيـه الأمم من ورطة الحـرب البـاردة ، وتكون قادرة على تحقيق أحـــلام مؤسسيها الأوائل ، عالم تجد فيه الحـرية وحقوق الانسـان موطنا لها فى كل الأمم » .

ولدى أمريكا من الأسباب المنطقية ما يجعلها تطـرح هذا النظـام وتتبنـاه وتؤيده وتؤكد أنه هو النظـــام الذى ينبغى أن يكون ، وأن يسـير العـالم وفقا لأسسه دون أدنى محـاولة للتعديل أو الاعتراض . ويردد مؤيدو هذا النظام من السـاسة الأمريكيين بعض المبررات منهـا انتهـاء الشيوعية العـالمية كأيديولوجية ظلت تحكم الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشـرقية لأكثر من سبعـة عقـود ، وانهيـار الاتحـاد السوفيتى القوة العظمى الثـانية وتفتته الى جمهوريات مستقـلة الى جانب تفجـر النزعات العرقية والطائفية بين جمهورياته المنفصـلة ، وتكريس زعـامة الولايات المتحدة الأمريكية للعـالم دون منـازع بعـد قيادتها لفـريق الحلفاء المكون من ٢٨ دولة فى حرب الخليج .

ووفقا للمبررات السابقة كان لابد من وجود نظـام دولى جـديد يأخذ بعين الاعتبـار المتغيرات الدولية التى أسفرت عن وجـود قـوة عظمى واحدة ، واختفـاء القوة الأخـرى دون حاجة الى خوض حرب ذرية أو تقليدية ٠

وتعد أمريكا نفسها قائدة هذا النظـام بل قائدة العـالم يجىء ذلك على لسـان الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشـارد نيكسون فى الحـادى عشر من شهر مارس المـاضى عندما يجيب فى لهجـة تسـاؤل : « اذا لـم تقم أمريكا بقيادة العـالم فمن يقوم بذلك ؟ اليابانيون ؟ الصينيون ؟ الألمـان ؟ هذه لحظتنا من العظمة ، هذه لحظتنا من الحقيقة » ٠

ويجيب عن نفس السـؤال الرئيس جورج بوش السـابق بلهجـة الواثق : « أصبحنا القـادة ، ويجب أن نستمر على هذا النحو من مركز القيـادة ، والذين يحاولون تحدى قيادتنا للعـالم لا يفهمون كيف يتطلع العـالم الينـا كقادة » ٠

ومما يؤكد حـرص الولايات المتحدة الأمريكية على أن يعقد لهـا لواء قيـادة النظام الدولى الجديد ما جاء فى احدى وثائقها التى تولى اعدادها مجموعة من الخبـراء العسكريين والسياسيين التابعين لوزارة الدفاع فيهـا ، وتم نشـر بعض مقتطفات منها كانت كافية لتعبر عن رغبـة القيـادة الأمريكية فى أن يعلم الجميع أنهـا قائدة العـالم وأن العـالم يعيش العصـر الأمريكى باعتبار أنها القوة العظمى وعليها أن تمارس مهمات وواجبات هذا الانفـراد بالقوة ويتطلب ذلك احتفاظها بتفوقها العسـكرى القـادر على ردع أى دولة أو مجمـوعة من الدول تحاول تحدى سيطرتها ، وأن تحول بين الدول القـادرة على تحـدى تلك السيطرة مثـل المـانيا واليابان ، وبين اعادة تسليحها نوويا ، وأن يظلا بحـاجة الى الحمـاية النووية الأمريكية ٠ وأن تكون قادرة على التصـدى لروسيا فيما اذا حاولت استعـادة قدرات الاتحـاد السوفيتى السـابق والسيطرة على دول أوروبا الشرقية ، وعليها فى نفس الوقت أن تتصدى بالقـوة لأية دولة تتطلع الى ممارسـة دور اقليمى مسيطر فى اى مكان من العـالم ٠

المعـــارضون :

يذهب كثيــر من المتخصصين فى العلوم السياسية الى أن هــذا النظــام لم تقم له قائمــة بعد لأن أمريكا التى دفعت بها أحداث عــام ١٩٩١م الى قمــة العــالم لم تستقر بعد تماما فوق هذه القمــة ، وهى بالتــالى لا تستطيع أن تحدد دورها الدولى الجديد ، وقد اتضح هــذا المعنى بجــلاء خلال عام ١٩٩٢ الذى تصــادف أنه عام انتخابات الرئاسة الأمريكية فقد تفجرت فيــه (مناظرة كبرى) حــول الدور الأمريكى المرتقب ، وكشفت حوارات المنــاظرة أن الأمريكيين يتفقون على ضــرورة الاهتمام أولا وفورا بترتيب البيت من الداخــل من خــلال الانعــاش الاقتصــادى قبــل الاضطلاع بدور عالمى ٠

وفوق موجة اجماع الرأى العــام الأمريكى هذه سبح كلينتون حتى فاز بالرئاســة ، وسقط بوش بسبب الانتقادات التى وجهت اليه خاصة اهماله الشئون الداخلية على حساب الاهتمام بالسياسة الخارجية ٠

ويرى هؤلاء أنه وان كانت هناك مؤشرات عامة تدل على اتجاهات جديدة فى النظام العــالمى الا أن هذا النظام لم يستقر بعد ، ولم يتبلور بصــورة كاملة ، فالأمريكيون أنفسهم لم يستطيعوا أن يحــددوا مفهوما لمعنى النظــام الدولى الجديد وان كانوا مشغولين بقضية ريادتهم لهذا النظــام ٠ فهم مختلفون فى اتجاهاتهم ، وفى أفكارهم بين محافظين تقليديين ، وبين مجــددين واقعيين وبين هــؤلاء وهؤلاء تعتصــرهم الحيرة أمام وافد لم يكن يدور فى خلدهم ٠

ويجمع خبراء العلوم السياسية فى فرنسا على أنه لا يوجد حتى اليوم شىء يمكن أن يطلق عليــه اسم « النظام العــالمى الجديد » فهناك نظام دولى قام على أنقاض الحــرب العــالمية الثانية وتحددت معــالمه الأســاسية فى مؤتمر يالطا ، وهذا النظــام الذى حكم الانســانية لمدة تناهز نصف القــرن قد انهار مع سقوط حائط برلين ، وانفجار الاتحاد السوفيتى من الداخــل ، وانتهــاء المواجهة الأيدلوجية بين المعسكرين الشــرقى والغــربى ٠

وهناك مؤشرات عامة لمــا يمكن أن يقوم عليه النظــام العــالمى الجديد ، ويرفض غالبيــة خبراء السياســة الفرنسيين الاستسلام للفكرة

الشائعة التى تؤكد أن النظام الدولى الجديد سيكون تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن واشنطون ستشرع بمفردها فى قيام هذا النظام وقيادته .

وخبراء السياسة الفرنسيين ليسوا من السذاجة بحيث يتصورون غياب الدور الأمريكى الحاسم فى المرحلة المقبلة لكنهم يعتقدون أن هناك قوى أخرى قادرة على أن تنهض لتحقق نوعا من التوازن الدولى الذى غاب مع انهيار الاتحاد السوفيتى .

ومن هذا المنطلق العام يرى الخبراء الفرنسيون انه فى غياب حتمية ما يطلق عليه « النظام العالمى الجديد » فان كل القوى والتجمعات السياسية لديها الفرصة لأن تفسح لنفسها مكانا تحت شمس العالم الجديد الذى يتم تشكيله الآن ، وان كان لم يتشكل بعد .

ويعلق هؤلاء الخبراء على طرح الرئيس السابق بوش لما اسماه بالنظام العالمى الجديد بأنه أشبه ما يكون بحالة رومانسية مثالية تقمصت شخصية الرئيس الامريكى ثم ما لبثت أن تبددت بعد قليل على صخرة الخلافات وتضارب الآراء العالمية تجاه المفهوم الحقيقى للنظام الدولى الجديد . وما زال الباحثون والعديد من الزعامات السياسية غير قادرين على الوصول الى تعريفات عادلة ومتوازنة تكون بمثابة المشعل الذى ينير الطريق أمام من يقودون هذا النظام .

البدايات والتاريخ :

تختلف آراء المحللين السياسيين وعلماء العلاقات الدولية حول البدايات الحقيقية لظهور هذا النظام :

- فمنهم من يرى انه يرجع الى بداية الترتيبات الأمنية والاستراتيجية التى فرضتها الدول الأوروبية على بعضها البعض وعلى بقية العالم من حولها اما باتفاقيات مكتوبة ، أو أعراف غير مكتوبة ، أو بقوة الأمر الواقع . ويرمز الى ذلك بمعاهدة (وستفاليا) التى عقدت عام ١٦٤٨ بين عدد من الدول الأوروبية الصاعدة لتنظيم العلاقات بينها ، وهى أول معاهدة جماعية فى التاريخ فقد كانت المعاهدات السابقة تتم عادة بين دولتين فقط .

- ويرجعه آخرون الى خمسة قرون خلت فى بداية ارتباط كل أنحاء المعمورة بقاراتها الست ارتباطا متزايدا مع ظهور ملاحة المسافات الطويلة ، وما نتج عنها من اكتشافات جغرافية الأمريكتين واستراليا وزيادة التبادل التجارى والسياسى والثقافى بين بلدان هذه القارات الست . ويرمز لذلك باكتشاف كريستوفر كولمبس للأمريكتين عام ١٤٩٢ والذى احتفل الغرب عام ١٩٩٢ بمرور خمسمائة عام عليه . ومن هنا جاء اختيار اسبانيا التى انطلق منها كولمبس موقعا للمعرض الدولى ١٩٩٢ فى اشبيلية . وكذلك الألعاب الأولمبية فى برشلونه .

- يرى آخرون أن هذا النظام جاء على أنقاض نظام قديم بدأ العمل به منذ عام ١٩٤٥م وكان قد ظهر خلاله السلاح النووى ، واستخدم لأول مرة فى التاريخ ، كما قامت الأمم المتحدة بمنظماتها الدولية بديلا من عصبة الأمم ومولد حلفى وارسو والأطلسى ، واقتضت نتائج الحرب اخراج كل من اليابان وألمانيا من معادلة القوى العالمية المؤثرة ، كما خرجت بريطانيا وفرنسا ومعظم دول غرب أوروبا من المعادلة بسبب ما أصابها من دمار خلا سنوات الحرب ولم يبق فى الساحة سوى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ، ودخلت الدولتان على الفور فى صراع الحرب الباردة التى استمرت أكثر من أربعين عاما خاض خلالها الطرفان سباقا وحشيا فى انتاج وتطوير وتخزين كل أنواع الأسلحة . الأمر الذى أنهك القوتين اقتصاديا وجعلهما يسارعان الى الاتفاق وانهاء الحرب الباردة ، ويعقب ذلك تفكك الاتحاد السوفيتى وخروج حلف وارسو من حلبة المنافسة وسقوط نظرية الحكم الشمولى الشيوعية وبذلك سقط النظام الدولى القديم الذى ظل مسيطرا على السياسة الدولية منذ عام ١٩٤٥م حتى الآن ، وكان من الضرورى أن يحل نظام آخر جديد على أسس جديدة محل النظام القديم الذى استنفد أغراضه وهذا يعنى قيام هذا النظام بعد انتهاء الحرب الباردة رسميا عام ١٩٩٠ .

- ويذهب آخرون الى أن ميخائيل جورباتشوف هو أول من رفع شعار المناداة بهذا النظام الجديد عندما أطلق برنامجه الاصلاحى فى الشعب السوفيتى الذى كان البداية الى أفول نجمه السياسى والذى

أوصــله « الى حتفــه بظلفه » أو كما يقول المثــل العــربى القديم « جنت على نفسها براقش » ٠

وبهذا التفســير يقوم النظام العــالمى الجديد على أشلاء الاتحاد السوفيتى الســابق ٠

- ويؤكد كثير من علمــاء السياسة أن المحــك الأول لمــا أطلق عليــه النظام العــالمى الجديد هو حرب الخليج التى اجتمعت فيها لأول مرة منذ أكثر من نصف قرن كل هذه القوى والدول ٠



العـامل الاقتصادى فى النظام العالمى الجديد

لعـل من أبرز الخصائص التى يتميز بها النظام العـالمى الجديد صعود البعد الاقتصـادى ، واحتلاله مكان الصدارة فى بعض الأحيـان مكان البعد الأيدلوجى والعسكرى فى ادارة سياسـات الدول الكبرى ، وبات من الواضح أن ادارة كثير من الأزمات الدولية تحولت الى عملية اقتصادية أحيانا تعـود بأرباح كبيرة على الدول الكبرى فتنهض باقتصادها الداخـلى ٠

وأستشهد هنا لدعم هذا القول بالدراسـة العسكرية الفرنسية التى نشرت العـام المـاضى عن موازنة بين ما أنفقته كل من الولايات المتحدة ودول التحالف فى حرب الخليج ، وما عاد عليهـا منها ، وكان الفـرق يمثـل زيادة العـائد على المنصـرف بمليارات الدولارات ٠

وقد شهد الغـام المـاضى ١٩٩٢م بعض مظاهر الصـراع الاقتصادى بين المجموعة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية ، فمن المعـلوم أن بعض الحـكومات الأوروبية تقـدم دعما للمنتجين فى بلدانهـا وترى الولايات المتحدة أن هذا الدعم يعطى للمنتجين ميزة تنافسية غير مشروعة على نظرائهم فى بلدان مثل أمريكا لا تقدم مثـل هذا الدعم ٠ وقد بدأت هذه المشـكلة بعد أن دعمت المجموعة الأوروبيـة المزارعين الأوروبيين الذين يكونون كتلة سياسية انتخابية ضخمة وخاصـة فى فرنسـا وايطاليا واسبانيا ، ويعنى هذا أن يصـل انتاجهم الى الأسواق الخارجية بسعر أقـل من الانتاج الأمريكى بل ان السوق الأمريكى نفسـه يمكن أن يتم غـزوه بالسلـع الغذائية الأوروبيـة التى تصـل الى المستهلك الأمريكى بسعر أقـل من السلع الغذائية المنتجة فى أمريكا نفسها ٠ ولمـا كانت الحكومة الأمريكية ليست فى وضـع مالى يسمح لها بتقديم دعم مماثل لمزارعيها بسبب العجـز والديون المتزايدة فى ميزانية الحكومة الأمريكية فانها هددت أن تفرض تعريفة جمركية تصـل الى حوالى ٢٥ فى المـائة على الواردات الغـذائية من أوروبا ، وكان معنى ذلك أن ترتفع أسعار الأجبـان الفرنسية والنبيذ الايطالى ، واللحوم الدانماركية فى الأسواق الأمريكية بمقدار الضعف ٠ كما هددت المجموعة الأوروبية بدورها بفرض تعـريفة جمركية مشابهة لا فقط على السلع الغـذائية الأمريكية ، وانما أيضـا على عدد من السلع الصناعية الأمريكية القادمة الى بلدانها ٠

لكن هــذه الأزمــة التى حدثت بين الولايات المتحدة والمجمـوعة الأوروبية فى ظل النظام العــالمى الجديد والتى بدا واضحا أن العامل الاقتصادى وراءها أمكن التغلب عليهــا باتفاق الجانبين وافقت بمقتضــاه المجموعة الأوروبيــة على خفض المســاحات المزروعة بالبــذور الزيتيــة (الصويا ، وعبــاد الشمس ، والكولزا) من ١٢٨ر٥ ملايين هكتار الى ٥ر٤ ملايين هكتار أى خفض المزروعات بنسبة ١٠ فى المائة بمــا سيؤدى الى خفض حجم الانتاج الأوروبى من البذور الزيتيــة من ١٣ مليون طن وهو المعدل الحــالى للانتاج الى ما بين ٨ر٧ – ١ر٩ ملايين طن حسب تقــديرات « ادوارد ماديجــان » وزير الزراعــة الامــريكى أو الى حوالى ٨ر١٠ ملايين طن وهو ادنى حجم تقديرى متوقع حسب التقديرات الرسمية الفرنسية . لقد كانت هذه المعادلة التى كسرت الجمود ترتكــز على تحديد المساحة المزروعة بالبذور الزيتية بدلا من تحــديد حجــم الانتاج . لقد أزاح هذا الاتفاق بصورته التى تم بها شبح الحرب التجارية بين الطرفين . وقد أظهرت هذه الأزمة بوضوح أهمية العامل الاقتصادى فى بنــاء العلاقات بين الدول ، كما أوضحت طبيعة المعايير والاعتبارات التى تتحكم أكثر من غيرها فى العلاقات بين الدول مستقبلا ، خاصــة وان ادارة كلينتون الحالية للولايات المتحدة تغلب الاعتبارات الاقتصادية على ما عداها من اعتبارات أخرى .

ان اشتداد المنافسة الاقتصادية بين الدول الصناعية فى ظل النظام العالمى الجديد يحول دون تنسيق حقيقى فيما بينهــا لدفع الانتعــاش العالمى . وتمنع أنانية الدول الرأسمالية المتقدمة من اتباعها سياسـات اصلاحية من منظور عالمى حقيقى ، واهمال دول الجنوب والتركيز فى الدعم والعــون لاقتصاديات أوروبا الشرقية ودول كومنولــث الاتحــاد السوفيتى المنهار . ورغم كل ذلك فقد فشلت فى منع مواصلة الانهيــار الاقتصادى خاصة فى روسيا واكورانيا ودول البلطيق ، اضافة الى زيادة مظاهر الركود فى المانيا الشرقية . كما أدت سياسة تقييد التدفقات المالية للدول الفقيرة فى افريقيا من معونات أو تدفقات مصرفية الى حــدوث انكماش وركود .

ان النظام الدولى الجديد يضع العامل الاقتصادى فى المقام الأول من اهتماماته ، فلم تعد العوامل التقليدية مثل كثرة السكان ، واتساع المساحة ، والموارد الطبيعية ، والقوة العسكرية هى وحدها المحــددات

الرئيسية لمكانة الدولة فى النظام العالمى الجديد انمـــا صـارت القـــوة الاقتصادية تحتل مكان الصدارة من بين هذه العوامل ، وما يستند اليه هذا العامل من تقدم علمى وتكنولوجى .

وبهــذا المعنى لا تزال الولايات المتحــدة تملك العوامل التقليدية والعوامل الجديدة للقــوة ، ويجانبها قوى أخــرى تســرع الخطى مثل المجموعة الأوروبية بقيادة ألمـانيا الموحدة ، وشــرق وجنوب شرق آسيا بقيــادة اليابان وكلها قوى منافســة يمكن أن تسبق الولايات المتحدة مع نهاية العقد الأول للقــرن القادم .

لقد سقط النظــام العــالمى القديم بسقوط نظرية الحكم الشمولى القــائم على ديكتاتورية البروليتاريا فى الأنظمة الشيوعية وخروج حلف وارسو بكامله من حلبــة المنـافسة وتفكك الاتحاد السوفيتى ، ومن هنا أصبح ضــروريا أن يحــل نظام آخــر جــديد على أسس جديدة محــل النظام الحالى الذى استنفذ أغراضه . ولا شك فى أن العامل الاقتصادى كان السبب الرئيسى والمبــاشر فيما انتهى اليه النظــام القديم ، ومن البديهى أن يكون العــامل الاقتصادى أيضــا هو نفسه الذى يشكل المحور الرئيسى للنظام الجديد . كما يقف وراء القــرار السياسى الذى تتخذه أى دولة فى العــالم ، فقوة الاقتصــاد هى التى تحدد قوة نفاذ القرار السيــاسى ، وما كانت دول شــرق أوروبا ومعهــا الاتحــاد السوفيتى (ســابقا) تنهار وتذهب غير مأسوف عليها لو كانت اقتصادياتها قوية . وما كان العــالم الاسلامى كله وباستثناء القــلة يسبح فى فلك التبعيــة الاقتصادية لو كانت اقتصادياته متكاملة وقوية .

لكن ظهور اليابان والصين والمجموعة الأوروبية كقــوى اقتصادية متنامية تجعلنا نقول ان طبيعة النظام الاقتصادى الذى حكم العــــالم فى الفترة المــاضية قد تغيرت من نظام هيمنة القوة الاقتصادية الواحدة الى النظام متعدد القــوى . ويشبه بعض السياسيين النظــام العــالمى الجديد بمثلث أضلاعه الأمريكيون واليابانيون ومجموعة الدول الأوروبية بقيادة ألمــانيا ، وأطراف هذا المثلث هى التى تسيطر على الاقتصــاد العــالمى بما يملكونه من امكانات اقتصادية وعسكرية ضخمة .

ويمكن القول ان العــامل الاقتصادى كان السبب وراء فشل الرئيس الأمريكى الســابق بوش فى الانتخابات الأمريكية الأخيرة ، فقد أثبتت

النتيجة الأخيـرة أن اهتمامات الشعب الأمريكى انصبت على الحـالة الداخلية والاقتصادية والاجتماعية فى الولايات المتحدة أكثر من انجازات الرئيس بوش الخارجية .

ان افتقـار الولايات المتحدة الى أسـانيد القوة الداخلية وخاصـة الاقتصادية يسلب منها قيادة النظام العـالمى الجديد ، ويؤمن كلينتون أن استعادة أمريكا لمكانتها الدولية انما تتوقف على النهوض باقتصادها .



الفصل الثانى

مأساة البوسنة

فى ظل النظام العالمى الجديد

١ ـ سقوط مصداقية القوة الأمريكية فى البوسنة .

٢ ـ سقوط مصداقية الأمم المتحدة فى البوسنة .

٣ ـ فى يوم الأمم المتحدة دول العالم تطالب بتغيير نظام المنظمة الدولية .

٤ ـ فشل خطط كلينتون لوقف الحرب فى البوسنة أمام التعنت الأوروبى .

٥ ـ سر سقوط سربيرنيتشا .

٦ ـ التواطؤ وراء سقوط سربيرنيتشا .

٧ ـ لا يكتفى الصرب باغتصاب المسلمات انما يزرعون أجنة الكلاب فى أرحامهن .

سقوط مصداقية القوة الأمريكية فى البوسنة

يواجه الرئيس الأمريكى بيـل كلينتون رهانا صعبا فى أحـــداث الرعب التى تجرى فى البوسنة والهرسـك خاصـة بعد أن تزعمت أمريكا النظام العـالمى الجديد ٠

ومن قبـل الرئيس كلينتون مُنى الرئيس بوش بفشـل ذريع فى سياسته ازاء البوسنة هذا الفشـل الذى نسف سمعته الى الأبد ٠

ولا شك أن موقفا أمـريكا حاسما فى الوقت المناسـب كان يمـكن أن ينقذ الكثير ، ويمنع وقوع العديد من الكوارث ولكـن الرئيس بوش ظـل مكتوف اليدين ٠

لقد سمعنا الرئيس بوش يقول : الى متى يظـل العـالم متفرجا على المذابح التى يقوم بها الصـرب ضد سكان البوسنة الأبرياء ؟ ولكن المذابح اسـتمرت يوما بعد يوم سـواء فى عهـد بوش أو فى عهـد كلنتون وأسفرت عن نتائج وخيمة لسكان البوسنة وللسلام العالمى ٠

لقد تجاهل الصـرب كل اتفاقات وقف اطـلاق النـار لأنهم لم يجدوا حزما من المجتمـع الدولى وعلى رأسـه أمـريكا ٠ ولو قابلهم العـالم بالرفض والحزم والضرب بصدق على أيديهم لأوقفوا تنفيذ سياســتهم العـرقية وانقاذ أرواح الأبرياء الذين اغتالتهم مليشيات الصـرب ، ولكان من الممكن تحاشى الحـادث المؤسف والمخجل الذى أدى الى قيام أحد أفـراد الميليشيات الصـربية باغتيـال نائب رئيس وزراء البوسنة وهو فى مركبة مدرعة فرنسية كانت فى حراسة قوات الأمم المتحدة لحمايته ٠

أين ملامح النظام العـالمى الجديد التى حددها بوش بعد حـرب الخليج والتى تحـدث فيه عن ميـلاد عالم تجد فيـه الحـرية وحقوق الانسـان موطنا لها فى كل الأمم ؟ وقد مضى على هذه البشـرى أكثر من عامين ٠ أين حقوق الانسـان فى البوسنة والهرسـك وفيها ما فيها من قتل واغتصـاب وتمثيـل بالجثث وفظـائع وجرائم شـاب لهولها الولدان قبـل الكبار ٠

لقد ذهبت الآمال التى علقت على النبرة الخطابية للرئيس بوش أدراج الرياح حيث لم يفرز النظام العالمى الجديد فى البوسنة سوى مهزلة تدعو للسخرية ٠

ان سكوت كلينتون وادارته على أعمال الصرب الوحشية أتاح لهم الفرصة لانجاز عملية التطهير العرقى ، وأتاح لهم الفرصة فى تحدى القوة الأمريكية ٠ لقد كانت أمريكا فى نظر العالم القوة الرادعة للعدوان الدولى لكن هذه المصداقية تضيع فى البوسنة لافلات الجانى من العقوبة ٠

لقد سقطت (ورقة التين) على حد تعبير صحيفة نيو يورك تايمز فى عدد ١٩٩٣/٤/٢٠ التى كان كلينتون يخفى بها سياسة الوقوف موقف المتفرج وكانت هذه الورقة خطة السلام التى اقترحها ديفيد أوين وسايروس فانس فحتى هذه اللحظة يرفض الصرب الموافقة على هذه الخطة ورغم الظلم الذى يلحق بالمسلمين من التقسيم الوارد فى هذه الخطة الا أنهم حقنا للدماء وافقوا عليها ، وكذلك وافقت عليها كرواتيا ٠

ويتفادى كلينتون حتى الآن استخدام القوة ضد الصرب لوقف مجازرهم فى البوسنة ويعتقد أنه لو فعل ذلك لأنفق من رأسماله السياسى غير أن الرئيس الأمريكى الذى يحشد مواطنيه من أجل تحقيق هدف سام فى الخارج لا يخسر الرأسمال السياسى بل يكسبه ٠ وبالفعل لو استخدم جورج بوش موقفه بعد حرب الخليج للكفاح من أجل تحقيق برنامج لحل القضايا المحلية لاستمر فى منصب الرئاسة ٠

لقد أظهر الرئيس الأمريكى بيل كلينتون حتى الآن ردود فعل ضعيفة ازاء حجم مأساة البوسنة أقل بكثير مما كان قد وعد به ابان حملته الانتخابية ٠ وبدأ التردد واضحا بعد ذلك فى موقفه فقد دعا فى البداية لقصف معاقل الصرب وانهاء حظر تزويد البوسنيين بالسلاح، ثم ردد أن أمريكا لن تقوم وحدها بهذا العمل ، ثم لجأ لعمليات اسقاط أغذية على مناطق البوسنة سقط جزء كبير منها فى معاقل القوات المعتدية ٠

ويرجع بعض المحللين السياسيين تردد كلينتون الى العوامل التالية:

أولا : عدم رغبة الشعب الأمريكى لابداء التأييد لتورط الولايات المتحدة فى هذا الصراع لان قلة من الامريكيين يدركون حقيقة كون التصرفات الصربية أشبه بافعال النازيين ٠

والعامل **الثانى** الذى يجعل كلينتون مترددا فى القيام بشىء ذى قيمة فى البوسنة ميله الى التركيز على القضايا الداخلية فى الولايات المتحدة ما عدا قضية روسيا التى ألح عليه يلتسين لاعطائها قدرا من الاهتمام ٠ وحتى وزير الدفاع الأمريكى الجديد (ليس آسبن) فقد سار فى نفس درب التردد الذى سار عليه كولين باول من قبل فى عهد الرئيس بوش ٠

والسبب **الثالث** لتردد كلينتون يرجع الى الموقف الذى اتخذه حلفاؤه الأوروبيون والرافض للتدخل العسكرى فى البوسنة فالبريطانيون والفرنسيون لهم قوات تعمل تحت راية الامم المتحدة فى البوسنة ويخشون تعرض قواتهم لاعتداء الصرب عليها اذا لجأت الولايات المتحدة للتدخل العسكرى فى المنطقة ، كما يحتجون بأن أهالى البوسنة المعتمدين على المعونات الغذائية سيتعرضون للمجاعة فى حالة التدخل العسكرى الأمريكى وقد ضغط البريطانيون على كلينتون للقبول بهذه الذريعة حتى قبل استلامه زمام السلطة ٠

غير أن النتائج التى توصل اليها فريق الخبراء الذى أرسله كريستوفر وارين تدحض هذه الحجة حيث تبين أن الغذاء ليس هو المشكلة بقدر ما هو قيام المسلحين الصرب بذبح المدنيين بكل معنى الكلمة ، ففى كل الأحوال تستطيع طائرات الهليوكبتر الامريكية تزويد أهالى البوسنة المحاصرين بالغذاء (هيرالد تريبيون ١٩٩٣/٤/١٣) ٠

وهذه الأسباب المذكورة ربما كانت تشكل عائقا أمام كلينتون للتدخل العسكرى فى يوغسلافيا السابقة ، غير أن المجتمع الدولى سيشعر بالخجل ازاء هذا الموقف الذى تقفه القوة الكبرى الوحيدة فى العالم ، ولن يغفر لها الضمير العالمى تقاعسها عن وقف هذه الظاهرة الشاذة من التطهير العرقى التى بدأت تجتاح بعض مناطق شرق أوروبا ٠

لقد استطاعت أمريكا قبل ٥٠ سنة مع حلفائها الأوروبيين هزيمة النازيين ولن يكون من الصعب عليها هزيمة النازيين الجدد من الصرب ٠

ان مجـرد التهديد الصـادق سيكون له رد فعـل قوى فى أوساط الصرب. واذا كان لدى كلينتون الشجـاعة والعـزم فى القيـام بعمـل كبير فى البوسنة فانه سيكون قـادرا على اقنـاع الكونجرس والشعب الأمـريكى والادارة الأمريكية بتأييد القيـام بهذا العمل .

لا حل ينهى أزمـة البوسنة أمام كلينتون سـوى استخدام القـوة العسكرية الأمريكية ، وهذا بالضبط ما جاء فى تقـرير فريق من الخبراء أرسـله وزير الخارجية الأمـريكى كريستوفر الى البوسنة فقـد أوصى الفريق بالتدخل العسكرى لوقاية وحماية « الملاجىء الآمنـة » لسـكان البوسنة المدنيين الذين يتعرضون لوابل القصف الصـربى .

وقد بذلت وزارة الخارجية الأمريكية ما فى وسعها للحفـاظ على سـرية التقرير وضمان عدم تسـربه للكونجرس والرأى العـام الأمريكى لكن (صحيفة الهيرالد تريبيون الدولية أشـارت الى فحواه فى عددها الصـادر فى ١٩٩٣/٤/١٣) . وذكـر فريق الخبراء فى التقرير أيضـا أن جهود الاغاثة التى ركزت عليهـا ادارة كلينتون والزعماء الأوروبيون فى البوسنة لم تفعـل سوى القليـل لمعـالجة قضية المعـاناة الحقيقيـة للمدنيين ضد الهجمات الصـربية .

ولا تزال الفرصـة سـانحة أمام الرئيس الأمريكى الجـديد لوقف العدوان الصـربى على سكان البوسنة وسوف يواجه الرئيس الأمريكى صعوبة شـديدة بعد ذلك فى استعادة مصـداقية القـوة الأمريكية متى ما أتاح الفرصـة لفقدانها .



سقوط مصداقية الأمم المتحدة فى البوسنة

تعد سياسة الأمم المتحدة ازاء قضية البوسنة سببا رئيسيا من أسباب استمرار العدوان الصربى على البوسنة وتنفيذ سياسة التطهير العرقى التى يقومون بها . والأمم المتحدة اليوم من أجل انقاذ الأرواح كما تقول تقوم بعملية تطهير عرقى فى سيربيرنيتشا وتفريغ هذه المدينة المسلمة رغم أنف السلطات البوسنية قبل سقوط المدينة فى يد الصرب .

وكان قرار الأمم المتحدة بمباركة المجموعة الأوروبية بفرض حظر عسكرى على جمهوريات يوغسلافيا السابقة سببا أساسيا أدى الى حرمان أهالى البوسنة من الأسلحة والمواد اللازمة لمقاومة أعدائهم المسلحين بأحدث أنواع الأسلحة والتى لم تتوقف عمليات تزويدهم بالسلاح طوال فترة الحظر الذى يتدفق عليهم من كل العالم عبر الأراضى المجاورة . ولم يسبب هذا الحظر أى ازعاج حقيقى للصرب .

وحتى الخطة التى أعدها المبعوثان الدوليان ولم تقبل بها حتى الآن صربيا والتى تقوم على تجزئة البوسنة عرقيا تنطوى ضمنيا على التوسع الاقليمى للصرب والكروات ، ويشدد المبعوثان الدوليان ضغوطهما بغية ارغام صرب البوسنة على القبول بالنصر الذى تقدمه خطة فانس ـ أوين مكافأة لهم .

وانه لمن محض الخيال الاعتقاد بأن قوة حفظ السلام فى البوسنة المجزأ ستكون قادرة على فرض سلطتها على المليشيات الصربية التى تعتقد أن خطة فانس ـ أوين للتسوية خدعتها ، والتى ما زالت عاقدة العزم على ربط المناطق التابعة لها فى البوسنة بصربيا نفسها .

انها ليست خطة للسلام بل فى أحسن الأحوال هدنة سيتم خلالها اعتراف المجتمع الدولى بالأراضى التى اغتصبها المعتدون الصرب والكروات .

وكان مجلس الأمن قد أصدر قرارا يقضى بتشديد العقوبات الاقتصادية على صربيا والجبل الأسود اذا لم يقبل الصرب الخطة التى وقع عليها بالفعل المسلمون والكرواتيون .

ويستمر العدوان الصربى على سيربيرنيتشا رغم اتفاق وقف اطلاق النار وينتج عنه مقتل ٥٦ شخصا ، واصابة ١٠٦ ويجتمع مجلس الأمن ثم يؤجل تصويتا لفرض عقوبات أشد على يوغسلافيا خشية أن يؤدى صدور قرار فرض عقوبات أشد على الصرب الى غضب الناخبين المؤيدين لصربيا فى روسيا فيمنعون أصواتهم عن يلتسين حليف أمريكا والغرب فى استفتاء يوم ٢٥ من أبريل ١٩٩٣ الذى يراهن فيه يلتسين على مستقبله السياسى ٠

وينص مشروع القرار الذى سينظر فيه مجلس الأمن بعد يوم ٢٥ من أبريل ـ تاريخ الاستفتاء على مستقبل يلتسين السياسى ـ على منع السفن من الابحار فى مياه الصرب والجبل الأسود وتجميد أرصدة الصرب فى الدول الأجنبية ، على أن يسرى مفعول القرار فى حالة اقراره بعد ١٥ يوما ، الا اذا وفقت القوات الصربية فى البوسنة على خطة السلام الدولية التى تنص على تقسيم البوسنة الى عشر مناطق تتمتع بحكم شبه ذاتى ٠

لقد رفض مجلس الأمن حتى الآن كل الخيارات التى قدمت له لوقف عدوان الصرب على البوسنة من هذه الخيارات توجيه ضربات جوية ضد أهداف عسكرية أرضية لوقف مدفعية الصرب ، وقطع خطوط الامداد والتموين والفصل بين مراكز القيادة ، وهذا الخيار رفض بحجة تداخل خطوط المواجهة ٠

كما رفض المجلس تعديل قرار حق استخدام القوة لتنفيذ مهام القوات الدولية الانسانية ضد الصرب لكن انجلترا وفرنسا نجحتا فى منع اضافة هذا التعديل ٠

وقدمت دول عدم الانحياز فى مجلس الأمن وهى الرأس الأخضر ، وجيبوتى ، والمغرب ، وفنزويلا ، وباكستان ، صيغة جديدة لمشروع قرار يطالب المجموعة الدولية أن تقدم كل المساعدة اللازمة لمسلمى البوسنة بما فى ذلك المساعدة العسكرية كى يتمكنوا من الدفاع عن بلدهم فى وجه هجمات الصرب ، لكن هذا المشروع قوبل بالرفض رغم أنه يعد شيكا على بياض للأمم المتحدة تستخدمه فى التدخل العسكرى لو أرادت كما حدث فى أزمة الخليج ، ووجه بكثير من الحذر من قبل الدول الغربية الدائمة العضوية فى مجلس الأمن ٠

لقد أثبت الواقع أن الأمم المتحدة غير قادرة على معالجة مشكلة البوسنة بسبب طبيعة بنيتها الداخلية ، وبيروقراطية اجراءاتها وتفاهة تفويضاتها وتقاليدها بصرف النظر عن مدى كثافة الجهود التى يبذلها بعض المسئولين .

ان الأمم المتحدة لا تواجه مشكلة يوغسلافية محضة بل مشكلة بلقانية وأوروبية آخذة فى التحول الى مشكلة دولية .

وأمام هذا التخاذل الذى أبدته الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، والمجموعة الأوروبية ، ومحكمة العدل الدولية نجد الموقف الشجاع الذى وقفته تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة . فقد خرجت المرأة الحديدية عن صمتها وأعلنت عن موقفها وغضبها فى جميع وسائل الاعلام عن الموقف المخزى الذى يقفه العالم ازاء استمرار حمامات الدم فى البوسنة .

فقد أعربت تاتشر عن غضبها من سياسة الغرب تجاه الحرب فى البوسنة والهرسك ، والتى تقضى بعدم التدخل عسكريا ، وحظر الاسلحة عن مسلمى البوسنة ليدافعوا بها عن أنفسهم . وأوضحت أن سياسة بريطانيا والسوق الأوروبية تجاه أحداث البوسنة والهرسك كانت كارثة حقيقية ، وأنها فشلت تماما فى تحقيق السلام ، وفى ايقاف الهجوم البشع الذى تشنه قوات الصرب ضد المسلمين فى البوسنة .

وأوضحت تاتشر فى أحاديثها أن هذا الفشل يجعل جميع الحكومات الغربية تشعر بالخزى ، والخجل ، وأتهمت دول السوق الأوروبية والغرب عامة بأنهم بانتهاجهم هذه السياسة أصبحوا شركاء فى المذبحة وأوضحت أنها لم تتوقع أبدا أن ترى تكرارا لسياسة الابادة الجماعية التى كانت تمارسها المانيا ابان الحكم الذاتى . وقالت تاتشر : « ان المطلوب هو العزم والارادة من قبل الغرب فهم يملكون الطائرات والقذائف التى تمكنهم من وقف الصرب الذين يتصفون بالجبن لقتلهم النساء والأطفال ، كما أنهم ليسوا من القوة التى تجعل العالم يقف مكتوف الأيدى ، أو ربما كان المجتمع الدولى قادرا على القيام بعمل كبير كما سبق ان فعل فى مواجهة النازيين فى الحرب العالمية الثانية » .

وطالبت مارجريت تاتشر امريكا وبريطانيا ودول الغرب باستخدام قوتها الجوية ، واتاحة الفرصة أمام الحكومة البوسنية لشراء السلاح الذى

تحتاجه للقتال وقالت « نحن لا نستطيع أن نترك الأمور تسير على هـذا النحو ، فمن الاثم أن نفعل ذلك » . ومن المؤسف أن تقابـل تعليقـات تاتشر بالرفض ، فقد رفض وزير الخارجيـة الأمريكى وارن كريسـتوفر نداءها واصفا ايـاه « بالعاطفة الزائدة عن اللزوم » .

وقد أثارت تعليقات تاتشر جدلا واسعا وتحريكا للرأى العام العالمى ففى واشنطن أعلن الرئيس كلينتون أن جميع الاختيارات أصبحت متاحة . وبالنسبة لبريطانيا كتب روجالى قائلا « لقد أرغمت تاتشر البريطانيين على أن يسألوا أنفسهم أين نقف نحن ؟ ، وأجاب : « يجب أن نقبـل بحقيقة أنه لا يمكن نشر أى قوة عسكرية مضادة بينما ترتكـب عصـابة من المتاتلين باسم الهوية القومية الأفعال الشنيعة وأعمال القتل لغـرض كسب المجال الحيوى على التراب الأوروبى ، واذا ما قبلنا بذلك فـلا قيمة لنـا » ، نيويوزك تايمز عدد ١٩٩٣/٤/٢٠م) .

كما تخلى جون سميث زعيم العمال البريطـانى المعـارض عن مساندته لموقف حكومة المحافظين ودعا الى تدمـير طـرق امـداد المساعدات للصرب . وأعلن لورد أوين أحد مفاوضى السلام التابعين للأمم المتحدة دعوته للتدخل العسكرى بهدف قطع الطرق ، وتدمـير الجسور وطرق امداد المساعدات للصرب .

أما جون ميجور رئيس الوزراء البريطانى فقد ظل على موقفـه وسياسته المتشددة ودعا فحسب الى تشـديد العقوبات الاقتصادية ضـد الصرب واتخاذ حظر شامل على المساعدات ورد على نقد تاتشر بأن أحـدا لا يستطيع فرض قرارات على سياسة الدولة .



فى يوم الأمم المتحدة

دول العالم تطالب بتغيير نظام المنظمـة الدوليـة

فى يوم الأمم المتحدة دول العالم تطالب بتغيير نظام المنظمــة الدوليــة

حتميـــة التطويـر :

حدثـت تغيرات كثيرة فى العالم منذ عام ١٩٤٥ مقارنة بالوقـت الحاضر الذى نعيش فيه ، الأمر الذى يتطلب أخذ ذلك فى الاعتبـار عندما نتعرض للحديث عن ميثاق وأنظمة منظمة الأمم المتحدة الدولية .

فمنذ قيام الأمم المتحدة شهدت المنظمة انـدلاع ما يقرب من مائة نزاع مسلح فى مواقع مختلفة من العالم راح ضحيتها ٢٠ مليون قتيل ، ومع ذلك عجزت الأمم المتحدة عن التصدى لهذه الجرائم بسبب وقوف الفيتو ٢٧٩ مرة فى مجلس الأمن .

ولا أبالغ ان قلت ان هذه المنظمة ليست ديمقراطية ، وليست عادلة لأنها فى خدمة خمس دول عظمى أنتصرت فى الحرب العالمية الثانية ، وهذه الدول تفرض وصايتها وهيمنتها على المنظمة الدولية ومجلس الأمن مما يجعل منه فى بعض الأحيان أداه لفرض قانون الأقوى على الدول الصغيرة .

وعلى الرغم مما تردده الدول العظمى من ضرورة سيادة القانون فإن قانون القوة هو السائد لا قوة القانون فى ظل النظام الجديد رغـم كل ما قيل عن قيام عصر جديد من سيادة القانون والأخلاق .

ان هذه الدول المهيمنة على استعداد أن تعطل كل نشاط دولى يبدو فى نظر أى منها متعارضا مع مصالحها .

ان مجلس الأمن لا يضم المانيا واليابان باعتبار أنهما خرجتا من الحرب العالمية الثانية منهزمتين . ولايزال ميثاق الأمم المتحـــدة فى بنديه ٥٣ ، ورقم ١٠٧ يصف هاتين الدولتين بعبارة « العـدو » . وفى وقت أصبحت هاتان الدولتان من أقوى دول العالم اقتصاديا .

ومع أن اليابان وألمانيا لم يقدما بعد طلبا رسميا الى مجلس الأمن فان طوكيو ، وبـون لا تخفيان طموحهما فى الحصول أيضا على مقعد

دائـم حتى بدون التمتع بحق النقض • « تقــرير فرانس برس فى ١٩٩٢/٩/٣ ») •

ويقرر العديد من دبلوماسيى دول عدم الانحياز بـأن وصـــول اليابان والمانيا الى عضوية مجلس الأمن لن يكون من شأنه سوى تعزيز قــوة الغرب أى قوة مجموعة الدول السبع الغنية وهــى : الولايات المتحدة ، واليابان ، والمانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، وبريطانيــا ، وكنــدا ، وهذه الدول السبع متهمة من قبل دول عدم الانحياز بأنهـا تستغل موقفها المهيمن فى الشئون الاقتصادية العالمية •

وتنادى دول العالم الثالث ، ودول عدم الانحياز بضرورة تطـوير المنظمة الدولية فالحاجة ماسة الى إحداث تغييرات تتناسب والتطورات التى يعيشها العالم اليوم ، واعادة النظر فى حق الفيتو للدول دائمـة العضوية فى مجلس الأمن •

ويتطلب التطوير اعادة النظر فى ميثاق الأمم المتحدة وتعديله خاصة وقد زاد عدد أعضاء الأمم المتحدة أربعة أمثال العدد الذى كـان موجودا غداة تأسيسها ، والعقبة التى تعطل هذا التطوير ضـــرورة الحصول على موافقة المجلس لاحداث أى تغيير أو تعديل فى ميثاق الأمم المتحـدة •

دول العـالم تنـــادى بالتطوير :

ان الأسرة الدولية جميعها باستثناء بعض دول المجلس تطالـب بتطوير المنظمة الدولية وتعديل الميثاق وتدعيم دور الأمم المتحدة بعد زوال نظام القطبية الثنائية ، خاصة وأن هذه المؤسسة الدولية تجسـد آمال الشعوب فى السلم والتقدم ، وهو الكفيل الأكبر بمنع خطر تقسيم العالم الى أغنيــاء وفقراء يندلع بينهم الصراع من جديد •

وقد نادت بضرورة توسيع مجلس الأمن وتطوير المنظمة الدولية فى أعمال دورة المنظمة الدولية السابعة والأربعين كل من مصـــر ، والكويت ، والهند ، وسوريا ، وايران ، واندونيسيا ، وزيمبــابوى ، وماليزيا •• ، وطالبت هذه الدول بفرض رقابة اكبر على قراراته من قبل الجمعية العامــة •

وبدأت تتردد أسماء بعض الدول التى يمكن أن تضم الى عضوية مجلس الأمن فبجانب اليابان والمانيا تردد اسم الهند باعتباره أول بلد كبير من بلدان العالم الثالث ، لكن خصومه الهند التقليدية مع باكستان تحول دون ذلك ٠

كما تردد اسم البرازيل الناطقة بالبرتغالية ، والمكسيك الناطقة بالاسبانية ممثلتين لامريكا اللاتينية ٠

وتردد اسم مصر ممثلة لدول عدم الانحياز ومجموعة الدول الافريقية والعربية ٠ وكان من أبرز الداعين أخيرا الى ضم مصر للعضوية الدائمة الرئيس السوفيتى السابق ميخائيل جورباتشوف ، وذلك فى محاضراته التى ألقاها فى الولايات المتحدة الامريكية خلال شهر مايو الماضى ٠ وقد وصف جورباتشوف المرحلة الحالية التى يمر بها العالم بأنها حقبة تغيير فى كل أنماط العلاقات الدولية ٠ ومرحلة ارتقاء العلم والمعرفة والحضارة والتطور الاجتماعى ، ونادى بقيام عالم جديد تتكامل فيه الحضارات والثقافات والنظم الاقتصادية مع ضرورة التوصل الى نظام للأمن الجماعى يكفل تفادى الحروب ويحقق الانتاج وخفض الانفاق العسكرى حتى تكون التنمية نقطة التركيز وليست الأسلحة والصواريخ ووسائل الدمار ٠

فشل الأمم المتحدة وتحيزها :

فشلت الأمم المتحدة فى كثير من القضايا التى تصدت لمعالجتها فقد فشلت فى تسوية النزاع العربى الاسرائيلى واستعادة الأرض الفلسطينية من قوات البغى والعدوان واعطائها لأصحابها الشرعيين وأخفقت فى فرض قراراتها على اسرائيل التى ترفض اشتراك المنظمة العالمية فى عملية السلام فى الشرق الاوسط ، وأخفقت فى وقف بناء المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة ٠ وانسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلى من هذه الأراضى بما فيها القدس العربية ٠

ولم تنجح الأمم المتحدة ـ رغم الحاح أمينها العام الجديد ـ فى أن تشارك الولايات المتحدة فى تكوين قوة رفيعة التدريب من عشرين ألف جندى توضع تحت تصرف الأمم المتحدة بصفة دائمة كى تتولى على وجه السرعة أى مهام فى « حفظ السلام » ٠

وفشلت الأمم المتحدة فى معالجة مشكلة البوسنة والهرسك على الرغم من أن جمهورية البوسنة والهرسك عضو فى الأمم المتحدة ، وتقضى أحكام الميثاق بحمايتها عسكريا من غزو الصربيين لأراضيها ، وتركتها لأكبر هجمة عرقية تستهدف ابادة شعب بكامله ، واحلال غيره محله ليكون وطنا جديدا له ، ولم تتحرك الشرعية الدولية ، وتأرجحت المواقف بمجلس الأمن الدولى عندما تبين ما يشبه غض الطرف من جانب بعض الدول الكبرى ، ومعظم حكومات المجموعة الأوروبية .

واكتفت المنظمة الدولية بتعليق عضوية يوغسلافيا ومنعها من المشاركة فى أعمال الأمم المتحدة ، ولم تقطع جسور التعاون بالكامل معها .

وتقف الأمم المتحدة عاجزة أمام مشكلة انقاذ الشعب الصومالى من المجاعة والقحط والفناء البطىء ، وتقف عاجزة أمام أزمة الجنوب اللبنانى مع اسرائيل ، وما يتصل بمفاوضات السلام مع الدول العربية المحيطة وتأييد مبدأ الأرض مقابل السلام .

وتكيل الأمم المتحدة بمكيالين فنجدها تغض الطرف وتوافق على أن ترث روسيا المقعد الدائم للاتحاد السوفيتى دون سند قانونى لانتقال المقعد اليها خاصة بعد أن انتهى الاتحاد السوفيتى وتوزع الى جمهوريات مستقلة . ولكننا نجدها فى نفس الوقت تتحيز للقسم اليونانى فى صراع تركيا واليونان على أرض قبرص فى محاولة لتقليص حجم قبرص التركية ورسمت خريطة بذلك قلصت فيها حجم قبرص التركية من ٣٨٪ من مساحة الجزيرة الى ٥ر٢٧٪ ، وعرضت خريطتها قبل لقاء المفاوضين على الرئيس القبرصى اليونانى جورج فاسيليو الذى أبدى رضاه عنها ونقلت فيها مدينة مورفو أحد أجمل مناطق الجزيرة من أيدى القبارصة الأتراك الى أيدى القبارصة اليونانيين ، ويهدد مجلس الأمن بأنه اذا لم يجتمع الطرفان وتتم الموافقة على الخريطة الجديدة التى يضيع فيها حق المسلمين القبارصة فان مجلس الأمن يتوجب عليه النظر فى اتباع طرق أخرى بديلة لحل المشكلة القبرصية .

ان المعايير التى تتبعها الأمم المتحدة فى التصدى للقضايا ومعالجتها معايير مزدوجة فلا تتعامل مع العراق كمـــا تتعامل مع اســـرائيل ، ولا تتعامل مع أكراد العراق مثل ما تتعامل مع أكراد تركيا ، لقـــد فشلت فى الوقوف بجانب الأقليات المطالبة بحقوقها مثل اقلية الروهنجا المسلمة فى بورما ، والأقلية المسلمة فى جزيرة مينـدناو فى جنـوب الفلبين ، وفشلت فى حل قضية كشمير ، فهى لم تنصف الأقليات وتتعامل معها بالعدل • وسوف يجد من يبحث تجاوزا للقانون الدولى فى كثير من تصرفات الأمم المتحدة لأن الدول المهيمنة تريد ذلك •

وترسب الأمم المتحدة فى اختبار حل مسألة مساعدة الدول الفقيرة وانتشالها نستدل على ذلك من تقرير منظمة الأغذية والزراعة التابعـة للأمم المتحدة الذى ينص على وجود ٧٦٨ مليون نسمة فى جميع أنحـاء العالم يمكن أن يوصفوا بأنهم جوعى •

وفى ايضاح لاحصاءاتها تقول جمعية الخبز من أجل العـالم حـول موضوع المجاعة والتنمية انه يوجد فى جميع أنحاء العالم ٤٠ ألف طفل يموتون يوميا لأسباب متصلة بالمجاعة ، وهو عدد يساوى تحطم مـائة طائرة جامبو كل منها محملة بأربعمائة طفل بمعدل طائرة كل ١٤ دقيقة دون أن تترك أية أحياء •

ويفيد تقرير جمعية الخبز من أجل العالم بأن احـــدى المشـكلات المتزايدة تتمثل فى مبالغ الدين الضخمة التى تراكمت على الدول الافريقية ودول جنوب آسيا ، وتستنزف أقساط الدين قـدرة الدول الناميـة على اطعـام نفسها •

ويبلغ عبء الدين الخارجى للهند سبعين مليار دولار ، فى حين يقدر حجم الدين الخارجى المتراكم على الدول الافريقية بمائتين وستين مليار دولار ، واذا تخلفت هذه الدول عن السداد فانها تخاطر بأن تفقد فرصة الحصول على المزيد من المعونة الخارجية من العالم الخارجى بمافى ذلك المصادر المالية الدولية من البنك الدولى ، أو صندوق النقد الدولى •

وللانصاف فقد نجحت منظمة الأمم المتحدة فى تجسـيد مفهـوم « الأمن الجماعى » فى حـرب الخليج فقد ظل هذا المفهوم أملا طالما استحوذ على اهتمامات المنظمة الدولية ، وكان أملا يراود واضعى الميثاق كما نجح مجلس الأمن فى تثبيت دعائم السلام والقضاء على بؤر النزاع فى بعض مناطق العالم •

برنامج الأمين العام الجديد :

يهدف برنامج الأمين العام الجديد الدكتور بطرس غالى الى تقوية الأمم المتحدة ، واعادة ترتيبها للقيام بدورها على أكمل وجه واضطلاعها بمسئوليات جديدة ودور متزايد لحفظ السلام فى جميع ربوع العالم ، والتحرك السريع لتدارك النزاعات قبل وقوعها فى اطار أطلق عليه الدكتور غالى اسم (الدبلوماسية الوقائية) · ويعنى بها تطويق المنازعات قبل اندلاعها وتفجرها ·

ومن أجل تقوية المنظمة وتنشيط دورها فقد كلف مجلس الأمن الأمين العام الجديد باعداد تقرير عن وسائل تعزيز قدرات المنظمة الدولية فى صنع السلم والمحافظة عليه · وقد حدد التقرير الذى أعده الأمين العام المشاكل الناجمة عن انعدام الأمن فى خمس عناصر شديدة التعقيد هى : النمو السكانى الجامح ، وأعباء الديون الساحقة ، والمخدرات ، واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء ، والحواجز التجارية· وكان من شأن ذلك كما ذكر تقرير الأمين العام أن المرض ، والفقر ، والمجاعة ، والقهر ، واليأس أصبحت كلها أمور مستفحلة تضامنت معا فى وجود ١٧ مليونا من اللاجئين ، و ٣٠ مليونا من المشردين ، وهجرة للشعوب فى الداخل وفى خارج حدودها الوطنية ، وكلها أصبحت فى آن واحد مصادر للنزاع يتوجب التصدى لاقتلاع جذورها المتمثلة فى القنوط الاقتصادى ، والجور الاجتماعى ، والقهر السياسى ·

قمة عدم الانحياز وموقفها من الأمم المتحدة :

احتل موضوع الأمم المتحدة حيزا فى مناقشات دول عدم الانحياز فى مؤتمرها الذى عقد على مستوى رؤساء الدول فى أول سبتمبر فى جاكارتا ١٩٩٢ ، فقد طالبت دول عدم الانحياز باعادة النظر فى تنظيمات المنظمة الدولية وميثاقها حتى لا يحدث اختلال فى التوازن العالمى ، ومعاملات مجحفة فى المجتمع الدولى · واقترح الرئيس الأندونيسى سوهارتو فى مؤتمر عدم الانحياز الأخير تشكيل مجموعة عمل على مستوى عال من أجل اعداد تدابير واضحة لاعادة التوازن الى الأمم المتحدة لمصلحة الجنوب ، وطالبت دول عدم الانحياز اعادة تشكيل مجلس الأمن باعطاء مزيد من الثقل لدول العالم الثالث ، كما تطرق المشاركون فى المؤتمر الى تركيبة مجلس الأمن ، وضرورة زيادة عدد اعضائه ، وعدّوه لا يعكس واقع العالم المعاصر · كما طالبوا بالغاء

الفيتو ، ومنح مقعد دائم لدول عدم الانحيــاز ذات الكثافة الســـكانية الكبيرة ، والمكانة الاقليمية المعترف بها .

وتحدث رئيس زمبابوى فى مؤتمر عدم الانحياز الرئيس موعابى عن المنظمة الدولية وقال : « ان عملية احتكار النفوذ والقوة للاعضــاء الخمسة فى مجلس الأمن يجب شطبها، وذلك حتى لاتظل صناعة القرار فى يــد دولة بمفرها أو فى أيدى مجموعة صغيرة من الأعضاء فى مجلس الأمن التابع للامم المتحدة » .

ولم تقف بعض الدول الكبرى مكتوفة الأيدى أمام مطالب دول عدم الانحياز باصلاح المنظمة الدولية ومجلس الأمن فاعترضت على فكرة منح مزيد من السلطة أو النفوذ لدول العالم الثالث وتذرعت بأن هذا التحرك سوف يعمل على اضعاف السلطة المسئولة عن صنع بل واتخاذ القرارات الدولية فى الأمم المتحدة ورفضت ادخال أية تعديلات على الميثاق .

والحق يقال ان البيان الختامى لدول عدم الانحياز على الرغم من أنة نادى بضرورة ادخال تعديلات واصلاحات فى المنظمة الدولية لكنه أشاد بدورها وذكر أنها الاطار العالمى الوحيد المناسب لارساء نظام عالمى جديد أكثر انصافا ، وطالب بتدعيم الجهود الرامية الى تعزيز الأمـــم المتحدة وجعلها أكثر ديموقراطية وفعالية وزيادة وزنها لأنها المكان الملائم للتشاور والتفاوض واصدار القرار حول المسائل ذات البعد العالمى .

وفى الوقت الذى اعترضت فيه بعض الدول دائمة العضـــوية فى مجلس الأمن على مطالبات اصلاح المنظمة الدولية وجدنا أمريكا تســلم بضرورة توسيع مجلس الأمن يضم قوى أخرى الى مقاعد الدول دائمة العضوية مثل اليابان وألمانيا مع دول لها وزنها الاقليمى والعـــالمى . ولهذا التطور فى الموقف الأمريكى أهمية خاصة فقد يؤدى فى النهاية الى موافقة واشنطن على أن تكون للامم المتحدة الكلمة العليــا فى تقـــرير مجريات الأحــداث .

فشـل خطط كلينتون لوقف الحـرب فى البوسنة أمـام التعنت الأوروبى

راهن زعماء الصرب منذ بداية حربهم العرقية على ان العـــالم سيظل يلقى عليهم خطبا بلاغية لكنه لن يفعل شـيئا أكثر من ذلك · وهو سيناريو مدروس يعملون بموجبه · ووفقا لهذا المخطط هم مستعدون لملاعبة العالم لكسب الوقت حتى ينفذوا سياستهم العرقية فى كل انحاء البوسنة ، وفرض سياسة الأمر الواقع تمهيدا لقيام دولة صربيا الكبرى ·

وتتضح سـياسة ملاعبة العالم لكسب الوقت عندما قـــرر الرئيس بيل كلينتون التحرك باتجاه استخدام القوة ضد المعتدين الصرب الا اذا غير زعيم صرب البوسنة رادوفان كاراديتش رأيه ووقع خلى خطة فانس أوين للسـلام ·لقد نجحت دبلوماسية المراوغة حينما وجدت خطرا باستخدام القوة ينف متربصا لهـا ·

لقد كان وزير الخارجية الامريكى وارن كريستوفر على حـق حينما حذر بأنه يتوجب على الصرب المضى الى ما هو أبعد من التوقيع عــلى خطة السلام وكان شكه واضحا حينما قال « ولسوء الحظ لقـد سـمعنا كلامهم ورأينـا توقيعهم من قبل ولكن دون التزام » ، (هيرالد تريبيون الدولية بتاريخ ١٩٩٣/٥/٤) ·

واذا كانت هناك ثمة شكوك باقية فقد بددها الصرب تماما لانهم لن يوافقوا على السلام الذى يحول دون استيلائهم على كل ما يرغبون فيه فى البوسـنة ·

لقد ثبت للعالم أجمع أن سياسة الدبلوماسية غير قادرة على وقف مجازر الصرب وتنفيذ سياستهم العرقية وكان يمكن نجاح هذه السياسة لو اقتنع الصرب بان الغرب لن يسمح لهم بتحقيق مطالبهم ورغباتهم ، وأنه جـاد فى تهديده باستخدام القوة خاصة بعد اعلانهم عن نزعتهم التوسعية ودعوتهم لقيام صربيا الكبرى ·

لقد فشل الغرب فى وقف سياسة الابادة الجماعية التى ينتهجهـــا الصرب ، وبلغت درجة يعجز اللسـان عن وصفها ، وارتفعت أصـــوات الديمقراطيين والجمهوريين فى الكونجرس الأمريكى تطالب الرئيس بيل كلنتون بالتحرك ·

وقد صرح الرئيس كلينتون فى مؤتمر صحفى قائلا : « من الواضح أن هذه هى أكثر مشاكل السياسة الخارجية التى نواجهها تعقيدا » وقد ورثها كلينتون من الرئيس السابق • وهى مشكلة معقـــدة لأن الرئيس الســـابق جـورج بـوش والأوروبيين لم يحـــركوا ساكنا عندما كـــان وقف مذابح الصرب ، وأعمال الاغتصاب والأرهاب والتطهير العـــرقى أكثر ســـهولة •

« وعلى الرغم أن ما يحدث الآن فى البوسنة لم يكن خطـــأ من الرئيس كلينتون لكنها مسئوليته الآن واحترامه كرئيس دولة نفتـــرض انها تقود النظام العالمى الجديد ، وكأكبر دولة فى العالم يتوقف على فاعلية تحركه لمواجهة العدوان الصربى • فالوقوف موقف المتفرج ازاء ما يرتكبه الصرب من مجازر ومآسى يندى لها الجبين يعد خيانة لجميع القيم التى ينبغى أن يؤمن بها الانسان المتحضر الذى يخشى الله •

ومن المؤسف أن كل الخطط التى تبنتها أمريكا وعرضتها على أوروبا وروسيا قوبلت بالرفض فالخطة الأولى المتمثلة فى ضرب مواقع المدفعية الصربية وقطع خطوط امداد القوات الصربية رفضتها أوروبا وروسيا ، والخطة الثانية المتمثلة فى السماح بادخال السلاح لمسلمى البوسنة • ليدافعوا به عن أنفسهم قوبلت بالرفض بحجة خوفهم على سلامة موظفى الامدادات الانسانية • كما قوبلت الخطة الثالثة والمتمثلة فى ارســـال قوات أرضية لحماية مناطق آمنة للمسلمين أيضا بالرفض •

لقد فشلت امريكا حتى الآن فى اقناع أوروبا وروسيا للتعاون معها • وبالنسبة للرئيس كلينتون رده حلفاؤه خائبا فى أول اعتبار له فى زعـــامته للعـــالم اذ تمثل المعارضة الأوروبية الشديدة لسياسة امريكا نكسة خطيرة قد تؤدى الى صياغة نظرة الرئيس كلينتون الدولية طوال فترة رئاســـته •

ونجد المسئولين الامريكيين يتهمون حلفاءهم الأوروبيين بأنهم يبحثون عن معاذير مصطنعة لعدم قيامهم بشىء ، فى وقـــت يعلمـــون فيـــه أن ترسانة أسلحة الجيش اليوغسلافى فى يد صرب البوسنة ، واتهموهـــم بأنهم يأملون سرا أن ينتصر الصرب فى الحرب وينهوا الأزمة •

لقد كان السناتور الأمريكى بيدين شجاعا عندما استغل ظهور وزير الخارجية كريستوفر أمام لجنة الشئون الخارجية التابعة لمجلس الشـــيوخ للتعبير عن غضبه تجاه رفض الزعماء الأوروبيين أقرار خطة امريكا للتدخل

العسكرى حيث قال : « انه يبدو لى أن ما نواجهه هو مثبط للعزيمة ، وهو تشكيلة متنوعة من عدم الاكتراث ، والجبن ، وخداع النفس والنفاق · ان السياسة الأوروبية تتركز على عدم الاكتراث الثقـــافى والدينى بل على التعصب الأعمى ، وانه من الانصاف القول بأن الوضع سيكون مختلفـا جدا لو كان المسلمون يقومون بما يقوم به الصرب الآن » ·

ولعل خير دليل على مماطلة الغرب وتسويفه يتبين من بيـــان المجموعة الأوروبية فى اجتماعها فى بروكسل يوم الاثنين ٦ مايو ١٩٩٣ الذى أعلنوا فيه عزمهم على أنتظار نتائج الاستفتاء على خطة فانس أوين الذى عقد يومى ١٥ ، ١٦ مايو ١٩٩٣ ، والذى انتهى برفض برلمـــان البوسنة الصربى المعلن من طرف واحد لخطة فانس أوين للسلام · وعلى الرغم من كل ذلك فلاتزال أوروبا وروسيا ترفض الخطط الامريكية لحل مشكلة البوسنة ·

وعلى الرغم من هذا الموقف الاوروبى المتعنت نجد أصواتا حـــرة تقول بأن الحزم من جانب الغرب مطلوب لأنه سيؤدى الى احباط أخطار مستقبلية ففى قيام الصرب بالاستيلاء على البوسنة دون تحد فعلى من المجتمع الدولى يؤكد أنهم لن يخافوا مستقبلا من التحذيرات الغربية اذا اجتاحوا مقدونيـا أو كوسفو أو سنجق ، أو البانيا ، وستكتسب بقية الأنظمة الخارجة على القانون الجرأة فى مهاجمة المناطق التى يفتقر فيها الغرب الى مزايا وجود القواعد والحلفاء على مقربة منه مستندة الى الى ضعف الغرب (نيويورك تايمز ، بتاريخ ١٩٩٣/٤/٢٧) ·

لقد كان عجز الولايات المتحدة الامريكية عن اقناع الغرب وروسيا لتأييد خططها لحل مشكلة البوسنة أكبر اختبار لمصداقية امريكا ، انـه الاختبار الذى لا يستطيع الرئيس كلينتون التراجع عنه دون أن يقوض سلطة ومصداقية امريكا تقويضا خطيرا (التايمز بتاريخ ١٩٩٣/٥/٧) ·

وقد جعل هذا الموقف بعض المحللين الذين أجرت معهم وكالة رويتر مقابلات ينتقدون أسلوب تعامل كلينتون مع الصراع فى البوسنة وقالوا انه أضـر بمصداقية الولايات المتحدة فى الخارج خاصة بعد ان وعـــد باتخاذ اجراء ما قريبا لوقف الحرب ثم عـدل عن ذلك بعد أن رفض الاوروبيون وروسيا ما عرض عليهم كريستوفر فى جولته ·

لقد اعترف كلينتون بعجزه وفشله فى اقنــاع حلفاء واشنطن برفع حظر السلاح عن حكومة البوسنة ، وفى أول احتجاج يستقيل جورج كينى المسئول السابق بوزارة الخارجية الأمريكية احتجاجا على عدم قيام ادارة بوش وادارة كلينتون باجراء فى يوغسلافيا ، وقال : ان لب المشــكلة هو عجز كلينتون عن اتخاذ قرار ، الأمر الذى أوجد انقساما ما بين كبار مستشاريه . ونجد فى نفس الوقت محلل الشئون الخارجية بجامعة بوسطن يورى رعنان يقول ان تأكيد كلينتون على أنه سيتخذ اجراءا فقط فى حالة حصوله على تأييد كل حلفائه الرئيسيين أدى الى انحدار سياسته الخارجية الى أدنى مستوى ، وأضاف يقول : ان كلينتون بدلا من أن يتــولى القيادة يجرى مشاورات وبدلا من أن يبلغ الأوروبيين تلك هى سياستنا فإنه يسألهم ماذا تقبلون .

ولا ينجو وزير خارجية كلينتون من أنتقادات توجه اليه فقالوا عنــه : انه مسرف فى الحذر ، وعجوز منهك .

وبعد أن قبلت أمريكا مشروع روسيا والدول الأوروبية بشــأن السلام فى البوسنة واجه الرئيس الامريكى كلينتون انتقادات عنيفــة فى الكونجرس ووصفه النواب بانه تخلى عن مبادىء الادارة الامريكية الاساسية ، وقد جاءته هذه الانتقــادات من النــواب الجمهــوريين والديمقراطيين بما يؤكد ان كلينتون لا يحظى حتى بتأييد قيــادات حزبه فيما اتخذه أخيرا من سياسة المسايرة للسياسة الروسية والأوروبية .



سر سقوط سربيرنيتشا

نقص السلاح وضعفه

يرجع سقوط سربيرنيشا الى سببين رئيسيين أولهما **ضعف السلاح** ونقصه وكذلك نقص الذخيرة فى أيدى المجاهدين المسلحين ووفقا للتقديرات التى وردت من المراقبين العسكريين داخل المدينة كان يمتلك المدافعون المسلمون الذين تراوح عددهم بين ٥٫٠٠٠ - ٦٫٠٠٠ جندى دبابة واحدة سوفيتية الصنع من طراز تى - ٥٥ ، وبضع قاذفات ومدافع مضادة للطائرات تفتقر الى الذخيرة وكان بحوزتهم أسلحة خفيفة تشمل قنابل يدوية (آر جى بى ٧) وأسلحة القناصة ، وصواريخ مصادة للدبابات . ولا يمكن ان تصمد هذه الأسلحة الخفيفة أمام أسلحة الحرب الثقيلة فى أيدى المقاتلين الصرب . (التايمز ١٩٩٣/٤/١٧) .

لقد كانت جمهورية الصرب تبيت نية الحرب قبل أن تنشب لذلك سلحت جمهورية الصرب ومعها بلجراد صرب البوسنة وزودتهم بالعتاد الحربى . وقبل الحرب كانت البوسنة مزروعة بالقواعد العسكرية ، وكانت هذه القواعد واقعة تحت هيمنة الجيش الذى استولى على معظم المعدات التى وزع غالبيتها على أهالى الصرب ، وأتلف الجزء الآخر قبل الانسحاب الرسمى من البوسنة فى شهر مايو من العام الماضى .

ان أكبر معضلة قابلت المجاهدين فى سربيرنيتشا تتمثل فى نقص الذخيرة - رغم أن بعضا منها بقدر ضئيل كان يأتيهم بالتهريب وفى الوقت الذى يعانى فيه المسلمون نقص السلاح نجد الكروات لا يعانون من هذه المشكلة فأسلحتهم مهربة لأن حدود كرواتيا تشترك مع سلوفينيا ، والنمسا ، والمجر المتعاطفين معها ، كما أنها تمتلك حدودا بحرية طويلة ، وصناعة سفن متطورة . والكروات مسلحون أساسا بالعتاد الحربى الوارد من سلوفاكيا وجمهورية التشيك ، والمستورد مرورا بالمجر والنمسا . وتسد صربيا النقص فى ترسانتها الهائلة من اوكرانيا وروسيا (الجاردىان ١٩٩٣/٤/١٦) .

وبالمقابل نجد جيش الصرب يختلف عن جيش البوسنة من حيث العدد والتسليح فهناك ٧٠ ألف جندى مزودون بـ ٣٠٠ دبابة ، ١٨٠ عربة

مدرعة ، وما يصل الى ٤٠ طائرة مقاتلة ومروحية هليكوبتر ، ويملك مجموعة كبيرة من المدفعية الثقيلة والأسلحة اللازمة لتنفيذ تكتيكات الحصار وضرب المناطق السكنية عن بعد .

ويشارك آلاف من المرتزقة من اوكرانيا ورومانيا وبلغاريا فى الحرب فى صفوف الصرب . وقد قامت القوات البوسنية بأسر بعض هؤلاء المرتزقة وتحفظت عليهم داخل السجن الحربى داخل سراييفو ليكونوا أدلة حية وناطقة فى هذا الشأن .

ومن الأمور المؤكدة أن بعض جنود القوات الدولية من الكتيبة الأوكرانية بعد أن انتهت مهمتهم المقررة فى البوسنة وعادوا الى بلادهم وسرحوا عادوا مرة ثانية كى يشاركوا فى القتال فى صفوف الصرب . ولعل أقوى دليل على هذا القول ـ بجانب أدلة أخرى ـ زلة لسان نائب وزير دفاع قوات صرب البوسنة فى حديث له فى اذاعة بالى عاصمتهم المزعومة عندما قال بالنص : « ان العالم الأرثوذكسى يحارب فى صفوفنا ، ويكفى أن يعلم الجميع أن بعضا من جنود الكتيبة الأوكرانية عادوا من بلادهم لكى يحاربوا فى صفوفنا » .

ولا شك أن هذه المشاركة تعد فى منتهى الخطورة لأن القوات الدولية تدخل مواقع جميع الأطراف وتعرف مواطن القوة والضعف بصفتها طرفا محايدا .

ان الحرب فى سيربيرنيشا أو فى البوسنة حرب غير متكافئة ففى الوقت الذى نجد فيه أحدث الأسلحة فى يد جيش الصرب نجد الجنود المسلمين يحاربون ببنادق قديمة من ماركة شيذكوف وبنادق صيد فى مواجهة دبابات الصرب . ويرفض حتى الآن مجلس الأمن رفع الحظر عن توريد واستيراد السلاح للضحية التى تصرخ طوال الوقت بأنها لا ترغب فى قوات أجنبية تدافع عنها ، وانما تطالب بالحق فى الدفاع عن النفس . وعلى الرغم من منطقية وبساطة هذا المطلب الا ان مجلس الأمن يرفضه حتى الآن .

التواطؤ والمؤامرة

ان ما حدث فى سيربيرنيتشا وما يحدث فى البوسنة والهرسك يؤكد وجود مؤامرة على شعب البوسنة والهرسك المسلم تشترك فيها الدول

ويشترك فيها الاعلام فى مقابل شعب يذبح ويغتصب ، ويطـــرد من أرضه ، وقضيته يقترح لتسويتها مخطط جائر ظالم ، وتعتيم اعــلامى ، وتصريحات للاستهلاك تصاغ بذكاء ومهارة ظاهرها الاستنكار وباطنهـا كسب الوقت ليجهز المعتدى على الضحية ويستولى على الأرض ثـم يقف العالم بعد ذلك أمام الأمر الواقع وعلى أساس هذا الكسب الذى يحققه المعتدى تتم التسوية . ومن المؤسف أن غالبية المراسلين الأجانب داخل ســرايبفو يعتمدون انتقاء قصصهم الاخبارية ولا يذكرون سوى جانب من الحقيقة فقط أو ما تسمح سلطات الصرب بارساله .

لقد لجأت القوات الصربية الى استخدام الأسلحة الكيماوية ضـــد بعض مناطق وضواحى مدينة سراييفو خلال الصيف الماضى ومن هذه المدن والضواحى سيربيرنيتشا فى وقت سكتت فيه وسائل الاعـلام عن نقل هذه الحقيقة الى العالم .

ويعتذر بعض المراسلين الأجانب عن عدم تمكنهم من نقل الحقيقة كاملة الى العالم خوفا من سلطات الصرب وسيطرتهم ، ورقابتهم المشددة بل وتهديهم حياة بعض المراسلين ؛ بل ان بعض المراسلين فقدوا حياتهم بسبب محاولتهم التمسك بقدر من الموضوعية .

وقد امتــد استخدام الصرب للأسلحة الكيماوية فلم تقتصـــر على سيربيرنيتشا انما شمــل مدن فوجوتشا ، وتوزال ، وكان التركيز على توزلا وسيربيرنيتشا لأهميتهما القصوى لهم . وقد تأكد كثير من المراسلين اصحاب الضمير من ذلك برؤيتهم الجنود، والكلاب والقطط وهم صرعى فى الشوارع . والطرقات ، ناهيك عن المدنيين من النساء والأطفال .

وتردد صربيا لأوروبا مقولة أنهم آخر خطوط الدفاع عن أوروبا فى وجه الأصولية الاسلامية (رويتر ١٩٩٣/٤/٥) ، كما تردد صربيا أنها لا تحارب المسلمين فقط فى البوسنة انما تحارب معهم محاربين مسلمين من البلاد العربية يشاركون فى الحرب فى صفوف البوسنيين ، وبدأت وسائل الاعلام تردد نغمة التخوييف من دولة أصولية داخل أوروبا .

ان هذا العجز والحماقة التى عليها حرب البوسنة جاءت نتيجـة الجبن السياسى والعسكرى للغرب . فقد كان يمكن وقف الحرب بانذار الصـرب بأن يوقفوا حصار سربيرنيتشا وسراييفو فى آن واحد ، واذا تجاهلوا الانذار تستخدم القوة الامريكية للتخلص من أسلحتهم .

لقد نظر العالم الى أمريكا باعتبارها القوة التى يمكن أن تردع العـدوان خاصة بعد أن تزعمت النظام العالمى الجديد فى حرب الخليج لكن امريكا تشاغلت ، وغضت الطرف عن كل ما فعله ويفعله الصرب حتى اعترف زعيم الصرب صراحة بأن سياسة كلينتون تجاه البوســنة شجعت الصرب على تنفيذ مخططهم وتلخص هذه الكلمات المغزى المهين لكلماته فى كونه واثقا من أن الرئيس كلينتون سيقف مكتوف الأيدى بينما يقوم الصرب بتنفيذ سياسة التطهير العرقى فى البوسنة وطرد المسلمين منها واحلال الصرب محلهم ٠

ان زعماء صرب البوسنة لم يخشوا التدخل الامريكى لذلك استمروا فى حصارهم لسربيرنيتشا وتشريد سكانها البالغ عـددهم ٦٠ر٠٠٠ ألف مسلم ثـم النفرغ بعد ذلك لشن هجومهم على سراييفو (هيرالد تريبيون فى ١٩٩٣/٤/١٣) ٠



التواطــؤ وراء ســقوط سربيرنيتشا

سربيرنيتشا آخــر معقل للمسلمين فى شرق البوســنة

سقطت مدينة سربيرنيتشا آخر معقل للمسلمين فى شرق البوسنة ٠ وكان هدف الصرب منذ بدء القتال الاستيلاء على مدينة سربيرنيتشــا لتفردها بموقع استراتيجي هام ٠ وعلى الرغم من أن الصرب استولوا على ٣ مدن اسلامية أصغر مساحة وهى كامينيكا ، وكيرسا ، وكونجيفيتش بولى غير أن سربيرنيتشا ظلت هدفا استراتيجيا حيويا للصرب فى خطتهم للاستيلاء على الضفة الغربية لنهر درينا الذى يشكل خط الحدود البوسنية الصربية ، ومن هنا يستطيعون تهديد جيبين مسلمين فى زيبا ، وجورازدى اللتين يقطن فيهما نحو ٨٠ ألف مواطن مسلم ٠

ومنذ اندلاع القتال والحرب سجال بين الصرب والمسلمين على هذه المدينة فالصرب منذ فترة يرغبون فى الثأر لانهم كانوا استولوا عــلى هذه المدينة فى ابريل من العام الماضى لكن المسلمين اســتعادوها فى الشهر التالى بعد مصرع نحو ٢٠٠٠ جندى صــربى ٠

وبعد حصار للمدينة من قوات الصرب دام أكثر من ١٠ عشــرة أشهر تسقط المدينة لا لجبن مقاتليها وضعفهم ولكن لقـلة السـلاح فى أيديهم أمام القصف الصاروخى والمدفعى ، واستخدام الأسلحة الكيماوية ، وذلك بعد أن فقدت المدينة الباسلة معظم المدافعين عنهـا ، وبعد أن نفذ السلاح والذخيرة ٠

وتضم المدينة ٦٠٫٠٠٠ مسلم قتل معظمهم وتحولت المدينــة الى اطلال من منازل مهدمة وقاذورات فى كل مكان ، لا ماء ، لا دواء ، لا غــذاء ، ســكان المدينة يعيشون فى العــراء يبدون كأشباح من شدة الجوع والعطش ، وهم بين جرحى ومرضى عيونهم لا تصدق ما ترى ٠ لقــد توقف نبض الحياة فى هذه المدينة الجميلة بعد أن كانــت ذات يوم منطقة صناعية ٠

ومن المؤسف ان كل دول العالم التى تنادى بحقوق الانسان تسمع وترى ما يحــدث للمسلمين فى سربيرنيتشا وفى البوسنة والهرسك ولكنها لا تفعل شيئا اللهم الا صدور تصريحات من هنا وهناك بالشــجب ،

ونجد ضغوطا تمارس من المؤسسات الدولية على الضحية ولا تقترب من الجانى ٠

لقد دارت معركة سقوط سربيرنيتشا بنفس أسلوب القتال المعهود منذ اندلاع الحرب فى البوسنة والهرسك قبل اثنى عشر شهرا فالصرب يحاصرون المدينة ويواصلون قصفها بأسلحتهم الثقيلة ، ومدافع الهاون بينما يتقدمون زحفا الى الأمام بخطى ثابتة ٠ والمسلمون يقذفون بالذخائر التى فى متناول أيديهم دفاعا عن المدينة (التايمز بتاريخ ١٩٩٣/٤/١٧) ٠

الاستسلام ونزع السلاح :

لقد استسلمت القوات المسلمة المدافعة عن مدينة سربيرنيتشا الواقعة فى شرق البوسنة بعد حصار استمر لمدة عام ، وهجمات ازدادت عنفا فى الأيام الأخيرة شنها الصرب بمختلف الأسلحة وتقضى شروط الاستسلام بتحويل المدينة الى منطقة منزوعة السلاح تحت اشراف قوات حفظ السلام الدولية التى تنزع سلاح القوات المسلمة فى غضون ٧٢ ساعة ونقل الجرحى الى مدينة توزلا ٠

ويتفوق الصرب بما فى أيديهم من أسلحة ثقيلة حديثة وامدادات لا حصر لها من الذخائر بينما يفتقر المسلمون باستمرار الى الذخيرة اللازمة لفرق المشاة الرثة الملابس التى جرى تسليحها بشكل رئيسى بالرشاشات الصغيرة ٠

لقد تعرضت المدينة فى الآونة الأخيرة لقصف متواصل بالصواريخ الهاون ، وقذائف الدبابات والمدفعية وحتى الأشخاص الذين حاولوا نجدة الجرحى فى الشوارع سقطوا بين قتيل وجريح مما جعل الشوارع تمتلىء بالقتلى والجرحى الذين لم يجدوا من يتقدم ليوارى القتلى التراب ، وينقذ الجرحى بنقلهم الى المستشفيات ٠

ولم يفرق قناصة الصرب بين المسلمين وجنود حفظ السلام فقد ذكر جون مكميلان المتحدث باسم الأمم المتحدة لشئون اللاجئين أن جنود حفظ السلام الكنديين تعرضوا لنيران البنادق والأسلحة الآلية اثناء محاولتهم اجلاء مدنيين جرحوا في قصف مدفعي صربي أدي

الى مقتــل ٦٤ شخصا . ومعنى هذا تقدم الصــرب نحو المدينة حتى أصبحت المدينة بمن فيها فى مرمى نيران أسلحتهم الصغيرة .

وقد أعلنت مدينــة سربرنيتشــا استسلامها عقب توقيــع اتفــاقية الاستسلام بين قادة المسلمين والصــرب ، ويسمح الصــرب بموجب هذه الاتفاقية بدخول المدينة المحاصرة للاشــراف على تحويلها الى مدينــة منزوعة الســلاح ، وتقضى الاتفاقية أن تسلم القوات المسلمــة أسلحتها فى غضون ٧٢ ساعة الى ممثلى الأمم المتحدة .

وبموجب هذا الاتفــاق جمعت القوات الدولية أسلحــة المحاربين المسلمين داخــل المدينة وأكثره ســلاح يدوى خفيف . يحدث ذلك رغم تخوف سكان سربيرنيتشا من أن نزع ســلاح القوات الاســلامية سيجعل المدينة هدفا سهلا للقوات الصربية التى تطوق المدينة . خاصة بعد أن صــرح الجنرال راتكو ميلادتش القــائد العسكرى لصــرب البوسنة يوم الاثنين ١٩ أبريل ١٩٩٣م أنه لم يوافق على سحب قواته من حول بلدة سربرنيتشا المحاصرة فى اطار اتفاق لوقف اطلاق النار .

وتتعــارض تصــريحات ميلادتش مع تصــريحات الجنرال فيليب موريلون قائد قــوات الأمم المتحــدة فى البوسنة الذى قال يوم الأحد المــوافق ١٨/٤/١٩٩٣ ان القــوات الصــربية ستنسحب ما ان يتم نزع ســلاح البلدة .

على أن الجنرال فيليب موريلون الفرنــى الأصل قائد قوات الأمم المتحدة لا يثق فى وعود الصــرب واتفاقياتهم التى سرعان ما ينقضونها حتى قبــل أن يجف المداد الذى كتبت به هذه الاتفاقيات . فقد وعــد الجنرال راتكو مالتيك القــائد العسكرى الصــربى بوقف اطلاق النــار على سربرنيتشا ، وفى الساعة المحددة لذلك بدأت قواته باطلاق النــار ومنع قائد قوات الأمم المتحدة من دخول سربرنيتشا .

الغــرب يلعب مسرحية محــزنة :

ان الذى يمكن أن يستقرأه حتى الانسان العادى البسيط لمــا يحدث فى سربرنيتشا أن الغرب يمثــل أمام العــالم تمثيلية محزنة يظهر فيها البطــل مدافعا عن المظلوم ومهددا الظالم لكن دون أن يأخذ على يده

بل انه فى الخفـاء يبارك ما يقترف ٠ ومن المؤسف أن يستخف الغرب عقول الدول العربية والاسلامية فى مأسـاة سربرنيتشا والبوسنة والهرسك ويتبادلون الادوار فيما بينهم فاليـوم يعلن زعيم غـربى تشـدده ضـد الصـرب وغدا نجد زعيما آخـر يقـوم بدور المعتدل الذى يريد حـل النزاع بالمفاوضات ٠ وتعلن أمريكا أنها تفكر فى استخدام القـوة وترد فرنسا وانجلترا بأن الأولى افساح الوقت أمام المساعى الدولية ٠

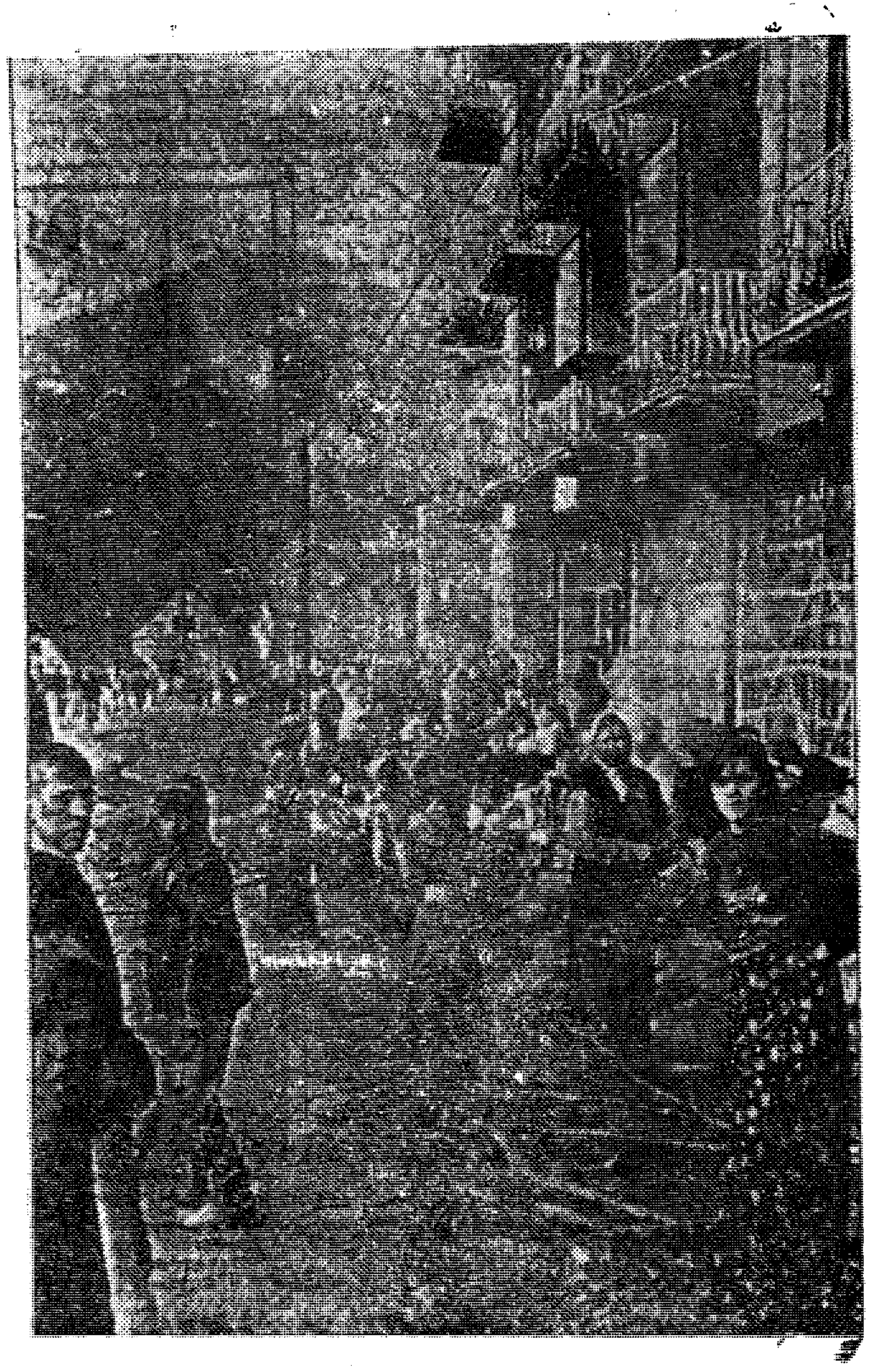
ويعلن كلينتون فى حملتـه الانتخابية أنه بعد انتخابه سيرفع حظر السـلاح عن مسلمى البوسنة ، وبعد أن يتولى رئاسـة الولايات المتحدة الأمريكية يطوى الموضوع وكأنه لم يقـل شيئا ٠

ثم تعلن أمريكا أنه ينبغى التدخـل عسكريا وهنا تثور الأمم المتحدة وتعلن أن التدخل العسكرى سيدمر مساعى السلام الجارية ٠

ثم تعلن أمريكا أنها قد تسعى لتسليح قـوات الحكومة البوسنية التى يعوزها السـلاح بدرجة هائلة وفى مقابل هذا التصريح نجد أجراس المعـارضة والانذار تدق فى موسكو ولندن وباريس والهيئات الدولية ٠

واذا كان التهديد الأمريكى جديا فمن المحتمـل أن يواجه مقاومة عنيفة فى مجلس الأمن ٠ وقد فرض حظر السـلاح على جميع أنحـاء يوغسلافيا السابقة أثنـاء الحـرب الصـربية الكرواتية عام ١٩٩١ م ٠ ولكى يتم تسليح الحكومة البوسنية بصـورة مشروعة لابد من تعـديل قـرار مجلس الأمن ٠ ويعارض ذلك ثلاثة من أصـل خمسـة أعضـاء دائمين فى مجلس الأمن هم روسيا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، ويحـذو حذوهم اللورد أوين وسيط المجموعة الأوروبية ٠ كما يلقى حظر السلاح الدعم من بلجراد وزغـرب بسبب بسيط هو أنه يجمد اللاتوازن المزمن فى السـلاح لصالحهما ٠

وكان الحظر الأول المفروض عام ١٩٩١ سندا للصـرب فى الحرب المشتعـلة بينها وبين كرواتيا فقد قام الجيش اليوغسلافى بتزويد ودعم الثوار الصـرب بالسلاح (الجارديان فى ١٦/٤/١٩٩٣) ٠



مدينة سربيرنيتشا فى انتظار كسرة خبز عن النيوزويك

لا يكتفى الصرب باغتصاب المسلمات
انما يزرعون أجنة الكلاب فى أرحامهن

يستشعر كل انسان عادل حجم البشاعة التى وصلت اليها جرائم الصرب فى اذلال المسلمين فى البوسنة حتى انهم لم يكتفوا بالقتل والاغتصاب الجماعى للنساء والرجال ، بل وصل الامر الى حد وضع أجنة الكلاب فى بطون نساء المسلمات ٠

لقد أصبحت عمليات الاغتصاب الآن على رأس قائمة الأعمال الوحشية التى يمارسها الصرب فى البوسنة الى جانب التعذيب والقتل ٠

ان ما يفعله الصرب بالمسلمين لم يحدث له مثيل منذ أيام معسكرات التصفية التى أقامها هتلر ٠ وما يحدث فى البوسنة خير شاهد على ما أصاب الاسلام والمسلمين من مهانة على يد الصرب ٠

ان ما يؤلم الانسان تجاهل صحفنا العربية لكل ما يحدث لاخواننا وأخواتنا فى البوسنة من ابادة ، وتصفية ، واغتصاب وهتك أعراض فى وقت تهتم هذه الصحف بعلاقة الأمير تشارلز وزوجته ديانا ، والمكان الذى أمضى فيه تشارلز وديانا وولديهما ليلة رأس السنة الميلادية ٠ وبالمقابل نجد الصحف الغربية تهتم بما يحدث للمسلمين ، وتتيح مساحة على صفحاتها للحديث عن ذلك أكثر مما تتيحه صحفنا العربية والاسلامية ٠

لقد لطخ الصرب ضمير العالم بما يقومون به من فظائع ، فاغتصاب النساء يعنى أن كل أعراض المسلمين قد انتهكت ، ووضع أجنة الكلاب فى أرحام المسلمات رسالة ساخرة الى العالم الاسلامى يقولون له فيها انكم أيها المسلمون من جنس الكلاب ٠

أبشع انواع الابادة والتعذيب :

لم يترك الصرب وسيلة من وسائل القتل والابادة والتعذيب الا واستخدموها فى تعاملهم مع المسلمين ، وقد قتلوا حتى الآن وجرحوا ما يقرب من نصف مليون مسلم ، وشردوا حوالى ٢ مليون ، وانتهكت

حقوق الانسـان حين اغتصبوا ٥٠ ألف امـرأة مسلمة ، وما زالت عمليات الاغتصـاب والتعذيب تجرى حتى الآن ٠

ان أبسط أنواع الخـلاص من المسلمين فى البوسنة أن يفتح الجنود الصـرب نيران بنادقهم على المسلمين العـزل فيتخلصون منهم ٠ وهناك اعدامات منظمة تمارسها القوات الصـربية ضد المسلمين ٠ وفى كل قرية تدخلها القوات الصـربية يقتادون جميـع أبنـاء المسلمين الذين تزيد أعمارهم على ١٨ سنة ، ولا أحد يعلم مصيرهم بعد ذلك ٠

وتروى الديلى جراف ما ذكـره شاب بوسنى مسلم اسمه ميهو سليعفر (١٧ سنة) : « لقد دفعـوا بأبى الى أحد الجدران ، وأطلقوا عليـه النـار ، واضاف يقول وهو ينتحب ممسكا برأسـه بين كلتا يديه وعندما اندفعت والدتى نحو جثـة والدى لم يتوان الجنود الصـرب فى اطلاق النـار عليها ليردوها جثـة هامدة بجواره » ٠

وتبلغ السفالة والخسـة والنذالة حدودها عندما يفتح قناص صربى النـار على حافلة تحمـل أطفالا يتامى فارين من المذابح فى سراييفو ٠

ويصف مراسل الديلى تجراف ما شاهده فى شارع المـاريشال تيتو فى سراييفو من تساقط القذائف فى تتابع زمنـى دقيـق حيـث كانت تسقط قذيفة فى كل عـدد محسوب من الثوانى ، وكان قصف الصـرب قد بدأ فى الوقت الذى كان المواطنون المسلمون يصطفون للحصـول على الأمـوال خارج أحد البنوك أو يسعون للحصول على المـواد الغـذائية أو الميـاه فى وسط المدينة ٠ وقد أصبح شارع الماريشـال تيتـو خاليـا تماما من المـارة ، وبدا أسفلت الشارع المهجور مغطى بطبقة جديدة من بقايا الزجاج والأنقاض تتخللها برك من الدماء المتجمدة ٠

وتستخدم القوات الصـربية ضد المسلمين أسلحة الدمار الشامل ، والأسلحـة الكيماوية المحـرمة دوليـا ويستعينون فى حـربهم بخبراء ومرتزقة أجانب ٠

ولا تكتفى القوات الصـربية بقتـل المسلمين انما يمثلون بجثثهم وقد ذكر المراسلون الأجانب أنهم شـاهدوا جثثا بدون رؤوس ، وبدون أعين ، كما شـاهدوا أطفالا يتامى لا تتجاوز أعمارهم سنة واحدة وهم

يبكون ويشاهدون ذئاب الصرب البشرية وهى تعيث فسادا فى بيوتهم وأهليهم . كما شاهدوا الصواريخ وهى تسقط المآذن ، وتدك المساجد ، والدبابات تدوس على جثث المسلمين . وذكر أحد المراسلين أنه شاهد بعض جنود الصرب وهم يمرحون ويتخذون من رؤوس المسلمين بعد قطعها كرة يلعبون بها .

ويذكر مندوب (رويتر) سبب هروب أم اديتا فقد شاهد بعد أن رفعت له تنورتها الطويلة الصلبان التى حفرها على ساقيها وذراعيها جارها الصربى ذات يوم فى شهر مايو ١٩٩٢م ، وقالت لقد اضطررت أن أدعه يفعل ذلك خوفا على أطفالى .

وقالت أم اديتا ان جارها الصربى وهو زميل زوجها الراحل اقتحم منزلها وهددها بالقتل هى وبناتها الثلاث ، وأمسك بابنتها البالغة من العمر ١١ عاما ، وحلق جزءا من شعرها وترك الجزء الباقى ليرسم على فروة رأسها شكل صليب ، وبعد هذا أحضر المداد والابرة التى استخدمها فى حفر الوشم . وقالت وهى تستعيد ساعات هذه المحنة : « لقد مكث خمس ساعات حتى يجف مداد الوشم » .

ويصف مندوب التايمز The Times صور الأجساد المشوهة، والجثث المقطعة ، وآثار التعذيب ، والرعب فى وجوه الذين كانوا على على وشك الموت . ومشاهد النساء وهن يتساقطن برصاص القناصة ، والأطفال المختبئين فى الأقبية خوفا من القصف ، والجثث المجهولة وهى تطفو فوق مياه الأنهار ، أو على قارعة الطرقات على امتداد البصر .

ويروى المراسلون الأجانب أن المقاتلين الصرب يقطعون أجساد المسلمين بالسكاكين على شكل صليب ، أما أسرى الصرب من الكروات الكاثوليك فيرسمون على أجسادهم علامة الصليب بشكله الارثوذكسى ، وأنهم يطاردون رجال الأعمال المسلمين وصفوة المجتمع فى كل قرية أو مدينة يحتلونها ويصفونهم جسديا .

الاغتصـــاب :

تتعرض النساء المسلمات لعمليـات اغتصاب واسـعة فى القـــرى والمدن التى تدخلها القوات الصـربية ، ويتم الاغتصاب فى بعض الأحيان امام الأزواج والاباء والأمهـات فى المنـازل أو فى معسكرات صـربية خاصـة للاغتصاب ، يحدث ذلك كجـزء من مخطط استراتيجى وضعته القيـادة الصربية بهدف اذلال الرجال والنسـاء المسلمين ، ورفع روح الصـرب المعنوية وتدمير الروح المعنوية للمسلمين ، وارهاب السـكان لدفعهم الى النزوح ، واظهار قوة الصـرب الميدانية ٠

يحدث الاغتصاب ضمن خطة ممنهجة مدروسة يستخدمها الصـرب كسلاح فى الميدان ٠ وهناك أوامـر مباشرة من القيـادة الصـربية تدعو الى اغتصـاب النسوة المسلمات ، وهناك اغراءات من القـادة للجنود لممارسـة الاغتصـاب ٠ وكشفت شهادات أدلت بها نسـاء من ضحـايا الاغتصاب ، وشهود عيـان ، وبعض من جنود الصـرب المعتقلين الذين شاركوا فى هذه الجـريمة البشعة أن ما يجرى من ممارسات على أرض المعـركة لم يكن وليد الصـدفة ٠ وقال رئيس قسـم البحـوث بوزارة الخارجية الأمريكية : « لا يعقـل أن تكون عمليات اغتصاب القصر مجرد نزوة عـابرة طرأت فجـأة على الجنود الصرب بل ان عمليات الاغتصاب جـزء مكمل لسياسـة التطهير العـرقى ٠ ان عمليات الاغتصـاب فى البوسنة ليست جريمة أفراد انما هى سياسـة جيش يتبع حكومة الحرب، ويؤكد ما أقول ما أدلى به (يوريسلاف هيراك) وهو جندى صـربى يبلغ من العمـر ٢١ سنة بشهادة مفـزعة تحدث فيها عن ارتكابه لعشرات عمليات الاغتصاب بأوامـر من رؤسائه ، وتحدث عن اغتصابه لعشـر فتيـات مسلمات وقتـله ست منهن ٠

وتروى (التايمز فى عددها بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٢٣ فى مقال بعنوان : معسكرات صـربية نازية لاغتصـاب المسلمات) وقوع عمليـات اغتصاب جماعية نفذها صربيون استقدموا من الخارج وان عمليات اغتصاب واسعة ارتكبها ضد الفتيـات المسلمات جيرانهم فى السكن أو الحى من الصرب، ونتم هذه العمليـات بأوامـر عليا لنسف أى احتمال الى الأبد بالتعايش من جديد بين الصـرب والبوسنيين المسلمين ٠

وفى تقـرير نشـــرته (ليبرايسون Lebralson) أول فبراير ١٩٩٣ بعنوان « الصـرب يمارسون أبشع أنواع الحروب ضد المسلمين »



● فتيات مسلمات تعرضن لجرائم الاغتصاب الجماعى

جاء فيه : أن الصـرب يمارسون اغتصـاب أولاد المسلمين على نطـاق واسـع . وفى الأشهـر القليـلة المـاضية تحدث لاجئون بشهادات عن ممارسات لا أخلاقية مارسها الجنود الصـرب واغتصاب جماعى ومتكرر لأطفال بين السـادسة والسابعة .

وتلتقى المعلومات الواردة فى تقـرير اللجنـة الأوروبية مع ما جاء فى التحليلات التى قام بها مركز حقوق الانسان التـابع للأمم المتحـدة من الوضع فى البوسنة ، ومع تقـرير خاص بالمجلس الكنائسى العـالمى الذى أرسل فى ديسمبر المـاضى محققين الى يوغسلافيا قالوا بعد اتمام مهمتهم : « اننا على ثقة تامة بأن الاغتصـاب مستخدم كوسيلة حـرب فى البوسنـة .

وتصـرح السيدة (كاديتش) احدى عضوات جماعة «تريجنيفكا» التى شكلتها حكومة البوسنة والهرسـك لرعاية السيدات المسلمات اللاتى حملن سفاحا أن عمليات اغتصـاب حدثت لفتيات صغار ما بين العاشرة والخامسـة عشـرة ، وقد تم اغتصابهن بصـورة وحشية محكوم عليهن بالموت لأن عمليات الاغتصاب تمت بطريقة تركت اصـابات قاتلة يصعب عـلاجها .

وتنشـر مجلة (نيوزويك فى مقالها يوم ١٠ من يناير ١٩٩٣ تحت عنوان (جرائم الحـرب النازية فى البوسنة والهرسك) حديث الطفلة فازفيا « ١٢ سنة » عندما قضت ليلتها الأولى فى معسكر بارتريان الذى يديره الصـرب بالقرب من مدينة فوكا تقول : لقد اختارنى جنديان من بين ٧٠ من المحتجزين جميعهم من النسـاء وأخذانى الى شقة خاليـة ، وتناوبا اغتصابى عدة مرات ، وتعرضت لنفس الفعـل المشين على يد العشرات من الجنود الآخـرين ، وعندما همت هى ووالدتها وشقيقاتها بمغادرة المعسكر تعرضن جميعـا للاغتصاب مـرة أخرى على يد نفس الجندى . وبعد أن تمت مبـادلة فازفيا ووالدتها وشقيقتها فى يوم ١٧ سبتمبر ١٩٩٢ بمعتقلين حربيين لجـأت الى مركـز اللاجئين بالقـرب من سراييفو ولم يسمع أحد حتى الآن خبـرا عن والدها الذى ضـرب أمام أسرته واقتيد الى معسكر لاحتجـاز الرجال .

وجاء في تقرير لجنة التحقيق التي شكلتها الجماعة الأوروبية تعمل في يوغسلافيا أن بعض عمليات الاغتصاب تمت بصورة سادية مخيفة من أجل فرض أكبر قدر من الاذلال على الضحايا ، وأن كثيرا من النساء وخاصة من البنات الصغيرات قد قضين نحبهن اما خلال عملية الاغتصاب أو بعدها بوقت قصير .

وقالت ناجيات من معسكرات الاغتصاب ان بعض الجنود ما ان يقضوا وطرهم حتى يعمدوا لقتل ضحيتهم .. ويذكر الدكتور محمد سيتيك رئيس قسم الأعصاب والطب النفسي بمستشفى زنيكا أن معظم النسوة اللاتي تم اغتصابهن قتلن بعد ذلك .

وتذكر بعض المحتجزات في معسكرات الاغتصاب أن الصربيين كانوا يحتجزون النساء في المعسكرات ويعمدون على اجبارهن على الحمل سفاحا . ويذكر الأطباء النفسيون الذين قاموا بمقابلة النساء البوسنيات المغتصبات أنهن لا يردن الاحتفاظ بهذا الحمل المذل .

ويعتقد أعضاء لجنة التحقيق الأوروبية التي ترأسها السيدة دام واروبور توم البريطانية الجنسية والزعيمة السياسية الفرنسية سيمون فيل أن خير وسيلة لتخليص المغتصبات البائسات من ثمرة الذل هي في تبني المواليد الجدد من عائلات محترمة دون أن تحصل تجارة في هذا المجال ، وتنصح السيدة سيمون فيل الحكومة الأوروبية بتسهيل اجراءات منح تأشيرات الدخول الى أراضيها للنساء البوسنيات الحوامل حتى يمكن اتمام الولادات في ظروف طبيعية وتدبير أمر المواليد بعد ذلك .

لقد بلغ من تم احصاؤهن من الفتيات والنساء المغتصبات حتى الآن حوالي ٥٠٫٠٠٠ امرأة مسلمة وفتاة ، وما زالت عمليات الاغتصاب مستمرة ، خاصة وأن القوات الصربية قد أعدت للنساء عدة معسكرات رصدت منها جماعات حقوق الانسان أكثر من ستة عشر مركزا حيث تحتجز النسوة من مختلف الأعمار ويتعرضون لعمليات اغتصاب متكررة وجماعية على يد المقاتلين الصرب ، فيما يشبه أسواق البغاء داخل المعسكرات .

وتحاول كثير من المغتصبات التخلص بالاجهاض مما فى أحشائهن من حمل خشية العار ، وكثير من المغتصبات لا يذكرن ما فعله الجنود الصرب معهن ، ولكن ما ان تبدأ آثار الحمل حتى يضطررن الى الكشف عن المأساة .

وتقوم القوات الصربية بحجز المغتصبات الحوامل فى معسكرات خاصة لمنعهن من الاجهاض . وينبغى أن نعلم أن كثيرا من الناجيات بعد حوادث الاغتصاب لا يفضلن فضح أنفسهن ويحتفظن بتجاربهن المريرة كسر شخصى وخاص .

وتنشر التايمز فى عددها بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٢٣ ما حدث لفتاة مسلمة تبلغ من العمر ١٧ عاما فى مدينة فيزجراد فى شهر يونيه ١٩٩٢ حيث اغتصبها الجنود هى وشقيقتها البالغة من العمر ١٦ عاما ، واحدى زميلاتها فى المدرسة حيث أخذوهم من منزلهم الى مركز الشرطة ومن المركز الى فندق فيلينا فلاس وهو فندق مشبوه يختطف اليه الصرب فتيات القرى المجاورة وأرسلت شقيقتها منيرة وزميلتها الى احدى غرف الفندق مع جنديين من الصرب . وأخذت هذه الفتاة التى أطلق عليها مراسل التايمز اسم (عذراء) الى غرفة حضر اليها فيها جندى صربى وأغلق الباب وراءه وبدأ التحقيق معها بسؤالها عن الأشخاص الذين بحوزتهم أسلحة بين المسلمين : « وعندما أجبت لا أعرف وصمنى بالكذب ثم سألنى عن والدى ، ثم بدأ بعد ذلك فى خلع ملابسه وطلب منى أن أخلع ملابسى ولكنى رفضت » قالت عذراء وهى تنتحب وتمسح دموعها « لكننى رضخت للتهديد وخلعت ملابسى فى النهاية وحاولت أن أدافع عن نفسى ولم استسلم لكنه ضربنى ، وقال لى : أنه شرف كبير أن اكون من نصيبه وأن مصيرى كان يمكن أن القى فى نهر درينا جثة هامدة ، وبدأت أستغيث وأصرخ وحينئذ انتصب واقفا وهددنى باستدعاء عشرة جنود ليمزقونى اربا وهنا لم أجد مفراً للرضوخ » .

وتريد عذراء أن تكشف عن اسمها وأن يعرف العالم ما يجرى فى البوسنة لكنها تخشى على حياة شقيقتها ان كانت لاتزال على قيد الحياة .

وتفضل (س) عدم الكشف عن اسمها وهى تبلغ من العمر ٢٠ عاما وتقول حوصرت وأربعمائة من نساء القرية في فناء احدى الدور

المجاورة لمنزلها عندما اجتاح جنود الصرب قرية ريزفانفيتشى ، ووقع اختيـــار جنديين على (س) وصـــديقتها « أ » وأخـــذنا الجنديان الى أحد البيوت المهجورة وهناك فعلوا بنا ما فعلوا .

وبعد ذلك بدأ الصرب يتبادلون الفتيات فيما بينهم . لقد كانت جميع الفتيات اللاتى تم اغتصابهن فى القرية عذراوات ، وقالت (س) كانوا يهزأون بنا ويقولون لنـــا اننا حسناوات ولم تتوفر حياتنــــا الا لامتاعهم والا كنا فى عداد الأموات » .

ولم تنته مأساة (س) عند ذلك الحد فبعد أن تعرضت للاغتصاب وأعيدت الى فناء الدار المحتجزة فيه بقية النسوة ، عاد الجندى ليأخـذ (س) الى قائده ، وأمرها بالتعرى ، وقالت « أمرنى أن أخلع ملابسى واستلقى على السرير ، ثم فعل معى نفس الشىء بدأ بتقبيلى ومداعبتى ، ولم يجد أى استجابة من جانبى ، عندها نظرت الى عينيه وسألته عمـا اذا كانت له زوجة ، ولما أجاب بالنفى سألته اذا كانت له أخـت وتعرضت لمثل مايفعله بى ، عندئذ أفاق وارتدى ملابسه على عجل وأخلى سبيلى» .

وعلى الرغم من أن مجلس الأمن فى ١٨ من ديسمبر سـنة ١٩٩٢م أدان بالاجماع عمليات الاغتصاب التى تحدث من الصـرب فى البوســـنة والهرسك لكن هذه الجريمة البشعة لاتزال ترتكب حتى الآن أمام أعين الآباء والأمهات والاشقاء والازواج بغرض اذلال الرجال واجبار النساء على الحمل واحتجازهن الى حين وضع أطفال صربيين غير راغبات فى الاحتفاظ بهم ، وفى أواخر شهر ديسمبر ١٩٩٢ وضعت أربع نساء مسلمات من بين اللاتى تعرضن للاغتصاب خلال شهر ابريل ١٩٩٢م وكتب عليهن أن ينجبن أبناء غير شرعيين من الوحوش الصربية .

وعلى الرغم من أن الأمهات فى معسـكرات الاغتصاب كـن يغيرن من هيئات فتياتهن حتى يصبحن كشكل الصبية بقص شعور بناتهن أو الباسهن أغطية رأس ثقيلة ليظهرن بمظهر العجائز لكن تلك الحيل لم تكن تنطلى دائما على الجنود الصربيين . وتساق الفتيات من المعسكرات الى قصر القائد الصربى الفظ « بيرو » حيث يحتفظ فى مقره بأعداد كبيرة ليكونوا تحت طلبه وطلب الجنود العائدين من مواقع القتال .

وهناك حكايات كثيرة نقلتها الصحف الأجنبية لفتيات مسلمات تحدثن فيها عما لحق بهن وقد ذكرت الصحف أسماء الفتيات : ياسمينا ، وعصمت ، وسابينا ، وناسا ، وسجادة ، وفضيلة ، وسليما وفاطيما ، وزاتيما ، وزمرا ، وأميرة ، وزنيتا ، وسافيتا ، وعدينا ، وعلما ، ورميزا وكل واحدة لها حكاية تذكر فيها الاغتصاب المتكرر والمتتابع من الجنود لها حتى لا تستطيع الوقوف على قدميها بل الزحف على بطنها ، ومنهن من ضربن وتم اغتصابهن فى الشوارع الرئيسية أمام جموع السكان ووصفهن بأنهن من المسلمين الأوغاد .

ومن المحزن ما روته الصحف الأجنبية من أن الصرب يزرعون أجنة الكلاب فى أرحام النساء المسلمات البوسنيات الأسيرات على سبيل التجارب العلمية ، وهم يعلمون سلفا أن هذه الأجنة سوف ترفضها الأجسام ، وسوف تتعفن فى الأرحام وسوف تموت النسوة ، لكنها رسالة يوجهها الصرب الى العالم الاسلامى كله أنه من جنس الكلاب .



الفصل الثالث

المسلمون في مقدونيا

- المسلمون فى مقدونيا تاريخ وواقع اجتماعى •
- المنطق المقدوني السكوبى فى مواجهة المجموعة الأوروبية•
- الأمم المتحدة تعترف بدولة بلا علم •
- دولة بلا اسم صريح فالاسم مؤقت ومتنازع عليه •

المسلمون فى مقدونيا تاريخ وواقع اجتماعى

يصل عدد سكان جمهورية مقدونيا اليوغسلافية سابقا الى ٥ر٢ مليون مواطن ، تبلغ نسبة المسلمين من عدد السكان ٥٢٪ ، وتتالف الجماعة الاسلامية من الالبان (وعددهم ٠٠٠ر٩٠٠ تسعمائة الف) والاتراك (وعددهم ٠٠٠ر١٨٠ مائة وثمانون الفا) والبوسنويين المسلمين (وعددهم ٠٠٠ر٥٠ خمسون الفا) والغجريين (وعددهم ٠٠٠ر٤٥ خمسة وأربعون الفا) وبعض الأقليات الأخرى ٠

وأما الشعب المقدونى المسيحى فلا يزيد عدده عن ٠٠٠ر٦٥٠ ستمائة وخمسين الف مواطن ، وهم الذين يمسكون الحكم فى مؤسسات الدولة وسلطاتها الرسمية

وتمارس السلطات المقدونية مع المسلمين سياسة ظالمة تقوم على القمع والاقصاء عن الوظائف الرئيسية الهامة ، ويمكن القول ان سياستها تجاههم أشد قوة من السياسة التى مارسها الحكم الشيوعى معهم ٠ واصبحت الديمقراطية الحالية سلاحا جديد لمحاربة الاسلام والمسلمين ٠ وعندما صدر الدستور الجديد فى نوفمبر « تشرين الثانى » عام ١٩٩١م رفض القوميون ادراج المسلمين ذوى الأصل الألبانى كشعب متميز مثل النصارى الأرثوذكس ذوى الشعب السلافى ، وترتب على ذلك حظر اللغة الألبانية فى المدارس والجامعات والاعلام وغير ذلك من المنشآت العامة ، وحتى اللافتات والاعلانات أصبحت لا تكتب الا بالحروف « السيريلية » ٠

ويؤكد الياس حليمى رئيس الحزب الديمقراطى الشعبى للألبان على أن « موظفى الحكومة زوروا الانتخابات النيابية عام ١٩٩٠م » كما يشير الى وصول نسبة المقدونيين الألبان فى المناصب الرئيسية فى الدولة الى ٣٪ فقط رغم ارتفاع نسبتهم السكانية ٠

وقد تشكك الحزب فى نزاهة التعداد السكانى من جانب السلطات فدعا الى مقاطعته ، وتبنى رسميا نتائج استفتاء شعبى جرى فى يناير ١٩٩٢ لا تعترف الحكومة به ، وقد أسفر عن مطالبة ٧٤٪ من فئة الألبان المقدونيين المسلمين بالحكم الذاتى فى الشمال والغرب من مقدونية ٠

ويبدو اقصاء المسلمين واضحا ، وعدم رغبة الدولة فى منحهم مناصب قيادية فى تزوير الانتخابات فقد كانت الانتخابات الديمقراطية الحرة التى جرت منذ عامين وسيلة خادعة كان من ورائها ابعاد المسلمين عن جميع سلطات الدولة ومنظماتها تتضح هذه المؤامرة التى دبرت لابعاد المسلمين اذا عرفنا أنه كان يكفى لانتخاب نائب مسلم فى مجلسى الشعب لو أعطاه الأصوات الفان فقط فى حين كان عدد ناخبى المسلمين حوالى ٢٠٠٠٠ ، وبناء على ما تقدم فقد أخذ المسلمون فى مجلس الشعب المقدونى ٢٣ مقعدا فقط من بين ١١٩ مقعدا ، وهذا هو مفهوم العدل الديمقراطى عند الشعب المقدونى المسيحى وسلطاته الرجعية .

ويتعرض المسلمون فى مقدونيا للقتل ، والطرد ، والسجن وفى أوائل هذا العام دخلت السلطات المقدونية الى سوق « بيت بازار » وقتلت شابا مسلما يتاجر لكسب قوته اليومى نتج عن ذلك صدام عنيف بين المسلمين وسلطات الأمن .

وتعزز المواقف القومية ، والعرقية ، والدينية جو العداء المتصاعد مثل ما يتردد أن « الألبان مجرد ضيوف على مقدونيا فإن لم يلتزموا بسلوك مناسب يمكن طردهم » ولا يتردد ذلك فى نطاق ضيق أو على مستوى العامة فقط بل يصل الى مستوى التثبيت من خلال النظريات التاريخية التى يخترعها ويدعيها مؤخهم القومى (بلانتشى ريستوفسكى) .

وفى نهاية أكتوبر ١٩٩٢ اتخذ المجلس النيابى قراراً بحظر الجنسية عمن لايثبت وجوده فى الأراضى المقدونية منذ ١٥ سنة على الأقل . والتعليل الرسمى ان كثيرا من المسلمين من البان كوسوفو يتسللون الى البلاد ، ويجب ترحيلهم ، بينما لايكاد يوجد أى ضمان الا تشمل عمليات الترحيل قسما من سكان وأهل البلاد الأصليين مادام الجو القومى السائد هو جو اعتبارهم ضيوفا .

ويدافع المسلمون عن أنفسهم فيذكرون أنهم ليسوا بعناصر أجنبية أتت الى تلك البلاد منذ زمن قليل ، بل هم من سكان البلاد الأصليين عاشوا معهم عبر التاريخ ، وكان من السهل على المسلمين أن يفعلوا بهم مثل ما يفعلوه بالمسلمين اليوم لأن المسلمين حكموا هذه البلاد ستة قرون كاملة .

ويذكر المسلمون فى مقدونيا فى نداء وجهوه الى المسلمين فى أنحاء العالم أنهم على يقين أن اليونان لن يحارب مقدونيا فى يوم من الايام بل الحرب المحتملة ستكون فى غرب مقدونيا فقـط حتـى يكثر عـدد المسلمين ، وهم يذكرون ذلك لأن الشعوب اليونانية ، والصـربية ، والمقدونية شعوب مسيحية ارثوذكسية تجمعهم كنيسة واحدة ومركزهم فى استنبول .

وتاريخ هذه المنطقة ملازم لحياة شعوب البلقان وهو الذى وضع السلافيين والأغريق على طريق الصدام والمواجهة .

وأول أنقسام لمنطقة البلقان فى القرن الرابع عشـر مع الغـزو العثمانى لأوروبا ، وبمقتضى هذا الانقسام خضع معظم الصرب لسيطرة الدولة العثمانية بينما كان الكروات جزءا من الامبراطورية النمساوية .

واعتنق معظم الصرب المسيحية الارثوذكسية بينما مال بعضهم الى الاسلام فى ظل الامبراطورية العثمانية ، ومـال آخرون للمسـيحية الكاثوليكية على نهج بابا روما . وبينما قاوم الصرب الاحتلال التركى ركن الكروات للاحتلال النمساوى مما أشعل جذوة العـداء بين الصرب والكروات خلال الحرب العالمية الثانية حتى جاء تيتـو وأبعـد هـذه التناقضات لصالح الفيدرالية اليوغسلافية الاشتراكية . لقد نجح تيتـو باستخدام القوة فى فرض النقاش بين القوميات اليوغسلافية . ولـم يرفع الغطاء فى تلك الفترة عن مشكلة اسم مقدونيا والنزاع بين تركيا ويوغسلافيا ولم يكن الجو السياسى يسمح بمناقشة مشاكل من هذا النوع فى ذلك الوقت خاصة وأن خطر اطلاق اسم مقدونيا على تلك الدولة الجنوبية فى يوغسلافيا كان محدودا طالما أنها جزء من دولة أكبر هـى يوغسلافيا ، لكن الوضع الآن تغير بعد تفكك يوغسلافيا وظهور دولة مستقلة تحت اسـم مقـدونيا ، لأن اليونان تخشـى من التوجهـات التوسعية التى قد تشكل خطرا مستقبلا على وحدة أراضيهـا ، وتـرى اليونان أن القضية ليست على الصعيد النظرى فقط فقد تمت ثـلاث محاولات للنيل من وحدة أراضيها خلال النصف الأول من هذا القـرن خاصة وأن هذه المحاولات كانت مدعومة من أطراف كألمانيا ، والنمسا أو تركيـا .



● موقع مقدونيا من خلال خريطة يوغوسلافيا

المنطق المقدونى السكوبى فى مواجهة المجموعة الأوروبية

بدأت اليونان ومقدونيا مفاوضات لايجاد حل وسط بشأن اسم مقدونيا الذى لا يزال مثار خلاف بين البلدين منذ حوالى ١٥ شهرا ٠

وتطالب اليونان مقدونيا بأن تسمى نفسها جمهورية سكوبيا اليوغسلافية دليلا علىّ حسن النوايا ٠ وتغيير دستورها بحيث ينص على كونها دولة ديمقراطية ليس لديها شىء من الادعاءات على أراضى البلدان الأخرى ٠ وتطالب اليونان بوقف التوجهات التوسعية ، والحملات الدعائية من جانب مقدونيا ٠

ولعدم استجابة مقدونيا للضغوط اليونانية فرضت اليونان عليها حصارا شاملا وخاصة على دخول الواردات النفطية اليها مما أدى الى توقف مصانعها من العمل ٠ وربما أدى هذا الوضع الى نزاع عرقى يفوق فى حد ذاته النزاع العرقى الذى يدور حاليا فى البوسنة والهرسك ٠ وربما وجدت اليونان نفسها متورطة فى هذا النزاع ، وربما فى نزاع مع جارات أخريات ٠

وقامت اليونان أيضا استمراراً لضغوطها باجراء مناورة عسكرية فى مرتفعات مقدونيا الجبلية وعلى مرمى البصر من مقدونيا اليوغسلافية أطلقت عليها اسم ٠٠ « القضاء على عدو فى مرتفعات جبلية » ٠

ضغط المجموعة الأوروبية

أدى ضغط اليونان على دول المجموعة الأوروبية الى ترددها فى الاعتراف بجمهورية مقدونيا لاعتراض اليونان على الاسم باعتبار أن هذا الاسم يعد ادعاءا مباشرا لأحقيتها فى مقدونيا اليونانية ٠ ولا تمانع المجموعة الأوروبية أن تستخدم الدولة الجديدة الاسم الذى يحلو لها داخل حدودها ولكن لا ينبغى أن يظهر اسم مقدونيا فى المحافل الدولية ٠

وردا على طلب مقدونيا الاعتراف بها من المجموعة الأوروبية يجتمع وزراء خارجيتها فى لشبونة خلال عام ١٩٩٢ ويشترط قرار المجموعة الأوروبية لاتمام الاعتراف الرسمى بمقدونيا أن تلبى هذه طلب أثينا تغيير أسمها ٠ ويصدر القرار بحجب الاعتراف طالما أن الدول

المعنية لم تتفق على اسم لها ، وبالطبع فان اليونان دولة معنية ، وبذلك أتفق قرار المجموعة الأوروبية مع الموقف اليونانى .

وللحيلولة دون حدوث قلاقل تضر بالمنطقة وعلاقات حسن الجوار بها قامت المجموعة الأوروبية بوضع شروط مسبقة لمنح الاعتراف وهذه الشروط مدرجة فى مستندات مجلس الأمن (س / ٢٣٢٩٣ فى ١٧ ديسمبر ١٩٩١ .. ، س / ٢٣٨٨٠ فى ٥ مايو ١٩٩٢ ، س / ٢٤٢٠٠ فى ٢٩ يونيه ١٩٩٢ ، س / ٢٤٩٦٠ فى ١٤ ديسمبر ١٩٩٢ وتنص كلها على تقديم الضمانات بتغيير الاسم وعدم المطالبة بأحقيتها فى أراضى أية دولة أخرى .

ويؤكد هذا الموقف تمتع اليونان بنفوذ كبير داخل المجموعة الأوروبية وذول السوق الأوروبية المشتركة ، كما تتمتع بنفوذ كبير فى البيت الأبيض بسبب الأقلية اليونانية الكبيرة فى أمريكا التى تمكنت من ايصال أحد أبنائها الى منصب نائب الرئيس ، وكادت أن تدفع بواحد آخر الى منصب الرئاسة لولا افتضاح أمر علاقته باحدى سكرتيراته .

المنطق المقدونى (السكوبى)

تذكر مقدونيا اليوغسلافية أن لليونان مطامع توسعية فى مقدونيا اليوغسلافية وترى أن اصرار اليونان على موقفها يخفى أحلاما توسعية فى البلقان ، وكشفت مقدونيا اليوغسلافية عن وجود اتصالات ومشاورات سرية يقوم بها رئيس الوزراء اليونانى قسطنطين ميتسوتاكيس مع نظيره البلغارى والصربى لتقاسم مقدونيا بين الدول الثلاث ، ويستخدم رئيس وزراء اليونان فى اتصالاته حجة واحدة لاقناع زميليه المترددين وهى .. ماذا نفعل اذا طالب المقدونيون فى اليونان بالانضمام الى الجمهورية الجديدة ؟ وماذا نفعل اذا قامت دولة مقدونية قوية على حدودنا وحدودكم ؟ .

وتستغل حكومة سكوبيه العداء الذى تكنه لها اليونان على أفضل وجه بتقمص شخصية الضحية والترويج لنظرية المؤامرة مما أدى الى صب المزيد من الزيت على نار الجدال الدائر حول المسألة المقدونية .

وعندما سافر جان مليوفيسكى أحد الوزراء فى الحكومة المقدونية الى واشنطن خلال شهر ديسمبر ١٩٩٢ ليعرض على الحكومة الامريكية

حجته كان من بين ما قاله « كمواطنين فى دولة ناشئة فاننا لا نملك ما ندافــع به عن أنفسنا ، واذا فرض علينا البعض تغيير اسم دولتنـــا فانه قد يفرض علينا فى المستقبل تغيير حدودنا » ٠

وعلى الرغم من أن الدول الأوروبية والولايات المتحدة تعتــرف بقوة الموقف المقدونى لكنهم يدعمون اليونان فى موقفها ٠

وقد استجابت مقدونيها لدعم موقفها لكثير مما طالبت به اليونان فقد عدلت دستورها وأصدرت تصريحات سياسية متكررة محورها جميعا التعهد الكامل باحترام الحدود الراهنة ٠



الامم المتحدة تعترف بدولة بلا علم

مقدمة

تقدمت جمهورية مقدونيا اليوغسلافية سابقا بطلب الى الأمم المتحدة للحصول على اعتراف المنظمة الدولية بها ، وقبلت الأمم المتحدة فى جلستها العامة يوم الخميس الموافق ١٩٩٣/٤/٨م عضوية جمهورية مقدونيا اليوغسلافية شريطة الا يرفع علمها على المنظمة الدولية كبقية أعلام الدول المرفوعة والتى وصل عددها الآن بانضمام هذه الجمهورية الى ١٨١ دولة ، واشترطت المنظمة الدولية لرفع العلم أن يقوم الوسيطان الدوليان سيروس فانس ، وأوين بالتوسط بين اليونان وجمهورية مقدونيا لحل الخلافات بينهما على الاسم والعلم .

ومقدونيا منطقة لها جذور تاريخية تعود لعصر الاسكندر الأكبر ، ووالده الملك فيليب . وعقب انهيار امبراطورية الاسكندر اختفت مقدونيا من خريطة العالم ككيان سياسى مستقل ، ولكن عاد اسم مقدونيا للظهور مرة أخرى مع احياء الخرائط الجغرافية القديمة لأوروبا . وقد ظهرت هذه الخرائط فى ايطاليا ، والنمسا ، وحددت مقدونيا بحدودها المعروفة حاليا مع بعض الاضافات .

وتقع مقدونيا على حدود اليونان الشمالية ، وهى احدى الجمهوريات التى كانت تتكون منها جمهورية يوغسلافيا السابقة ، وتبلغ مساحتها ٢٦ الف كيلو متر مربع ، ويصل عدد سكانها الى ٢ر٥ مليون نسمة .

وقد قامت السلطات السكوبية (اسم مقدونيا سابقا) وبصورة علنية وصريحة بتسمية دولتها باسم منطقة جغرافية تتعدى حدود هذه الدولة لتشمل أربعة بلدان مجاورة ، فجمهورية يوغسلافيا سابقا لا تمثل سوى ٣٨ر٥٪ من اجمالى مساحة مقدونيا . وعلى الرغم من هذا فان جمهورية مقدونيا اليوغسلافية سابقا تصر على اطلاق اسم مقدونيا على دولتها ، وهى بهذا تقول بأنها وحدها صاحبة الحق فى حمل اسم منطقة تتجاوز حدودها الجغرافية .

وبالنسبة لليونانيين لايعدون اللغة التى يتحدث بها سكان مقدونيا اليوغسلافية لغة مقدونية وانما لغة مشتقة من اللغة البلغارية ويصفونها بأنها خلطة محلية محسنة بكلمات من اللغات الصربية التشيكية والبولندية والروسية ٠

وقد نشأت تلك الدولة فى شمال اليونان نتيجة لتفتت يوغسلافيا ٠ ويعتبر اليونانيون أن اطلاق لفظ « مقدونيا » على تلك الدولة أمر يهدد تاريخهم العريق ، ووحدة أراضيهم ويطالبون فى جميع المحافل الدولية بالعدول عن هذا الاسم واستبداله بـ « سكوبيا » دليلا على حسن النوايا وكمقدمة لعلاقات وطيدة تستند لمبادىء حسن الجوار ٠

ونتيجة لرفض جمهورية مقدونيا اليوغسلافية السابقة تغيير اسمها وعلمها استجابة لطلب اليونان كشرط للاعتراف بها قامت اليونان بفرض حصار نفطى وتجارى على مقدونيا اليوغسلافية ٠

ومنذ انهيار يوغسلافيا أصبحت مقدونيا على عتبة الاستنزاف الاقتصادى فقد توقفت المصانع عن العمل ، وارتفعت نسبة البطالة ، وتدنى متوسط الراتب الشهرى الى أقل من ٦٠ جنيها ، وهو ما يعادل ثمن ١٠ كيلو جرامات من اللحم (الجارديان بتاريخ ١٩٩٣/٣/٣١) ٠

بداية تفجر المشكلة :

عم الاستقرار منطقة البلقان خلال السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية ٠ وقد تمكنت الشيوعية التى عمت المنطقة من تجميد المشاكل العرقية فى شمال المنطقة ، ولكن بعد انهيار الشيوعية فى البانيا ، ويوغسلافيا ، وبلغاريا ، ورومانيا طرأ تغيير على نظرة هذه الدول ، وكذلك الدول الجديدة التى انبثقت عن جمهورية يوغسلافيا السابقة الى بعضها البعض ، والى الدول المجاورة لها مباشرة ، وظهرت الرغبة فى ترسيم الحدود مقنعة فى صورة المطالبة بحق تقرير المصير ٠

وعندما أعلنت صربيا ، وسلوفانيا ، وكرواتيا ، والبوسنة والهرسك استقلالها فى السنة قبل الماضية لم تجد مقدونيا أمامها سوى أن تفعل الشىء نفسه خشية أن تبتلعها صربيا ، وتضمها اليها ٠

وتعارض اليونان اعلان مقدونيا اليوغسلافية الحكم الذاتى الذى قررت بمقتضاه أن تؤسس جمهورية مستقلة تحت هذا الاسم أو أن تحصل على الاعتراف الدولى بهذه الجمهورية ، كما كانت اليونان أيضا قد اعترضت على استحواذ السكوباك (سكان مقدونيا اليوغسلافية) على هذا الاسم الذى طالما أطلق لعصور طويلة على اقليم مقدونيا الواقع شمال اليونان ٠

ولا تمانع اليونان فى قيام جمهورية مقدونيا اليوغسلافية شريطة أن تختار اسما باستثناء اسم مقدونيا لوجود اقليم يحمل نفس الاســـم فى اليونان وحتى لا تمتد أطماع هذه الجمهورية الجديدة لضم هذا الاقليم مستقبلا ، ويرون أن هذا الاسم يعد رمزا تاريخيا بالنسبة لهم لا يمكنهم التفريط فيه ٠ ودعا بعض المتشددين اليونانيين الى التدخل العســكرى لوضع حــد لقيام هذه الدولة ٠

وعلى الرغم من موقف اليونان الرافض وضغطها على المجمــوعة الأوروبية للحيلولة دون موافقتها على قيام هذه الدولة الجديدة والاعتراف بها لكننا نجد ست دول تعترف بها تحت اسم جمهورية مقدونيا اليوغسلافية سابقا وهى : بلغاريا ، وتركيا ، وسلوفانيا ، وكرواتيا ، وليتوانيــا ، وروســيا ٠

ولعل اعتراف بلغاريا بدولة مقدونيا الجديدة يرجع الى خوفها من « الخطر القومى اليونانى » الذى يمكن أن يصل اليها أيضا خاصة وأنها أصبحت المنفذ الرئيسى لها على الصعيد التجارى لا سيما مع تركيــا التى اعترفت بدورها بمقدونية منطلقة من اعتبارات نزاعها التقليــدى مع اليونان فضلا عن الاعتبارات التاريخية الأوسع نطاقا ، والتى كانت عامى ٩٠ و ٩١ م منطلقا لنشاط تركى ملحوظ فى البلقان عامة ٠



دولة بلا اسم صريح فالاســـم مؤقت ومتنازع عليه

على الرغم من أن منظمة الأمم المتحدة الدولية اعترفت بقبول دولة مقدونيا اليوغسلافية سابقا الا أنها اشترطت أن يقوم الوسيطان الدوليان سيروس فانس ، وأوين بمفاوضات بين اليونان ومقدونيـا للاتفـــاق على الاسم الذى تعتمده الأمم المتحدة اسما نهائيا لدولة مقدونيا الجديدة وكذلك الاتفاق على شكل العلم الذى توافق عليه اليونان ٠

موقف اليونان الرافـض

تمنع اليونان قيام دولة على حدودها الشمالية تحمل اسم مقدونيـا لوجود اقليم يحمل نفس الاسم فى شمال اليونان ولاعتبـارات حضـــارية وتاريخية فمقدونيا هى مسقط رأس الاسكندر الأكبر ووالده فيليب الثـانى اللذين تسعى اليونان لاقناع العالم باعتبارهما تاج حضارتها ، يضاف الى ذلك أن جزءا كبيرا من مقدونيا التاريخية يقع الآن ضمن الأراضى اليونانية فتذكر اليونان أنها تعارض قيام هذه الدولة لأن دستورها الذى بدأ العمل بــه يتضمن فى ديباجته بعض مبادىء (جمعية مقدونيا للتحرير القومى ومعاداة الفاشية) وتشير هذه المبادىء اشارة مباشرة الى ضم أراضى اقليم مقدونيا فى اليونان وبلغاريا وحتى يصل الأمر الى اقامة الدولة المقدونية كجزء من الاتحاد اليوغسلافى ٠

وتذكر اليونان أيضا أنه ليس من حق جمهورية مقدونيا اليوغسلافية الاستئثار باسم (مقدونيا) واطلاقه على أراضى دولتها ، وهى بهـذا تدعى أحقيتها وحدها دون غيرها لتحمل اسم منطقة جغرافية يتخطى نطاقها الحدود ٠ وترى اليونان أن هذا الأمر سيكون من شأنه ان يدفع أجيـال السكوباك القوميين الحالى منها والقادم الى الاســتمرار فى الادعاءات والمطامع التوسعية ، وتذهب اليونان الى ان مجرد استخدام الاســم بهذا الأسلوب يوحى بالرؤى التوسـعية على أراضى مقدونيـا وتراثها الذى امتد لقرون طوال ٠

وترفض اليونان تعليق النجمة ذات الثمانية أضلاع واليونانية الأصل شعارا لدولتهم وتثبيتها فى علمهم لأن نجمة فيرجينيا هذه هى رمز العائلة

المقدونية التاريخية للملك فيليبس الثانى ٠ والاسكندر الأكبر ، وتوجد هذه النجمة على مقبرة فيليب الثانى باليونان ٠

وتؤكد اليونان أن الاسكندر الأكبر يونانى ، ولد على أرض يونانية ، وكل النقوش التى عثر عليها تؤكد هذه الهوية للاسكندر ٠ ومنذ قديم الزمان مقدونيا يونانية ملوكها وسكانها ، ولغتها يونانية ، وتاريخها مكتوب باليونانية ، وخير دليل على ذلك الملك اسكندر الأكبر المقدونى ابن الملك فيليب ، والأميرة أولمبيا ، وأخو الأميرة تسالونيكى ، وهو نفسه بطل الألعاب الأولمبية التى كانت قصرا على اليونانيين وهو نفسه الذى أنشأ مدينة الاسكندرية ٠

يضاف الى ذلك ان جزءا كبيرا من مقدونيا التاريخية يقع الآن ضمن الأراضى اليونانية ، وما زال يحمل الاسم ذاته ، ويفخر أبناؤه بتاريخهم العريق ، وبانتسابهم الى هذا التاريخ ، وما زالت المقاطعة التى يعيشون فيها فى اليونان تحمل اسم (مقدونيا) ٠ ويقول وزير الخارجية اليونانية ميخائيل بابا قسطنطينو : أن اصرار مقدونيا على اسمها القديم عمل استفزازى ينطوى ضمنيا على مطامع توسعية ضد اليونان ٠

ان تمسك مقدونيا اليوغسلافية باسمها جعل اليونان ترفع شعارها « مقدونية يونانية ، ويونانية فقط » ، وتبنت تفسيره على الصعيد الدولى موقفا يقول ان القصد يقتصر على الاسم التاريخى للمنطقة الجغرافية التى تشمل الأرض المقدونية داخل الحدود اليونية الحالية حتى بحر ايجه ، فضلا عن أرض واقعة داخل حدود بلغاريا الحالية ، وتبلغ الأراضى معا زهاء ضعف مساحة مقدونيا بحدودها الراهنة وفق ما ثبتها الحكم الذاتى داخل نطاق الاتحاد اليوغسلافى عام ١٩٤٤م وكانت تمثل من قبل (حصة) صربيا من عملية التقسيم الدولية لمقدونيا الكبرى بعد حرب البلقان ١٩٩٢ - ١٩٩٣م ٠

على أن الشعار (الجغرافى التاريخى) الذى روجت له حكومة اليونان ، تحول الى (شعار قومى) وتحولت معه مطالبة مقدونيا بتغيير اسمها ، وضمان حدود اليونان بجوارها الى دعوة لاقتسام مقدونيا مع الصربيين ٠

وقد بذلت اليونان كل ما بوسعها لمنع قيام هذه الجمهورية المستقلة على حدودها الشمالية . وتنتشر الملصقات فى اليونان تقول مقدونيا ظلت يونانية منذ ثلاثة آلاف عام ، ويشاهد العديد من أبناء سالونيكا وهم يعلقون على صدورهم شارة النجمة المقدونية القديمة ، وهناك الآن مطار جديد فى شمال اليونان يطلق عليه اسم « مطار مقدونيا » كما سميت احدى الفرقاطات اليونانية باسم مقدونيا .

ومنذ عدة أشهر قليلة قاطع اليونانيون البضائع الهولندية والايطالية لمجرد أن وزيرى خارجية هذين البلدين قالا انهما يميلان الى الاعتراف بجمهورية مقدونيا .

المنطـــق اليــــونانى

يذهب المنطق اليونانى الى أن مقدونيا يونانية ، وتلك حقيقة تاريخية لا تقبل المغالطة ، فأكثر من ثلثى أراضيها ضمن الحدود اليونانية منذ أكثر من ٢٨٠٠ عاما ، وترى اليونان أن تمادى الدولة الجـــديدة فى المغالطة بقلب الحقائق التاريخية يقود الى زعزعة الأمــن والاســـتقرار والسلام فى البلقان .

وتذهب وجهة النظر اليونانية الى أن ما تقوم به حكومة سكوبيه يعد سرقة ومحاولة سلب أرث اليونان الثقافى وهويته التاريخية فاصرار (سكوبيا) على استخدام هذا الاسم المقدونى ينطــوى على دعـــاوى اقليمية تجاه مقدونيا اليونانية ، تقوض السلام والامن فى البلقان .

وتنفى اليونان وجود أية مطامع توسعية عندها وكما يقول وزير خارجيتها انهم يريدون الاستقلال لهذه الدولة الجديدة ويريدونهم شريطا عازلا بينهم وبين الصرب ، وهم يستطيعون على حد قوله اختيار أى اسم باستثناء اسم « مقدونيا » ويضيف « واذا فعلوا ذلك يكونون قد أزالوا نقطة احتكاك خطرة فى البلقان » .

ويذكر المنطق اليونانى أن ٥١ر٥٪ من أرض مقدونيا فى اليونان و ٣٨ر٥ فى يوغسلافيا ، ١٠٪ تابعة لبلدان مجاورة أخرى ، وباستثناء شريط ضيق فى الشمال فان أراضى جمهورية مقدونيا اليوغسلافية سابقا لم تكن يوما جزءا من الاطار التاريخى لمقدونيا .

وتذكر اليونان أن مطامح هذه الجمهورية التوسعية بدت واضحة فى عهد تيتو فى الأربعينات من خلال مساندتها لثورة شيوعية حدثت فى اليونان الأمر الذى أدى الى اشتعال الحرب الأهلية لمدة ثلاث سنوات كوسيلة لضم أراضى مقدونيا التابعة لليونان . وعندما باءت محاولة ضم الأراضى اليونانية بالفشل فى عام ١٩٤٨ استمرت المحاولات لتقويض السيادة اليونانية على أراضى مقدونيا التابعة لها من خلال محاولات الاستئثار باسم مقدونيا الأمر الذى من شأنه أن يوجد دعامة دائمة للادعاء بحقوق على أراضى يونانية .

ويرى المسئولون اليونانيون أنهم بعد أن قربوا من نسيان هذا التاريخ المحزن تجددت المطامع السكوبية التوسعية ، وقوى شأنها بعد انهيار اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية السابقة . فقد قامت حكومة سكوبيا (مقدونيا اليوغسلافية) بطبع عدد كبير من الخرائط تصور مقدونيا الكبرى وتضم جزءا كبيرا من الأراضى اليونانية ، وتصور سلونيكا عاصمة لها .

وتطلب اليونان من تركيا مساعدتها فى حل الأزمة المقدونية لما لتركيا من ثقل وتأثير على المسئولين فى هذه الدولة الجديدة ، ويلمح رئيس وزراء اليونان بأنه اذا تساهل بالنسبة لمقدونيا فان العناصر الوطنية فى البرلمان الذى لا يتمتع فيه رئيس الوزراء الا بأغلبية صوتين ستطيح بحكومته ، وتوقف مبادرته لحل الأزمة القبرصية .



صدر للمؤلف

سلسلة طرق تدريس اللغة العربية :

١ ـ طرق تدريس اللغة العربية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٩ .

٢ ـ طرق تدريس التربية الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠م .

٣ ـ طرق تعليم اللغة العربية للمبتدئين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢م .

٤ ـ طرق تعليم التعبير ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م .

٥ ـ طرق تعليم الأدب والنصوص ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م .

٦ ـ الجديد فى تعليم التربية الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة ١٩٨٩م .

سلسلة الأدب العربى :

٧ ـ دراسات فى أدب ونصوص العصر الجاهلى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٣م .

٨ ـ دراسات فى أدب ونصوص العصر الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م .

٩ ـ دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠م .

١٠ ـ أستاذ مدرسة الصنعة فى الأدب العربى (طفيل الغنوى ، حياته ، وشعره) ، القاهرة ، الناشر العربى ، ١٩٧٩م .

كتب محققة :

١١ - ديوان طفيل الغنوى ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٨ .

١٢ - كتاب فائت الفصيح لأبى عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ) القاهرة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٩٧٣ ، والطبعة الثانية ، القاهرة ، نشر المحقق ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٦ .

١٣ - كتاب النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ت ٢١٥هـ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨١م .

١٤ - كتاب مسائية تأليف أبى زيد الانصارى ت ٢١٥هـ ، بيروت ، دار الشروق ١٩٨١ (ملحق بكتاب النوادر) .

١٥ - كتاب أمهات النبى صلى الله عليه وسلم ، لمحمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢ .

١٦ - كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الاعرابى ت ٢٣١ هـ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤م .

١٧ - كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبى عون ت ٣٢٢هـ ، القاهرة ، نشر المحقق ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م .

١٨ - كتاب الخيل لأبى عبيدة معمر بن المثنى ت ٢٠٩هـ ، القاهرة ، نشر المحقق ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م .

١٩ - شرح المعلقات السبع للزوزنى ت ٤٨٦ هـ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م .

٢٠ - كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجى ت ٦٢٠هـ القاهرة ، نشر المحقق ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٦م .

١ - كتاب المأثور من اللغة لأبى العميثل الاعرابى ت ٢٤٠هـ مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م .

٢٢ - كتاب الأضداد للصاغانى ت ٦٥٠هـ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٩م .

٢٣ - فحولة الشعراء لأبى حاتم السجستانى ت ٢٢٥هـ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٠م .

٢٤ - كتاب الأضداد فى اللغة لأبى حاتم السجستانى ت ٢٥٥هـ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٠م .

٢٥ - رسالة فى الأحاديث الموضوعة للصاغانى ت ٦٥٠هـ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٠م .

سلسلة المسلمين فى العالم :

٢٦ - المسلمون فى الفلبين ، القاهرة ، نشر المؤلف ، توزيع مكتبة النهضة االمصرية ، ١٩٨٠ م .

٢٧ - المسلمون فى أفغانستان ، القاهرة ، نشر المؤلف ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠م .

٢٨ - المسلمون فى غينيا ، القاهرة ، نشر المؤلف ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م .

٢٩ - الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى بين الماضى والحاضر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٢م .

٣٠ - مأساة البوسنة والهرسك ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م .

٣١ - هموم اسلامية فى نظام عالمى جديد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م .

مؤلفات أخرى :

٣٢ - دراسات فى التراث العربى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٩م .

٣٣ - ابو زيد الأنصارى ونوادر اللغة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠م .

٣٤ - استراتيجية التربية العربية لنشر التعليم الأساسى فى الدول العربية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣م .

٣٥ - هجرة العلماء العرب ، القاهرة ، نشر المحقق ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٦م .

٣٦ - دراسات فى التربية العربية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٦م .

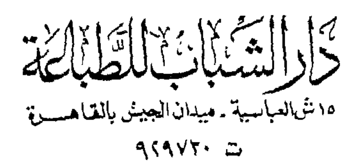
٣٧ - طرق التدريس العامة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٩م ،

الفهـــرس

البيــــان	رقم الصفحة

البيـــان — رقم الصفحة

رقم الايـداع بـدار الكتب
٩٣ / ٥٩٣٥
I. S. B. N
977 — 200 — 059 — 8



١٥ ش العباسية - ميدان الجيش بالقاهـرة
ت ٩٢٩٧٢٠